نفحات القرآن

الجزء الثامن

المؤلف

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

رسول الاسلام في القرآن .

الرسول (ص) وظهور الاسلام وسرعة انتشاره .

الضغط على المسلمين الجدد.

التهمة والاستهزا.

الهجرة الى الحبشة .

الحصار الاقتصادي .

بداية جديدة في ابلاغ الرسالة .

الرسول يلتقي اهل المدينة .

بيعة العقبة الاولى .

بيعة العقبة الثانية .

الهجرة انعطاف جديد في تاريخ الاسلام .

صلح الحديبية فتح كبير وتقدم للاسلام .

رسائله (ص) الى ملوك العالم .

نبي الاسلام في القرآن .

محيط دعوة الرسول (ص).

الاصنام في عقائد العرب .

تفشي حالة الفقر الشديد بين الناس .

عباداتهم العجيبة .

الخرافات الاخرى لعرب الجاهلية .

شيوع الفساد الاخلاقي .

طفولة الرسول الاكرم (ص).

بداية دورة البعثة النبوية .

قصة يوم الدار.

الاشهر الاخيرة من حياة الرسول (ص).

الادلة التي تثبت صدق ادعارسول الاسلام .

اعـجاز القـرآن .

تاثير القرآن وجاذبيته المنقطعة النظير.

قصة الوليد بن المغيرة المخزومي .

استماع زعما قريش الى القرآن .

قصة ابن ابي العوجا واصدقائه .

قصة عثمان بن مظعون .

قصة اسعد بن زرارة .

القصة المثيرة للاصمعي .

رد فعل اعرابي تجاه آية من القرآن .

القصة المثيرة للسيد قطب .

قصة النجاشي وعلما الحبشة المسيحيين .

نفوذ القرآن في اوساط العلما الاجانب .

الذين لجؤوا الى المعارضة .

الاعجاز القرآني في الفصاحة والبلاغة .

مقتطفات من الامثلة الاعجازية للقرآن .

الاعجاز القرآني على صعيد المعارف الالهية .

الاعجاز القرآني على صعيد المعارف الالهية .

اعجاز القرآن على صعيد العلوم الحديثة والاكتشافات العلمية .

اعجاز القرآن على صعيد العلوم الحديثة والاكتشافات العلمية .

القرآن وجاذبيته العامة .

القرآن وخلق العالم .

القرآن وحركة الارض .

القرآن وحركة المنظومة الشمسية .

القرآن واتساع العالم .

القرآن ووجود الحياة في الكرات الاخرى .

القرآن وخلق الجبال .

عنصر الزوجية بين النباتات في القرآن .

القرآن والزوجية العامة .

القرآن يكشف النقاب عن مسالة مراحل تطور الجنين .

القرآن يتحدث عن الاثار المهمة للغلاف الجوي للارض .

القرآن والغلاف الجوي للارض ايضا.

القرآن واسباب نزول المطر والبرد.

القرآن وعلاقة الرعد والبرق والمطر.

القرآن واسلوب تحديده لهوية الانسان .

القرآن يكشف الستار عن عظمة خلق السماوات .

الاعجاز القرآني من الناحية التاريخية .

الاعجاز القرآني من الناحية التاريخية .

الخطوط العريضة للتاريخ في القرآن .

كيفية خلق ((آدم)) في القرآن وفي العهدين .

لقا ابراهيم (ع) بالملائكة .

منشا اختلاف اللغات .

عباده العجل من قبل بني اسرائيل .

قصة النبي داود(ع) وزوجة اوريا.

هل ان سليمان بنى معبدا للاصنام ؟

المباراة العجيبة بين يعقوب واخيه عيسو.

نسبة صنع الخمر الى النبي المسيح (ع).

المسيح (ع) ودعوى الالوهية .

حضور المراة العاصية في مجلس السيد المسيح (ع).

نتيجة البحث .

الاعجاز القرآني في سن القوانين .

الاعجاز القرآني في سن القوانين .

ماهي افضل القوانين ؟.

مزايا القوانين القرآنية .

الشمولية والسعة .

التوحيد الحجر الاساس في كل شي .

تقوية الروابط الاجتماعية .

احترام حقوق الانسان .

الحرص على تامين الحرية والامن .

الضمانات الاجرائية القوية .

احيا القيم المعنوية .

الاصول الثابتة والمتغيرة .

الاعجاز القرآني من جهة الاخبار الغيبية .

الاعجاز القرآني من جهة الاخبار الغيبية .

الاخبار عن هزيمة الاعدا في اقل من عشر سنين .

التنبؤ عن نصرين هامين آخرين .

الغنائم الكثيرة في المستقبل .

التنب ؤ بالهزيمة الساحقة للاعدا.

نبؤة اخرى عن الانتصار في معركة بدر.

الوعد بالعودة .

لم يؤت الايمان قط.

انا اعطيناك الخير الكثير.

اولئك لن يضروكم بشي .

الاعجاز القرآني من ناحية عدم التضاد والاختلاف .

الخوارق الاخرى للعادات .

تساؤلات مختلفة حول مسالة شق القمر.

اشكال من زاوية تاريخية .

من زاوية علمية .

انشقاق القمر بمنظار الايات .

تجميع القرائن طريق آخر للاطمئنان .

تجميع القرائن دليل معمول به في كل العلوم .

ميحط دعوة النبي (ص) والظروف السائدة فيها.

خصائصه الاخلاقية وسوابقه (ص).

مضمون الدعوة .

عمق تاثيره في محيطه .

ماهية الوسائل لبلوغ الهدف .

ايمانه وتضحيته في سبيل هدفه .

من هم المؤمنون به ؟.

التطور السريع .

البشارات والاشارات .

انهم يعرفونه جيدا.

التبشير بظهور النبي (ص) في الكتب السماوية .

الخاتمية في القرآن الكريم .

مفهوم خاتم النبيين .

الاجابة على بعض الاسئلة .

الخاتمية في الروايات الاسلامية .

عدة اسئلة حول الخاتمية .

هل ان السير التكاملي للانسان يتلائم مع مسالة الخاتمية ؟.

هل ان القوانين الثابتة تتماشى مع احتياجات الانسان المتغيرة ؟.

هل يجب حرمان الانسان من فيض الارتباط بعالم الغيب ؟.

هل تتلائم هذه الايات مع مسالة الخاتمية ؟.

رسول الاسلام في القرآن .

يـــجـــب قبل كل شي الوقوف على حقيقة الاسلام والرسول في القرآن الكريم ،والتحقيق في النكات الـــظـــريـــفة والدقيقة الواردة في مختلف الايات ، وحيث ان الوقوف على تلك النكات يستلزم بالرتبة الـــســـابـــقـــة الاحاطة ولو اجمالا بالتاريخ الاسلامي ، فسنمر على عصارة ابحاث من تاريخ الاسلام وسرعة تقدمه وانتشاره ،لكي نمهد الطريق للبحوث الاتية .

الرسول (ص) وظهور الاسلام وسرعة انتشاره . نشا الاسلام قبل اربعة عشر قرنا في مكة المعظمة ، وفي مدة ٢٣ سنة (وهي فترة دعوة الرسول (ص) ، اخـــضـــع لـــنـــفـــوذه اقصى منطقة في جنوب الحجاز ، اي اليمن ، والى شمال شبه الجزيرة الـــعـــربـــية ، اي الشام والعراق ، بل ان قسما من افريقياي الحبشة قد تاثرت بانواره ، واليوم نرى اكثر من ميليارد انسان يدين به في كل بقاع العالم .

وهـــنا نستعرض ــ ولو باختصار ــ حياة الرسول الاكرم (ص) وسرعة انتشارالاسلام ، والعوامل التي ساعدت على ذلك .

مـــن الـــطبيعي ان هذا العمل ليس بالامر اليسير ، لان الظروف التي ادت الى وصول الاسلام الى هذا الـــحد ، اوسع بكثير مما جا في التاريخ بحيث يمكن القول :ان ما ذكره التاريخ قطرة من بحر والذي نذكره هنا هو لمحات من ذلك التاريخ الذي لم يذكر لنا الا القليل .

بدا الاسلام بشخصية الرسول الاكرم محمد (ص) وقد بعثه اللّه سبحانه وتعالى بالرسالة وهو في الاربعين من عمره الشريف ، ثم تبعته السيدة خديجة (س) ،وبعدها امير المؤمنين علي (ع) ، حيث كانت دعوة الرسول (ص) في المرحلة السرية وكان قبل ذلك في السنين الثلاث مستترا بدعوته لا يظهرها الا لمن يثق به .

امـــا بـــعـــد تـــلك السنوات الثلاث ، وعندما نزلت الاية الكريمة (وانذر عشيرتك الاقربين) ، اعلن (ص) دعوته امام الناس ، فصعد اعلى جبل الصفا ودعا اقرباه واعد لهم وليمة ، وفي ذلك اليوم كان المسلمون يعدون بالاصابع ((١)) .

وقـــد اقـــيمت الوليمة مرتين ، اذ في المرة الاولى لم يمهل ابو لهب النبي (ص)فرصة للنطق ، وفي الـــمـــرة الـــثانية استهزؤا بكلامه (ص) والتفتوا لابي طالب قائلين له :((قد امرك ان تسمع لابنك وتطيع)).

وفـــي هـــذه المادبة كان النبي (ص) يرى بعين الغيب انتشار الاسلام الاكيد ، حتى انه عى ن خليفة ووارثا له فيها ((٢)) .

ولم تمض مدة طويلة حتى ادرك رؤسا مكة ان محمدا (ص) قد اضا افكارالناس وايقظهم ودل على عدم صحة عبادة الاوثان ولزوم الايمان بخالق الكون ،فاحسوا بالخطر عندما ترسخت دعوته ، لان مـــنزلتهم الاجتماعية وعائداتهم المالية كانت مرتبطة الى حد ما بتلك الافكار والاعراف الجاهلية ، حـــتـــى انـــهـــم ذهـــبوا الى ابي طالب راجين منه رفع اليد عن حماية

محمد (ص) او المصالحة بينهم وبين محمد (ص) او اصلاحه ، وقالوا : ((يا يابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسف ه احلامنا وضلل آبانا فاما ان تكفه عن ا واما ان تخل ي بيننا وبينه)) ((٣)) .

ولـــكـــن ابـــا طـــالب اقنعهم ورد اقاوليهم ، واخذ الاسلام يشق طريق الرشدوالتكامل واحس رؤسا الـــكفر بالخطر الذي يهدد دينهم الوثني وثقافتهم الجاهلية ،فعادوا مرة اخرى الى ابي طالب فقالوا : ((يـــاابا طالب ان لك سنا وشرفا وانا قداستنهيناك ان تنهى ابن اخيك فلم تفعل وان ا واللّه لا نصبر على شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه احلامنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك حتى يهلك احد الفريقين)).

في هذه المرة اخبر ابو طالب الرسول (ص) بما جرى بينه وبين اقطاب قريش وانهم مصرون على مـــخـــالـــفـــته ، عندها احس الرسول (ص) ان عمه ابا طالب قد تباطاقليلا في حمايته فقال الرسول (ص) لعمه تلك المقولة المشهورة : ((ياعماه لووضعواالشمس في يميني والقمر في شمالي على ان اترك هذا الامر ، حتى يظهره اللّه او اهلك فيه ما تركته)) ثم بكى وقام ، فلما ول ى ناداه ابو طالب ، فاقبل عليه وقال : ((اذهب يابن اخي فقل ما احببت فواللّه لا اسلمك لشي ابدا)) ((٤)) .

عندما راى رسول اللّه (ص) حماية عمه ثانية ، انطلق بعزيمة كبيرة وثقة عالية ،ولما عرف رؤسا قـــريش ذلك عادوا الى ابي طالب وعرضوا عليه ان يساوم في ابن اخيه مقابل اجمل شاب من قريش عـــلـــى ان يتخذه ابنا له ((٥)) كصاعقة دمرت ما يمكرون ، فعمدوا الى ايذا المسلمين من كل طائفة .

ومرة اخرى طلبوا من ابي طالب ان يبلغ الرسول (ص) رفع يده عن هذا الامروجا الرد المحمدي (ص) : ((يا عم اولا ادعوهم الى ما هو خير لهم منها ،كلمة .

يـــقـــولـــونـــها تدين لهم بها العرب ، ويملكون رقاب العجم)) فقال ابو جهل : ما هي وابيك لنعطينكها وعـــشـــر امـــثـــالـــها ، قال : ((تقولون لا اله الا اللّه)) وقالوا : سل غيرها ، فقال : ((لوجئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سالتكم غيرها)) ((٦)) .

وفـــي هـــذا الوقت دخل في الاسلام اناس كانوا يرزحون تحت ظلم جبابرة مكة ،وآخرون واعون ليسوا بالاغنيا المغرورين مما حدا برؤسا قريش الى تغييراسلوبهم في الصراع مع الرسول (ص) ــ غير الرجوع الى ابي طالب ــ لكي ينجوا من هذا الخطر الساحق ، وكان الرسول (ص) متخذا من بيت الارقم مركزا للاشعاع الفكري ونشر الدعوة .

الضغط على المسلمين الجدد. بـــعـــد ان يـــئس زعـــما مكة من التاثير على ابي طالب ورسول اللّه (ص) ، التجؤواالى تعذيب وايذا الـــمـــســـلـــمـــين المستضعفين ليردوهم عن الاسلام فتضعف قدرة الرسول ومن ثم يترك الدعوة الى الاسلام ، ومن بين اولئك المسلمين بلال ، وعمار ،وياسر ، وسمية ، والحباب بن ارت ، وصهيب ، وعـــامر بن فهيرة ، وابو فكيهة ،

ولبيبة ،وزبيدة ، ونهدية ، وام عبيس وامثالهم ، اذ صب وا عليهم الوان العذاب حتى استشهد ياسر وسمية ، ومر عليهم الرسول (ص) مخاطبهم قائلا : ((صبرا آل ياسرفان موعدكم الجن ة)) ((٧)) .

ويحكي التاريخ عن كيفية تعذيبهم وصمودهم الذي يستحق التامل .

التهمة والاستهزا. اتخذ المشركون اسلوبا آخر في محاربتهم للرسول (ص) كالتهمة والسخرية والاستهزا ، فاتهموا رسـول اللّه (ص) بانه ساحر ، وكاهن ، وشاعر ، ومجنون ((٨)) ،وكذبوه وآذوه ، ولم يتوقف رسول اللّه (ص) عن نشر دعوته لاظهار امر اللّه سبحانه ،ولم تاخذه في اللّه لومة لائم .

ومن الذين كذ بوا واستهزؤا وآذوا رسول اللّه (ص) ابو لهب ، والاسود بن عبديغوث ، والحارث بـن قـيس ، والوليد بن المغيرة ، وابي ، وامية بن خلف ، وابو قيس ،والعاص بن وائل ، والنضر بن الـحارث ، وعدة آخرون حيث ذكر ابن هشام في سيرته ((انه خرج يوما فلم يلقه احد من الن اس الا كـذبـه وآذاه لا حـر ولا عـبـد فـرجـع رسـول اللّه (ص) الـى مـنـزلـه فتدثر من شدة ما اصابه)) ((٩)) .

وذكر التاريخ ايضا ((ان ابا لهب كان شديدا عليه وعلى المسلمين ، عظيم التكذيب له ، دائم الاذى ، فكان يطرح العذرة والنتن عند باب النبي وكان جاره فكان رسول اللّه (ص) يقول : ((اي جوار هذا يـابـني عبد المطلب)) وكان الاسود عندما يمر عليه فقرا المسلمين يستهزي بهم ويقول : ((هؤلا مـلـوك الارض)) وكـذلـك كـان الـعـاص بـن وائل يـقـول : ((ان مـحـمدا ابتر لا يعيش له ولد ذكر)) ((١٠)) .

الهجرة الى الحبشة . ازداد ضغط المشركين وتعذيبهم ، ففكر رسول اللّه (ص) بانقاذ ضعفاالمسلمين وتخليصهم من اذى الـمـشـركين فدعاهم للهجرة الى الحبشة ، وبالفعل هاجر اليها عدة منهم في السنة الخامسة للبعثة النبوية بعد سنتين من اعلان الدعوة الاسلامية وفي شهر رجب ((١١)) .

وبـهذه الهجرة اخذ الاسلام يتحرك وينتشر بصورة جديدة لذلك قررت قريش اعادة المسلمين من الحبشة واخضاعهم لها ، فارسلوا هدايا ثمينة للنجاشي ملك الحبشة طالبين منه تسليم المسلمين اليهم وبـالـرغم من اعطا هدايا اخرى لبطانة النجاشي للتعاطف معهم ولكن النجاشي قال لهم : ان هؤلا قد لـجـؤوا الينا ولا يمكن تسليمهم مالم نسمع حديثهم ، واحضر النجاشي المسلمين واخذ يسالهم عن سبب لجوئهم اليه .

وانـتـخبوا جعفر بن ابي طالب ناطقا عنهم للجواب على استفسارات النجاشي الذي طلب منه ان يتلو عـلـيـه آيات من سورة مريم كانت تتضمن نظر رسول الاسلام (ص) في المسيح وامه مريم (ع) بعدها اعلن النجاشي ابقا المسلمين عنده ، وارجع مبعوثين قريش .

ثـم سال النجاشي : ((اي دين تدينون)) ؟ فقال جعفر : ((اى ها الملك كنا اهل جاهلية نعبد

الاصنام ونـــاكـــل الميتة وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسي الجوار ، وياكل القوي من ا الضعيف حتى بعث اللّه الـــيـــنـــا رسولا من ا نعرف نسبه ، وصدقه وامانته وعفافه فدعانالتوحيد اللّه وان لا نشرك به شـــيئا ونخلع ما كنا نعبد من الاصنام وامرنا بصدق الحديث وادا الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والـــكـــف عـــن الـــمـــحارم والدما ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم ، وامرنا بالصلاة والـــصـــيـــام فـــمـــن ا به وصد قناه وحرمنا ما حرم علينا وحللنا ما احل لنا فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفـــتـــنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الـــى بـــلادك واخـــترناك على من سواك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك)) فقال : النجاشي بعد ان ســـمع آيات من القرآن حول مريم والمسيح (ع) : ((اذهبوا فانتم آمنون ما آحب ان لي جبلا من ذهب وانني آذيت رجلا منكم)) ((١٢)) .

ورجع سفرا قريش خائبين منكسين رؤوسهم .

وقـــد اقترن بتلك الايام اسلام رجل قوي من بني هاشم وهو الحمزة بن عبدالمطلب ((١٣)) فزاد الـــمسلمون قوة مع قوتهم وصمموا على تلاوة القرآن بشكل جماعي وسط الملا من قريش ، واول من قام بهذا العمل هو ابن مسعود متعرضا الى الضرب والشتم .

ويـــذكر التاريخ : ((فغدا عليهم في الضحى حتى اتى المقام وقريش في انديتها ثم رفع صوته وقرا ســـورة ((الـــرحمن)) فلما علمت قريش انه يقرا القرآن قاموا اليه يضربونه وهويقرا ثم انصرف الـــى اصـــحـــابه وقد اث روا في وجهه فقالوا : هذا الذي خشينا عليك ، فقال :ما كان اعدا اللّه اهون على منهم اليوم ولئن شئتم لاغادينهم ، قالوا : حسبك)) ((١٤)) .

ومن هنا نفهم ان المسلمين كانوا يؤدون عباداتهم الى جانب الكعبة حيث كان عددهم يزيد على ستين شخصا وكانوا يتزاورون في بيوتهم لتعلم القرآن .

الحصار الاقتصادي . ولما ادركت قريش عدم تاثير جميع الاساليب التي اتخذتها وظل الاسلام يشق طريقه بثبات قررت كـــتـــابـــة وثـــيقة تمنع فيها الروابط الاقتصادية والاجتماعية مع بني هاشم حتى تشكل ضغوطا على الـــرسول (ص) لمنع نشر الدعوة : ((ولما رات قريش الاسلام يفشو ويزيد وان المسلمين قووا وعـــاد الـــيـــهم عمرو بن العاص وعبد اللّه بن ابي امية من النجاشي بما يكرهون من وضع المسلمين عنهم وامنهم ، ائتمروا في ان يكتبوابينهم كتابا يتعاقدون فيه على ان لا ينكحوا من بني هاشم وبني الـــمطلب ولا ينكحوا اليهم ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئا ، فكتبوا بذلك صحيفة وتعاهدوا على ذلك ثم عل قواالصحيفة في جوف الكعبة توكيدا لذلك الامر على انفسهم)) ((١٥)) .

وهـــكـــذا قد ضيقوا الخناق على بني هاشم وبني المطلب ليقع الخلاف بينهم ويسلموا لهم رسول اللّه (ص).

واستمر الحصار على مدى ثلاث سنوات ((١٦)) وكانوا محرومين من كل شي ماعدا القليل

الذي يـــهـــيؤنه سرا ، غير ان مؤامراتهم فشلت مرة اخرى فاكلت الارضة لائحتهم المعل قة داخل الكعبة ومـــل بـــعض الاشخاص هذا العمل الوحشي غيرالانساني فاصبحوا بصدد الغا اللائحة ، وقد الغيت بالفعل وانتهى الحصار ((١٧)) ورجع الرسول وعشيرته الى مكة المكرمة .

واســـتـــمـــر الاسلام بتقدمه والرسول (ص) بدعوته ، وهنا وقعت حادثتان مؤلمتان للرسول (ص) ((١٨)) قبل الهجرة بثلاث سنوات ، وهما : وفاة ابي طالب وخديجة (ع)وكان للحادثتين اثر بالغ على الرسول (ص) والمسلمين فازداد ضيق الخناق على الرسول (ص) ((حتى ينثر بعضهم التراب على راسه وحتى ان بعضهم يطرح رحم الشاة وهو يصلي)).

بـــعـــدهـــا صـــمم الرسول (ص) على ان يستمد العون من مجموعة من قبيلة ثقيف الساكنة في الطائف لحمايته ونشر الاسلام ، ولكنهم كذبوه وطردوه فكان ذلك ثقيلا على قلب رسول اللّه (ص) فاخذ يـــدعـــو بـــهـــذا الـــدعـــا المعروف ، يقول التاريخ : ((فقام رسول اللّه (ص) وقد يئس من خير ثقيف واغـــروا بـــه ســـفـــاهم فاجتمعوا اليه والجؤه الى حائطلعتبة وشيبة ابني ربيعة ورجع السفها عنه وجـــلس الى ظل حبلة من عنب وقال : اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، اللهم يارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع ، اني اعوذ بنور وجهك الذي اشـــرقـــت بـــه الـــظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة من ان تنزل بي غضبك او تحل بي سخطك)) ((١٩)) .

وقـــد ارسل اولاد ربيعة عنبا بيد غلامهم النصراني (عداس) الى رسول اللّه (ص) ، فاخذه وقال : ((بـــســـم اللّه)) واكـــل مـــنه ، قال (عداس) : ان هذه الكلمة ليست كلمة اهل هذه الديار الرسول (ص) : من اي البلاد انت ؟ فاجاب : من بلاد نينوى ، فقال الرسول (ص) : وما هو دينك ؟ فاعلم الرسول بدينه .

واخـــيـــرا دخـــل الاســـلام على يد رسول اللّه (ص) ، وقب ل يديه وذهب ومن ثم لم يرجع الرسول (ص) خائبا من سفره ((٢٠)) .

بداية جديدة في ابلاغ الرسالة . رغم هذه المشاكل الجمة لم ينثن الرسول (ص) عن ابلاغ رسالته ، فاتصل في موسم الحج بالقبائل مبتدئا بقبيلة (كندة) حتى قبيلة (كلب) و(بني حنيفة) وكل من جا لزيارة بيت اللّه كان يدعوهم الى الاسلام ، وابو لهب يلاحقه في كل مكان ليكذبه ويتهمه بخلق الاقاويل ((٢١)) .

الرسول يلتقي اهل المدينة . التقى الرسول الاكرم (ص) (سويد بن صامت) احد افراد قبيلة الاوس في المدينة الذي جا حاج ا الى مكة المعظمة فعرض عليه الاسلام وقرا عليه بعض آيات القرآن الكريم فصدقه وآمن به وعاد الى المدينة ومات مسلما.

وعـــنـــدمـــا قدم (ابو الحيسر) انس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس

بن معاذ يـــلـــتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول اللّه (ص) فاتاهم فجلس اليهم فقال لهم :.

((هل لكم الى خير مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : انا رسول اللّه بعثني الى العباد ادعوهم الى اللّه ان يعبدوا اللّه لا يشركوا به شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القران ، فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا : اي قوم هذا واللّه خيرمما جئتم له)).

قال : فاخذ ابو الحيسر انس بن رافع حفنة من البطحا فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا ، قال : فصمت اياس وقام رسول اللّه (ص) عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج ، قال :ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك ، قال محمود بن لبيد : فـــاخـــبـــرنـــي مـــن حـــضره من قومي عند موته انهم لم يزالوا يسمعونه يهلل اللّه ويكبره ويحمده ويـــسـبـــحـــه حـــتـــى مـــات فـــمـــا كانوا يشكون انه قد مات مسلما لقد كان استشعر الاسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول اللّه (ص) ما سمع ((٢٢)) .

بيعة العقبة الاولى . وفـــي الـــسنة الاخرى من موسم الحج التقى الرسول الاكرم (ص) جماعة من اهل المدينة ــ عرفوا بـــعد ذلك بالانصار ــ وهم ينتسبون الى قبيلة الخزرج ودعاهم (ص)الى الاسلام وكانوا قد سمعوا آنفا من اليهود قولهم : سيبعث رسول في هذه الايام ونحن نحميه ونساعده للقضا عليكم فنظر بعضهم الـــى بـــعض وقالوا : ((اناقد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والبغضا ما بينهم وعسى اللّه ان يـــجـــمـــعـــهـــم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك ونعرض عليهم الذي اجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم اللّه عليه فلا رجل اعز منك)) ،ثم انصرفوا عن رسول اللّه (ص) راجعين الى بلادهم قـــد آمنوا وصدقوا وهم فيما ذكر سبعة نفر من الخزرج من بني عبد النجار هم :اسعد بن زرارة ، عوف بن حارث ، رافع بن مالك ، عامر بن عبد الحادثة ، قطبة بن عامر ، جابر بن عبد اللّه ((٢٣)) .

وبـــعـــد انتها موسم الحج رجعوا الى المدينة حاملين معهم مشعل الحرية للناس واشاعوا الاسلام بين اهل المدينة .

وبـــعـــد مرور سنة وفي ايام موسم الحج ايضا جا اثنا عشر رجلا الى العقبة وبايعوا الرسول الاكرم (ص) فسميت هذه ببيعة العقبة الاولى ، وعند رجوعهم الى المدينة ارسل الرسول (ص) مصعب بن عـــمـــير لتعليمهم القرآن والاسلام وقد استقرفي بيت (اسعد بن زرارة) والتفوا حول (مصعب) فبدا يدعوهم الى الاسلام باسلوب خاص فلم يبق بيت من بيوت بني عبد الاشهل الا ودخله الاسلام ، ولـــم يقتصر على هذه القبيلة فحسب ، بل دعا اهل المدينة الاخرين الى الاسلام فدخل الاسلام جمع كثير ((٢٤)) .

بيعة العقبة الثانية . اتـــســـع نطاق الاسلام في المدينة بين الانصار حتى ازداد عدد المسلمين

كثيرافقرروا السفر الى الـــحـــج والالتقا برسول اللّه (ص) سرا ودعوته للقدوم الى المدينة ،وقد ارسلوا ممثلين عنهم يبلغ عـــددهم (٧٢) شخصا ، اي (٧٠) رجلا وامراتين ،وبدؤوا عملهم سرا ، بعد منتصف الليل وهم ينحدرون آحادا الى مكان معين فحضرالرسول الاكرم (ص) وصحبه عمه العباس ، فبايعوه على ان يبذلوا ارواحهم ((٢٥)) دونه ، وان يكونوا اوفيا له وللاسلام وواعدهم الرسول على الوفا ايضا ، وقد اوردالتاريخ مقاطع مما قيل في ذلك اللقا حيث بدا العباس الكلام قائلا :.

((ان مـــحـــمـــدا من ا حيث قد علمتم ، في عز ومنعة وانه قد ابى الا الانقطاع اليكم فان كنتم ترون انـــكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مـــسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الان فدعوه فانه في عزومنعة من قومه وبلده)) ، فقالت الانصار :.

تـــكـــلـــم يـــارسول اللّه وخذ لنفسك وربك ما احببت ((فتكلم وتلا القرآن ودعا الى اللّه ورغب في الاسلام ثم قال : ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساكم وابناكم)) ،فاخذ (البرا بن معرور) بـــيـــده ثم قال : ((والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنافبايعنا يارسول اللّه فنحن واللّه اهل الحرب)).

وقـــال الاخر ويدعى ابو الهيثم بن تيهان : يارسول اللّه ان بيننا وبين الناس حبالا واناقاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك اللّه ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم رسول اللّه (ص) وقال :.

((بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم اسالم من سالمتم واحارب من حاربتم)) ثم قال (ص) : ((اخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بمافيهم)) فاخرجوهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وهنا قال العباس بن عبادة صاحب الفكر العميق والنظرة الثاقبة : يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذاالرجل تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتل اسلمتموه فمن الان ، فهو واللّه خزي الدنيا والاخرة ان فعلتم ، وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فـــهـــو واللّه خير الدنيا والاخرة ، قالوا : فانا ناخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فمالنا بذلك يارسول اللّه ان نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك فبسطيده فبايعوه)) ((٢٦)) .

ان هـــذا الـــنـــصر الكبير ادى الى ازدياد حقد وعدا اهل مكة للمسلمين فازدادواظلما وتعذيبا لهم ، فامرهم الرسول (ص) بالهجرة ((٢٧)) الى المدينة .

الهجرة انعطاف جديد في تاريخ الاسلام . بعد هجرة المسلمين من مكة الى المدينة ظل الرسول الاكرم (ص) في مكة منتظرا اوامر اللّه تعالى واحس رؤسا قريش بالخطر الشديد لاسلام اهل المدينة وهجرة مسلمي مكة فقرروا قتل الرسول (ص) فـــاجتمعوا لذلك وبعد مشاورات طويلة

قرروا اشراك القبائل كافة مع قريش في قتل رسول اللّه (ص) ، في ذلك الوقت نفسه امر اللّه سبحانه وتعالى رسوله الكريم (ص) بالهجرة ((٢٨)) .

وفي بداية شهر ربيع الاول تخلص الرسول الاكرم (ص) من محاصرة الاعدابمعجزة عجيبة وهاجر الى المدينة في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الاول ووصل الى (قبا) ((٢٩)) وبقي فيها حتى الخميس قد بنى هناك مسجدا سمي (بمسجد قبا) واقام اول صلاة للجمعة وخطب في الناس اول خطبتين للصلاة في تاريخ الاسلام ، بالقرب من قبا في (قبيلة بني سالم).

بعدها دخل المدينة واستقبله اهلها استقبالا عظيما ، واول عمل قام به (ص)هوبنا مسجد فيها اعتبره منطلقا للرسالة وتعاليم الاسلام ، ولتجمع ((٣٠)) المسلمين ،غير ان الرسول والمسلمون تعرضوا الى الوان المؤامرات فاضطر النبي (ص) الى اشهار السلاح والاستفادة من القوة العظيمة لمسلمي المدينة لابطال تلك المؤامرات .

وبعد سبعة اشهر من دخوله المدينة ارسل الرسول الاكرم (ص) اول كتيبة بقيادة عمه (الحمزة بن عبد المطلب) للتعرض لقافلة قريش ، ثم جهز سرية اخرى بقيادة (سعد بن ابي وقاص) وارسله الى (الابوا) ، بعدها غزوة (البواط) التي كان هدفها ضرب قافلة قريش ، ثم غزوة (العشيرة) لملاحقة قافلة لقريش ايضا وفي السنة الثانية اعد سرية (عبد اللّه بن جحش) للتعرض الى قريش بين مكة والطائف .

وفي السنة نفسها وقعت معركة بدر الكبرى التي نكست بها رؤوس الشرك والضلالة من قريش وارسلوا الى جهنم ووقع كثير من اهل مكة في الاسر ، بعد هذاالانتصار ازداد المسلمون قوة وعزيمة واوقعوا الرعب في قلوب اعدائهم ، ثم اعقبتهاغزوة (بني قينقاع) بسبب نقض يهود المدينة عهدهم مع الرسول (ص) ، بعدها(غزوة كدر) ضد بني سليم ثم غزوة (السويق) ضد هجوم ابي سفيان .

وفي السنة الثالثة للهجرة وقعت حرب (غطفان) ضد (بني ثعلبة) الذين ارادواالهجوم على المسلمين ثم غزوة (بني سليم) التي قتل فيها اثنان من شياطين الكفرهما (كعب بن اشرف) و (ابو رافع) على ايدي المسلمين ، وبعدها معركة (احد)ثم تبعتها غزوة (حمرا الاسد) وقد مني المسلمون بالهزيمة في معركة احد لكن ذلك كان باعثا لهم على التهيؤ للحروب القادمة وليعلموا ان الغفلة والغرور والتعلق بالماديات لهي من اسباب الهزيمة .

وفي السنة الرابعة للهجرة وقعت غزوة (رجيع) ضد قبيلة (عضل وقارة) حيث سلموا مبلغي الاسلام الى الاعدا ، بعدها حادثة (بئر معونة) فقد دعوا (٧٠)شخصا لتعليمهم الاسلام ثم قتلوهم ، وحادثة (اجلا بني النضير) اذ صمموا على قتل الرسول الاكرم (ص) وقد اخرجهم من المدينة باجمعهم .

بعدها وقعت غزوة (ذات الرقاع) ضد طائفة (بني محارب) و (بني ثعلبة) من قبيلة

(غطفان).
وفي هذه السنة وقعت (بدر الثانية) التي كان هدفها ملاحقة ابي سفيان وقدكان لهذه الغزوات اثر بالغ في تقدم وانتشار الاسلام في الجزيرة العربية .
وفي السنة الخامسة للهجرة احس ت قبائل العرب بخطر هذه القوة الجديدة فقرروا الاتحاد والتنسيق فيما بينهم للقضا عليها وعدم فسح المجال لها بتاصيل جذورها كقوة ضد الظلم والشرك في المنطقة فحدثت (معركة الاحزاب) التي انتصرفيها المسلمون ورجع منها المشركون خائبين مندحرين واصبحت فكرة القضا على المسلمين وقلع جذورهم من المحال .
وفي السنة نفسها وقعت غزوة (بني قريظة) وحاصر المسلمون قلعتهم للتخلص من شر اليهود الذين كانوا يحيكون الدسائس ضد المسلمين .
ثم في السنة السادسة للهجرة وقعت غزوة (ذي قرد) حيث اغار الكفار على اموال المسلمين واموال رسول اللّه (ص) واجتمع كذلك (بنو المصطلق) ضدالاسلام ولكنهم اندحروا في غزوة (بني مصطلق) ان هذه الحوادث كلها كانت دليلاواضحا على قدرة وعظمة الاسلام .
صلح الحديبية فتح كبير وتقدم للاسلام . في السنة السادسة للهجرة امر الرسول الاكرم (ص) المسلمين بالتهيؤ الى حج العمرة مصطحبين معهم الابل لذبحها قرابين الى اللّه سبحانه وتعالى ومعلنين لاهل مكة بانهم لم ياتوا للحرب وكان لهذه الحادثة اثران واضحان :.
الاول : اراد الرسول (ص) من ذهابه الى مكة اعلان عدم خوف المسلمين من اي عدو في الجزيرة العربية .
الثاني : مع دخولهم مكة تظهر قدرة الاسلام في مقابل مركز عبادة الاوثان وهذاموشر واضح على قوة وانتصار الاسلام لان مكة كانت من المراكز المهمة والقوية في مقاومة الاسلام ، وادرك اهل مكة ذلك فقرروا منع دخول المسلمين من مكة وعندهاامر الرسول (ص) اصحابه بمبايعته فكانت بيعة شديدة المواثيق والعهود سميت بـ ((بيعة الرضوان)).
ولما سمع المشركون بخبر البيعة قرروا عقد صلح مع الرسول (ص) جا فيه : ان يخرج المشركون من مكة السنة القادمة ويدخلها الرسول (ص) لادا حج العمرة ((٣١)) وبعد ان تم الاتفاق على هذا الصلح توفرت ارضية سهلة للقضا على اعدا الاسلام الكبار والصغار الذين كانوا بين الحين والاخر يحكون المؤامرات ضدالمسلمين او يتعرضون لهم ، فبمجرد ان عاد الرسول (ص) من الحديبية اعد العد ة لحرب هؤلا الاعدا فارسل سرية (عكاشة) الى (بني اسد) ، وسرية (محمد بن سلمة) ، الى (بني ثعلبة) ، وسرية (ابي عبيدة الجراح) ، الى (ذي القصد) ، وارسل ست سرايا ((٣٢)) بقيادة (زيد بن حارثة) لحرب (الجموح) الى (عيص وطرف وحسمى ووادي القرى وام قرفة) ، وسرية (عبد الرحمان بن عوف) الى (دومة

الـجـنـدل) ، وسـريـة (عـلي بن ابي طالب (ع) الى (فدك) ، وسرية (كرز بن جابر) ((٣٣)) الى (عرينين) ، وكل هذه المعارك وقعت بعد الحديبية ((٣٤)) .

وكثير من القبائل التي كانت تعد العد ة لحرب المسلمين قد فشلت وانهزمت قبل ان تنجز شيئا ذا بال ووصـلـت قـدرة الاسـلام الى اوج عظمتها وحينها لم تحد ث قبيلة من القبائل نفسها في ان تخوض مـعـركـة مـع الرسول (ص) والمسلمين واحست مكة بالضعف وعقدت هدنة مع الرسول فاعترفت برسمية الحكومة الاسلامية .

رسائله (ص) الى ملوك العالم . وتـعـاظـمـت في هذه الاثنا قدرة الاسلام وتوسع نفوذه فانتشر اول شعاع لشمسه خارج الجزيرة الـعـربية ، وقام الرسول بارسال سفرا محملين برسائل الى كسرى (ملك ايران) ، وقيصر (حاكم الروم) ((٣٥)) .

والـنـجاشي (حاكم الحبشة) ، والمقوقس (حاكم مصر) ((٣٦)) والى عدة اخرى من الرؤسا والـحكام ادا لتكليفه الالهي ولدعوتهم الى الاسلام فكان جواب بعضهم مثبتا ، وسكت بعضهم الاخر مـاعـدا خـسـرو بـرويـز شاه ايران وهذا دليل على اما : ان التبليغ الاسلامي الصحيح قد وصلهم فـاطلعوا على حقائق الاسلام او احسوا بقدرته ووصلتهم اخباره فكان صلاحهم في عدم المواجهة العسكرية مع المسلمين ((٣٧)) .

ولم يبق من مراكز المؤامرات الا خيبر مركز اليهود ((٣٨)) الذي يجب القضاعليه .

لذلك فقد صم م الرسول (ص) في السنة السابعة للهجرة على اخضاعه مع قبيلة يهودية اخرى كانت تقطن ارض فدك .

بعد ذلك تجاوز الاسلام كل الموانع والعقبات التي كانت امامه وارتفعت رايته عالية بالنصر المبين .

وفي هذه المرحلة وصل الاسلام في الجزيرة العربية الى اوج العظمة والازدهارواستغل الرسول (ص) فرصة الاستفادة من صلح الحديبية للذهاب الى زيارة بيت اللّه لادا فريضة حج العمرة .

وبـعـد ان رجـع الرسول (ص) من خيبر في شهر ذي الحجة اعلن للمسلمين الذين ذهبوا معه العام الـماضي للعمرة ان يتهيؤا الى السفر في العام الحالي ((٣٩)) فلما سمع اهل مكة بهذا الخبر تركوا بـيـوتهم وفروا لاجئين الى الجبال (وفقا للصلح الذي اتفقواعليه) ، ودخل المسلمون مكة رافعين رؤوسهم .

عند ذلك اعلن الرسول (ص) بقوله : ((رحم اللّه امرا اراهم اليوم من نفسه قوة))وبهذا الاسلوب اسـتـطـاع الـمـسـلمون ان يحققوا آمالهم في زيارة بيت اللّه سبحانه وهم يعرضون عظمة وقدرة الاسلام امام اهل مكة ((٤٠) .

وعـنـد حـلول السنة الثامنة من الهجرة وسع الرسول (ص) دائرة نفوذ الاسلام ،فارسل سرية (غـالـب بن عبد اللّه الليثي) الى (بني الملوح) ، و(علا بن حضرمي) ، الى (البحرين) ، وحسب احد الاقوال ارسل سرية (شجاع بن وهب)الى (بني عامر) ، وسرية (

عمرو بن كعب الغفاري) ، الى (ذات الاطلاع) ، في احدنواحي الشام .
وفي هذه السنة بعث الرسول (ص) (عمرو بن العاص) الى (بلي وعذرة)ليدعوهم الى الاسلام ، فوقعت غزوة (ذات السلاسل) ((٤١)) .
وفي السنة نفسها ارسل (عمرو بن العاص) نحو (جيفر وعياز) ابنا جلندي في عمان ليدعوهم الى الايمان ، وياخذ (الجزية) من المجوس .
كما ارسل جيشا بقيادة (ابي عبيدة الجراح) فحدثت غزوة (الخبط) التي وافقت السنة الهجرية نفسها وارسل ايضا سرايا (ابي قتادة) للوقوف بوجه من جهزجيشا لمحاربة الرسول (ص) وحدثت ايضا غزوة (مؤتة) ((٤٢)) في ارض مؤتة وهي احدى القرى في الشام .
وكان عدد المسلمين المشتركين في هذه الغزوة ثلاثة آلاف مقاتل ، وقداستشهد فيها عدد من قادتهم فكان ذلك سببا لشعور المسلمين بالضعف الذي يعدنصرا للاعدا ، غير ان سرعان ما تهيات اسباب فتح مكة حيث ان قبيلة (خزاعة)كانت حليفة للرسول (ص) وقبيلة (بني بكر) حليفة لقريش فبغت قبيلة (بني بكر)على (خزاعة) وساندتها قريش مما اتاح للرسول (ص) التدخل لنصرة (خزاعة)فامر (ص) بتجهيز جيش لغزو مكة وتمكن بعشرة آلاف من المسلمين وبخطة عسكرية حكيمة من السيطرة على مكة وفتحها بدون قتال .
وبلغ المسلمون آمالهم في الدخول الى بيت اللّه الامن مطهرا من دنس الجاهلية والاوثان .
وعندما راى (ابو سفيان) كثرة المسلمين وقدرتهم انبهر بعظمة الاسلام فصرح الى (العباس) بقوله : ((لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما)) فاجابه العباس : ((ويحك انهاالنبوة)) ((٤٣)) .
وصل الرسول (ص) الى الكعبة ووقف في بابها بعمامته السودا مناديا بالشعارالمعروف لنبذ آداب واعراف الجاهلية بقوله (ص) : ((لا اله الا اللّه وحده صدق وعده ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده)) ، ثم اضاف (ص) : ((الا كل دم في ــ الجاهلية ــ اوماثرة او مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج)) ، ثم قال : ((يامعشر قريش ما ترون اني فاعل بكم)) ؟ قالوا : ((خيرا اخ كريم وابن اخ كريم)) ، قال :((اذهبوا فانتم الطلقا)) ((٤٤)) .
ثم ارسل الرسول (ص) مجموعة من الجيش لاطفا الفتنة التي حدثت بين القبائل في اطراف مكة ((٤٥)) وللوقوف بوجه هوازن التي كانت مصر ة على قتال المسلمين واصطدم المسلمون في (حنين) وردوا بغيهم الى نحورهم ((٤٦)) وبعدهاحاصروا الطائف واجبروهم على التسليم ((٤٧)) .
عندما حلت السنة التاسعة للهجرة تنفس المسلمون الصعدا بتدمير كل مراكزالمؤامرات التي

كان يحوكها المشركون واليهود والنصارى ، وبرزت قوة جديدة الى الوجود ، فاسلمت بعض القبائل المحيطة على يديها وخضع لها بعضها الاخر.

وفي خضم هذه الحوادث جا خبر مفاده ان (هرقل) امبراطور الروم وعددا من العرب الذين اعتنقوا النصرانية يريدون الهجوم على بلاد الاسلام ، فاعلن الرسول (ص) ان يعد المسلمون انفسهم للحرب مع الروم .

ونقل ارباب التاريخ ان الرسول اعلن عن مكان الحرب ولم يتكتم عليه خلافالعادته في الحروب السابقة ربما لبعد الطريق وامثال ذلك ولكن يبدو ان هدفه كان بث الرعب في قلوب الاعدا وقد جهز جيش بصعوبة بالغة وبمعدات قليلة وسمي بـ (جيش العسرة) واتجهوا الى (تبوك) ((٤٨)) وعند وصولهم اليها ومرورهم بـ (ميناايله) فوافق حاكمها على اعطا الجزية وتعاهد مع المسلمين على الصلح ((٤٩)) ثم ارسل خالد بن الوليد الى حاكم (دومة الجندل) فقبل الجزية ايضا ((٥٠)) .

وظل رسول اللّه (ص) في تبوك خمسة عشر يوما تقريبا ولكن جيش الروم تخلف عن المجي فرجع الرسول (ص) الى مكة ((٥١)) .

وفي هذه السنة جات مجموعة من ثقيف واعلنت اسلامها بين يدي الرسول (ص) ((٥٢)) ، وامر الامام عليا (ع) بتطهير قبيلة (طي) من دنس الاوثان فحاربهم وانتصر عليهم واس ر بنت حاتم الطائي وعلى اثر ذلك دخل الاسلام (عدي بن حاتم و) ((٥٣)) .

ان فتح مكة ودخول بني ثقيف الاسلام والفراغ من تبوك كانت مؤشرات على عظمة الاسلام وصدق هذا الدين فتوافد كثير من القبائل على الرسول (ص) واطلعواتدريجيا على معارف الاسلام وعظمته فاعتنق بعضهم الاسلام وبعض عقد صلحاوترك الحرب مع الرسول فسمي ذلك العام (بعام الوفود) ((٥٤)) ، فجا وفد (بني اسد) الى الرسول (ص) قائلين : ((اتيناك قبل ان ترسل الينا رسولا)) ووفد (بلى) ،ووفد (زاريين) ، ووفد (بني تميم) ((٥٥)) .

وصلت رسائل كثيرة من ملوك وسلاطين (حمير) تدل على قبول قدرة وحكومة الاسلام ((٥٦)) .

وكذلك جا وفد (بهرا) ووفد (بني البكا) ووفد (بني فزارة) ، ووفد (ثعلبة بن منقذ) ، ووفد (سعد بن بكر) ((٥٧)) .

ونزلت سورة البراة وقراها الامام علي (ع) معلنا البراة من الشرك وعبادة الاوثان ومنع المشركين من الدخول الى مكة للحج .

((فاقام الناس الحج وحجت العرب الكف ار على عادتهم في الجاهلية وعلي [(ع)]يؤذن ببراة فنادى يوم الاضحى : لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول اللّه عهد فاجله الى مدته)) ((٥٨)) .

وحل العام العاشر للهجرة وصوت الاسلام يدوي في كل مكان ، فجانصارى (نجران) الى المباهلة ،ثم قبلوا الصلح بدونها : ((وصالحوه على الفي حل ة ثمن كل حل ة اربعون درهما وعلى ان يضى فوا رسل رسول اللّه [(ص)] وجعل لهم ذمة اللّه تعالى وعهده الا يفتنوا عن دينهم ولا يعشروا وشرط عليهم ان لا ياكلواالربا ولا يتعاملوا به)) ((٥٩)) .

وانحدرت الوفود تلو الوفود الى المدينة لتعلن وفاها للاسلام والرسول (ص) ،فجا وفد (سلامان) ، ووفد (غبشان) ، ووفد (عامر) ، ووفد (ازد) ، ووفد(مراد) ، ووفد (زبيد) ، مع (عمرو بن معدي كرب) ، ووفد (عبد قيس) ، ووفد(بني حنيف) ، ووفد (كندة) ، ووفد (محارب) ، ووفد (رهاويين) ، ووفد(عبس) ، ووفد (صدف) ، ووفد (خولان) ، ووفد (بني عامر) ، ووفد (طي) ((٦٠)) .

وتتجلى قوة الاسلام في حجة الوداع فبنا على ماذكر في بعض الروايات بان مجموع المسلمين الذين ذهبوا لزيارة بيت اللّه الحرام وحضروا (حجة الوداع) كان اكثر من مائة الف شخص ويعد هذا الاجتماع من اكبر الاجتماعات الدينية في ذلك العصر ، كما تعكس ذلك ايضا خطب الرسول الاكرم (ص) في سفره سوا كانت في مكة ، ام في عرفات ، ام في منى ام في غدير خم ، لتعيين الخليفة والوصي من بعده وقد جا في التاريخ مايلي : ((فارآهم مناسكهم وعلمهم سنن حجهم وخطب خطبته التي بى ن فيها للناس ما بى ن وكان الذي يبلغ عنه بعرفة (ربيعة بن امية بن خلف)لكثرة الناس ، فقال بعد حمد اللّه : ((اى ها الناس اسمعوا قولي فلعلي لا القاكم بعدعامي هذا بهذا الموقف ابدا اى ها الناس ان دماكم واموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا وكل ربا موضوع لكم رؤوس اموالكم وان ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كل ه وكل دم كان في الجاهلية موضوع اى ها الن اس ان الشيطان قديئس ان يعبد بارضكم هذه ابدا ولكنه يطاع فيما سوى ذلك وقد رضي بماتحقرون من اعمالكم)) ((٦١)) .

جا في تاريخ حجة الوداع : انه اثنا ذهاب الرسول الاكرم (ص) الى الحج كان قد اجتمع خلق كثير فـــي الـــمدينة على الرغم من انتشار احد الامراض الذي منع حج كثير منهم : ((ومع ذلك كانت معه جـــمـــوع لا يـــعلمها الا اللّه ، وقد قيل انه خرج معه تسعون الفا ، ويقال : مائة الف واربعة عشر الفا وقـــيل : مائة الف وعشرون الفا ، وقيل : مائة الف واربعة وعشرون الفا ، ويقال اكثر من ذلك وهذه عـــدة من خرج معه واما الذين حجوا معه فاكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذي اتوا من اليمن مع علي [(ع)] وابي موسى)) ((٦٢)) .

ويمكن تقدير عدد المسلمين الذين لم يستطيعوا الحج لتبين مقدار ما وصلت اليه شوكة الاسلام .

واخـــيـــرا جـــهـــز الـــرسول الاكرم (ص) قبل وفاته جيشا بقيادة (اسامة) لحرب ديارالشامات (بصرى) فتخلف بعضهم عن امر رسول اللّه (ص).

نبي الاسلام في القرآن . تمهيد :.

اطـــلـــعنا في السابق على حياة نبي الاسلام بصورة مختصرة من وجهة نظرالمؤرخين ، والان نبين حـــيـــاتـــه الشريفة منذ نعومة اظفاره وحتى انتها عمره ــ كما جافي القرآن الكريم ــ بتحقيق دقيق مختصر يصلح ان يكون مقدمة خاصة للبحوث حول النبوة .

ان بحث الايات القرآنية في هذا الموضوع على الاخص له اهمية بالغة لان المخالفين والمعاندين قد اشـــكـــلـــوا على الرسول (ص) واذا لم تنطبق هذه الايات القرآنية على الواقع العيني لحياته (ص) فعندها يتحقق مورد اتهامهم فاثبت التاريخ اقاويلهم كما اثبتها في امور اخرى .

وبتعبير آخر : بغض النظر عن ان القرآن الكريم كلام اللّه سبحانه وتعالى وكل ماجا به من الايات الـــقرآنية منسجم مع الحقيقة والواقع ولو فرضنا عدم صحة تطابقهافان الايات القرآنية التي تخص حـــياة الرسول (ص) لا يمكن عدم تطابقها مع الواقع ،لانها ستكون وسيلة جيدة لاعتراض وتكذيب الاعـــدا وبـــهذه الاشارة نمعن النظر مرة اخرى في الايات القرآنية والنقاط المهمة التي جات حول مقاطع مختلفة من حياة الرسول (ص).

محيط دعوة الرسول (ص). بـــى ن القرآن الكريم في سورتين منه حياة عرب الجاهلية المعاصرين للرسول (ص) المعنى وهو : (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) ((٦٣)) .

وتعبير (ضلال مبين) في الايتين بيان واضح لتحكم الضلالة والضياع في المجتمع العربي الجاهلي .

ضياع في العقائد حيث كانوا مشركين يعبدون الاصنام التي يصنعونها بايديهم من الحجر والخشب .

وضياع في المسائل الاجتماعية الى الحد الذي يئدون فيه بناتهم احيا وهم يفتخرون بذلك .

وكانوا يطوفون رجالا ونسا حول الكعبة عراة ويعتبرون ذلك من ضمن عبادتهم .

والاعــتدا والحروب واراقة الدما بالباطل كل ذلك كان له قيمة اجتماعية في الجاهلية ، حتى وصل الامر الى ان يرث الابنا احقاد واضغان الابا.

والمراة في خضم ذلك مجرد متاع يقامرون عليه .

وافضل من رسم مفهوم (ضلال مبين) قول (جعفر بن ابي طالب) عندما بى ن اوضاع عرب الجاهلية لــمــلك الحبشة (النجاشي) بقوله : ((اى ها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام وناكل الميتة وناتي الفواحش ونقطع الارحام ونسي الجوار ،وياكل القوي من ا الضعيف حتى بعث اللّه الينا رسولا مــن ا نــعرف نسبه ، وصدقه وامانته وعفافه فدعانا لتوحيد اللّه وان لا نشرك به شيئا ونخلع ما كنا نــعــبــد مــن الاصــنــام وامــرنابصدق الحديث وادا الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدما)) ((٦٤)) .

ولمزيد من توضيح تلك الاشارة التي وردت في الايتين الكريمتين نستعين بيات اخرى حيث جا فيها :.

الاصنام في عقائد العرب . ١.

ان عــقــائد اي قوم او شعب تشكل ركنا اساسا في ثقافتهم وانحطاط تلك العقائديدل على الانحطاط الثقافي والحضاري لهم .

وعلى هذا الاساس ، فعرب الجاهلية كانوا في ارذل درجات الانحطاط الثقافي والضياع حيث كانوا يــعــبــدون الاصــنــام الــتــي يصنعونها بايديهم ثم يرونها تتحكم في مصائرهم بل حاكمة على السما والارض احــيــانا وقد خاطب القرآن الكريم الرسول الاكرم (ص) بصدد ذلك وبقوله تعالى : (قل اتعبدون من دون اللّه ما لايملك لكم ضرا ولانفعا واللّه هو السميع العليم) ((٦٥)) .

وبــالاضافة الى الاصنام الصغيرة فقد كانت لديهم ثلاثة اصنام كبيرة ذات شهرة خاصة في مجتمعهم تمثل بنات الرب وهي وسيلة للتقرب اليه ، احدها (مناة) وكان ما بين المدينة ومكة المكرمة بالقرب من حافة البحر الاحمر ، ولهذا الصنم احترام خاص عند كل العرب انذاك ، فيقدمون اليه القرابين ، واكثر القبائل احتراما وتقديساله قبيلة (الاوس) و (الخزرج).

والــثــانــي في الطائف يعرف باسم (اللا ت) ، وقد شيد في مكانه اليوم مسجدوكانت (ثقيف) من اكثر القبائل احتراما له .

والثالث من الاصنام الكبيرة هو (العزى) وقد وضع في الطريق المؤدي الى العراق قريبا من منطقة (ذات العرق) ولقريش علاقة خاصة بهذا الصنم ،.

وكــانــت اصــنــام اخرى للقبائل والعشائر بل وللعوائل ايضا اذ لا معنى لحياة عرب الجاهلية بدونها فمثلا لو ارادوا السفر الى مكان ما استاذنوا الصنم في ذلك ولهم في اسفارهم اصنام يصحبونها معهم .

وقــد اشــار القرآن الكريم في سورة النجم الى ذلك بقوله تعالى : (افرايتم اللا ت والعز ى #

ومناة الثالثة الاخرى # الكم الذكر وله الانثى) ((٦٦)) .
ومن الجدير بالذكر في الحياة الجاهلية انهم كانوا يكرهون البنات ويئدونهن احيانا بالرغم من اعتقادهم بان الملائكة بنات اللّه وهذه الاصنام تماثيل تلك الملائكة لذلك واجههم القرآن الكريم بمنطقهم وهو كيف تقولون : ان للّه بنات في الوقت الذي تكرهونهن فيه ؟.
وقد استنكر القرآن وذم تلك الافكار الخرافية المنحطة بقوله تعالى : (وجعلواالملائكة ال ذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسالون) ((٦٧)) .
وقد جا الرسول الاكرم (ص) يحارب هذه العقائد الضالة الناشئة من الظن والاهوا كما في ذيل الاية من سورة النجم بعد ان اشار الى الاصنام الثلاثة الكبيرة المعروفة قائلا : (ان هي الا اسما سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل اللّه بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس) ((٦٨)) .
صحيح ان المشركين قد تشبثوا بدليل واه ليبر روا به عبادتهم للاصنام فمن جملة قولهم : (ان ذات اللّه اعلى من ان يصل اليها العقل والفكر الانساني وهو منزه عن ان نعبده بصورة مباشرة) ، وعلى هذا الاساس فالذين وك ل اليهم امر خلقه وتدبيره هم الواسطة اليه وهؤلا هم الملائكة والجن وكل الموجودات المقدسة فهؤلاارباب نعبدهم وهم الذين يقربوننا الى اللّه (مانعبدهم الا ليقربونا الى اللّه زلفى) ((٦٩)) .
وعلى هذا فان ايدينا لا تصل الى هذه المقدسات فنضع لها تمثالا ثم نعبدها اصنامهم وفي تصورهم ان هناك وحدة واتحادا بين هذه الاصنام والوجودات المقدسة فهم يخاطبونها بالالهة والارباب .
وهم بهذه الخرافات الواهية ابتعدوا عن اللّه سبحانه وتعالى وهو اقرب الى الانسان من نفسه ، وبدلا من ان يتوجهوا الى اللّه الذي هو منبع الفيض والقدرة البصير الموجود في كل مكان لجؤوا الى مخلوقات ممكنة لاحول ولاقوة ولاشعورلها بل انها مخلوقة بايدي عب ادها ومع ذلك فقد اجلسوا تلك المخلوقات المنحطة على عرش الربوبية والالوهية ناسين بحر وعظمة الذات الالهية اللامتناهية ولاهثين ورا سراب .
تفشي حالة الفقر الشديد بين الناس . ٢.
في الوقت الذي ثار فيه الرسول (ص) كان عرب الجاهلية يغوصون في فقرشديد الى الحد الذي كانوا يقتلون فيه ابناهم ــ وحتى الذكور منهم اولئك الذين يشكلون الحجر الاساس لحياتهم المادية والاقتصادية ــ ليقللوا عدد الافواه الجائعة ،وكما جا في سورة الاسرا الاية (٣١) (ولاتقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واى اكم) ((٧٠)) .
وقد جس م امير المؤمنين علي (ع) هذا المعنى في تحليل جامع فقال (ع) : ((ان اللّه بعث محمدا (ص) نذيرا للعالمين ، واامينا على التنزيل وانتم معشر العرب على شردين وفي شر

دار منيخون بين حجارة خشن وحى ات صم ، تشربون الكدر ، وتاكلون الجشب)) ((٧١)) .

عباداتهم العجيبة . ٣.

كـــانـــت عبادة المشركين غريبة للغاية ، ويجيب القرآن الكريم ادعا المشركين :بانه اذا كان محمد (ص) قـــد اتى بعبادات فان لنا مثلها ونحن نصلي الى جانب الكعبة كذلك ، قائلا : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية) ((٧٢)) .

نـــعـــم انـــهم يسمون صفيرهم الاحمق وتصفيقهم الابله صلاة ، ((فالمكا)) يعني :صوت الطيور ، وجـــا تـــشـــبـــيه اصوات العرب في الجاهلية حول الكعبة بصوت الطيورربما لانه خال من اي مفهوم كصوت الطيور الذي لا محتوى فيه او ان كل سعيهم كان مجرد غنا.

فـــامـــا ((التصدية)) فمعناها التصفيق ، وهو ضرب اليد على الاخرى ليصدر صوت يسمى تصدية على هذا الاساس سمي تردد الصوت بين الجبال بالصدى ، ولم ينتهوا الى هذا الحد بل يطوفون عراة كـــمـــا ولـــدتـــهـــم امهاتهم حول الكعبة وهذا ما اشيراليه عندما نزلت سورة براة وقام بابلاغها امير الـــمؤمنين علي (ع) في شهر ذي الحجة بقوله : ((لايطوفن بالبيت عريان ولا يحجن البيت مشرك)) ((٧٣)) .

ويـــقال : ان السبب من طوافهم عراة ان مجموعة من عرب (حمس) ((٧٤)) يعتقدون بان طوافهم حـــول الكعبة يجب ان يكون بلباس خاص ، ومن يفتقد يفقد ذلك اللباس ويطوف بملابسه المعتاد عليها فـــعـــليه ان يرميها بعيدا ولايحق له وللاخرين استخدامها بعد انتها الطواف ولذلك يطلقون على هذه الالـــبسة بالـــ (لقا) ، اي مايلقى من الثياب واذا اخذ بنظر الاعتبار ان اكثر الناس كان يسودهم فقر مدقع ولايملكون الا لباسا واحدا فيضطرون وللحفاظ عليه ان يخلعونه ويطوفون عراة حول الكعبة .

وقد استفاد بعض اللاهين احيانا من هذه الخرافة ليعرض بسببها الشباب من الرجال والنسا اجسادهم عارية ((٧٥)) .

ويـــذكـــر ابن هشام ان الرجال كانوا عراة تماما اما النسا فكن يخلعن كل ملابسهن ما عدا ثوبا مشقوق الـــذيـــال يـــبـــدي اجسامهن ثم ينشغلن بالطواف ، وذات يوم طافت امراة في تلك الهيئة امام اعين رجال شرهة فانشات هذا الشعر الذي حفظه لناالتاريخ :.

اليوم يبدو بعضه او كله ـــــــــــ فما بدا منه فلا احله ((٧٦)) اما القرابين التي يقدمونها الى الاصنام فلها قصة مفصلة ، فمن جملة ذلك ان الناس في (دومة الجندل) ((٧٧)) كانوا يقدمون شخصا في كـــل سنة قربانا الى الالهة مع مراسم خاصة ثم يدفنون جسده المدمى قرب المذبح حتى كتب بعضهم ان الـــمـــصـــريـــيـــن كـــانوايقدمون اجمل الشباب والشابات قرابين الى (الهة النيل) ، وقد بقي ذلك التقليدعرفا اجتماعيا لبعض قبائل العرب فينذر الابا ابناهم احيانا قرابين الى الالهة ايضا ((٧٨)) .

الخرافات الاخرى لعرب الجاهلية . ٤.

ومن جملتها مسالة اللحوم المحللة والمحرمة والقوانين المخزية الفارغة التي كانوا يسنونها لانفسهم كما ذكر ذلك القرآن الكريم (وقالوا هذه انعام وحرث حجر لايطعمها الا من نشا بزعمهم وانعام حـرمـت ظـهـورهـا) ((٧٩)) وفـي الاية التي بعدها :(وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركا) ((٨٠)) .

وقـد وعد القرآن اصحاب تلك البدع القبيحة التي ابتدعوها بالخسران كما وردفي ذيل هذه الايات قوله تعالى : (قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم اللّه افترا على اللّه قد ضل وا وماكانوا مهتدين) ((٨١)) .

حتى انهم قد حرموا بعض السنن الباقية من الانبيا (ع) واصبحت غير مؤثرة مثل سنة تحريم القتال فـي الاشهر الحرم (ذي القعدة ، ذي الحجة ، محرم ، رجب)حيث كان ذلك المعتقد عاملا مهما في مـنـعـهـم عـن سفك واراقة دمائهم لكن تلك السنة الخرافية (النسي) كانت تبطل تاثيرها فمتى ما ارادوا تـجـاوز حرمة هذه الاشهر الحرم ، قالوا لا مانع من جعل شهر آخر مكان هذا الشهر فعاب عليهم القرآن هذا العمل السي بقوله تعالى : (ان ما النسي زيادة في الكفر) ((٨٢)) .

ان الـحـج وزيارة بيت اللّه الحرام التي كانت من سنن ابراهيم (ع) ودافعا الى الوحدة والتقرب الى اللّه سـبـحـانـه ، قد تلوث بخرافاتهم ولم تصبح سببا وعاملاللابتعاد عن اللّه سبحانه فحسب بل وللتفرقة والتشتت بين الناس ، لان التعصب للقومية والشرك وعبادة الاصنام كانت سائدة عليها.

شيوع الفساد الاخلاقي . ٥.

لقد بلغت المسائل الاخلاقية السائدة بين عرب الجاهلية اعلى درجات الانحطاط فقد كانت تحكمهم عـداوات شـديـدة واحقاد موروثة من السلف الى الخلف ، لم تقتل الاخلاق فحسب بل ان كل شي في الـمـجتمع ذهب ضحية لهاالعداوة وقد بين القرآن الكريم ذلك للعرب الذين من اللّه سبحانه وتعالى عـليهم بالاسلام بقوله : (واذكروا نعمة اللّه عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من الن ار فانقذكم منها) ((٨٣)) .

و((الـشـفـا)) كما جا في ((مقاييس اللغة)) هي الاشراف والتسلط على الشي وهنايطلق على الاشيا التي يشرف الانسان عليها بالشفا ، مثل الاشراف على جوانب الحفرة او حافة الوادي او حافة الـنـهر ، وكذلك شفة الانسان على جانبي فمه ويطلق ايضا على تحسن صحة المريض لانه يتسلط ويتغلب على المرض .

وعلى كل حال فقد شبه القرآن الكريم حياة عرب الجاهلية بمن يقف على شفاحفرة من النار ليسقط فيها بسهولة ، نار تحرق كل شي وتحوله الى رماد.

كانت العداوة والنفاق والاختلافات مطبوعة في نفوسهم وحاكمة عليهم بحيث صرح القرآن

الكريم لـــنـــبـــي الاسلام محمد (ص) : ان من المستحيل القضا على هذه الاختلافات بالطرق العادية وايجاد الاتحاد والوحدة بينهم الا بمعجزة الهية ، وقدحصل ذلك على يد الرسول الاكرم (ص) (لو انفقت ما في الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم ولكن اللّه الف بينهم) ((٨٤)) .

ان مـــعاقرة الخمر واللعب بالميسر والازلام كانت متفشية بحيث كان من الصعب القضا عليها بمرحلة واحدة ، لذلك جا امر تحريم الخمر على عدة مراحل ((٨٥)) .

كـــمـــا ان احـــد اكبر المفاسد الاخلاقية والاجتماعية هو مسالة (حقوق المراة) في مجتمع عرب الجاهلية ، فقد وصلت الى الحد الذي يتفق مع قاله بعض المفسرين :بانه عندما تحين ولادة المراة في الـــعـــصـــر الـــجاهلي تحفر حفرة وتجلس على شفتهافان كان المولود بنتا قذفته فيها واذا كان ولدا عصمته منها وقد قال احد شعرائهم بهذا الصدد مفتخرا :.

سميتها اذ ولدت تموت ـــــــــــ والقبر صهر ضامن ذميت ((٨٦)) ان هذا العمل سوا كان بدافع الفقر المدقع والاعتقاد بعدم الفائدة الاقتصادية للبنات او بدليل التعصب المفرط ضدهن لتفادي وقوعهن في الحروب اسيرات بيد الاعدافهو افظع واوحش ظواهر عصر عرب الجاهلية .

وقـــد عاب القرآن هذه الاعتقادات مرارا بقوله تعالى : (واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهـــو كـــظـــيـــم # يـــتـــوارى من القوم من سؤ مابشر به ايمسكه على هون ام يدسه في التراب الا سا مايحكمون) ((٨٧)) .

ان هـــذا العمل نوع من انواع التعصب الاعمى لحفظ الشرف وقد جرهم لاقتراف افظع الجرائم : (قـــتـــل الانسان لطفله المسالم) وهو دليل واضح على اعظم حالات الجهل وسقوط الاخلاق وانعدام الـــعـــواطـــف الانسانية والاستهانة بمنزلة المراة في ذلك المجتمع الجاهلي وتعبير ((ايمسكه على هون)) يشير الى ان وجود البنت يعدعار عندهم الى الحد الذي يهرب من قومه وقبيلته تخلصا من عـــارهـــا وغـــافـــلا عـــن ان مـــســـالـــة عدم وجود بنت تعني عدم وجود امهات ، واذا انعدمت الامهات انعدم وجودهم ايضا يقول احد شعرائهم في هذا الصدد :.

لكل ابي بنت يراعي شؤونها ـــــــــــ ثلاثة اصهار اذا حمد الصهر.

فبعل يراعيها وخدر يكن ها ـــــــــــ وقبر يواريها وخيرهم القبر ((٨٨)) .

طفولة الرسول الاكرم (ص). لايـــوجـــد بـــحث كثير في القرآن الكريم عن طفولة الرسول الاكرم (ص) الا في الايات (٦ و٧ و٨) من سورة الضحى حيث نقرا فيها : (الم يجدك يتيما فوى #ووجدك ضالا فهدى # ووجدك عائلا فاغنى).

فـــي الاية الاولى اشارة الى يتم الرسول الاكرم (ص) حيث جا في التاريخ ايضان الرسول الاكرم (ص) عـــنـــدمـــا كان في بطن امه توفي والده (عبد اللّه) ، وفي السنة السادسة من عمره الشريف توفيت والدته فتكفله جده (عبد المطلب).

وفي السنة الثامنة من عمره توفي جده ، فاحتضنه عمه (ابو طالب) وآثره على اولاده

ونفسه .
وفـــي الاية الثالثة اشارة واضحة الى فقر الرسول (ص) في بداية عمره الشريف فمن اللّه سبحانه وتعالى عليه بالقا محبته في قلب خديجة (س) فتزوج منهاواغدقت عليه ثروتها واعانته على حياته ودعوته .
وامـــا فـــي الايـــة الـــثانية فيقول تعالى : (ووجدك ضالا فهدى) وفسره احدالمفسرين بمعنى عدم معرفة الحق .
وقال آخرون : ان مفهوم الاية هو : انك كنت ضالا لا تعرف الحق ونحن هديناك اليه .
وقـــال بـــعـــضـــهم : ان المراد بكلمة ((ضالا)) هو (غافل) عن الاحكام والكتب السماوية ، ولكن بعضهم يذهب الى الضلالة الظاهرية في الطفولة حيث ضاع الرسول (ص) مرة او مرات عديدة عند ابـــواب مكة او في اماكن اخرى واللّه سبحانه هداه الى احضان مملوءة بالمحبة فارجعه الى احضان (عبد المطلب) و(ابي طالب) و (حليمة السعدية) التي كانت امه في الرضاعة .
وقـــد بينا شرح هذه الاية في المجلد السابع من رسالة القرآن في بحث تنزيه الانبيا ، وفي التفسير الامثل المجلد (٢٧) في ذيل هذه الاية آرا مختلفة وافضل التفاسير هو ما ذكر اعلاه .
وعلى كل حال فان هذه الايات تبى ن مراحل نمو طفولة الرسول الاكرم (ص).
ومـــن ابـــرز خـــصـــائص الـــرسول (ص) في هذه المرحلة انه ما تعلم القراة والكتابة عند استاذ قط ولـــربما يبدو لاول وهلة بانه نقص ما ولكنه من النقاط المهمة والقوية في شخصية الرسول الاكرم (ص) ، لانـــه عـــندما جا القرآن الكريم بعباراته ومعارفه الراقية لم يشك احد ان هذا بانه منزل من اللّه سبحانه من نتاج فكر انسان امي .
وقـــد اكـــدت الايـــة (٤٨) من سورة العنكبوت هذا المفهوم بقوله تعالى : (وماكنت تتلو من قبله من كـــتـــاب ولا تـــخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون) ، وبدون شك ان النبي (ص) لو درس على يدي اســـتاذ ما في تلك البيئة التي يعد عدد المتعلمين فيهاقليل جدا لكان من المستحيل عليه ان يتفوه بمثل هـــذا الـــقـــول الـــجلي ، ولجابهه بعض الافراد المطلعين على مجريات الاحداث بتلك الحجة الجيدة متهمين اياه بالكذب والافترا.
ولـــو فـــرضـــنا ان الرسول الاكرم (ص) كان يعرف القراة والكتابة لكان من المسل مات ايضا ان هذا القرآن لم يكن من تاليف عقل بشري فاميته دليل قاطع على هذاالمعنى .
وفي آيتين من القرآن الكريم جا تصريح واضح ايضا بـــ (النبي الام ي) ((٨٩)) وفي آية اخرى ضمنت ذلك المعنى بقوله تعالى : (هو الذي بعث في الامى ين رسولا منهم) ((٩٠)) .
ونحن نعرف ان اشهر تفسير لكلمة ((امي)) هو من لا يقرا ولا يكتب وحاله كحال الذي يخرج من بطن لم ير استاذا ولا مدرسة .
ويفسر بعض اخر كلمة ((امي)) بانه من قام من بين الامة والن اس لا من بين الطغاة

والجبابرين .

وبـــعـــضهم يذهب الى انه من ولد في مكة المكرمة لان احد اسمائها (ام القرى)او من قام من مكة ، وتـــخـــلـــتـــف الروايات بهذا الصدد ولكن لا مانع في ذلك لو احتملناان كلمة ((امي)) تتضمن معنى المفاهيم الثلاثة (لايقرا ولا يكتب) ، وقام من بين الامة ، وولد في منطقة مكة .

بعض المستشرقين المخالفين حاولوا ان يسلبوا هذه الخصيصة من الرسول (ص) كان رجلا غير (امـــي) ولو انه كان كما يدعون خفي ذلك على بيئة لايخفى فيها شي على احد ، بل انها لم تكن قدرة انكار ذلك .

###.

بداية دورة البعثة النبوية . كانت هذه لمحات مختصرة في القرآن الكريم حول حياة الرسول الاكرم (ص)قبل البعثة الشريفة ، والان جا دور البحوث المفصلة حول البعثة البنوية .

اشـــار القرآن الكريم اشارات مختلفة حول مبعث الرسول الاكرم (ص) ومن جملتها الايات الخمس التي جات في اول سورة العلق ، التي اتفق المفسرون على ان نزولها في بداية ((٩١)) الوحي وبعثة الـــنـــبـــي الاكرم (ص) حيث كانت : (اقرا باسم ربك الذي خلق # خلق الانسان من علق # اقرا وربك الاكرم # الذي علم بالقلم #علم الانسان مالم يعلم) كما هو مشهور.

نـــعم اللّه سبحانه وتعالى ذو القدرة الذي انزل اليك كتابا سماويا عظيما يحمل بين دفتيه اعلى العلوم والـــمـــعـــارف الجليلة والقوانين والدروس التربوية بوسائل بسيطة كالحروف الهجائية ، واكد مرة اخـــرى تـــعلم القراة باسم الخالق العظيم واضافة الى مسالة القراة اشار الى تعلم الكتابة والى ان اللّه ســـبحانه هو المعلم ، اللّه معلم البشرالاول الذي (علم الانسان مالم يعلم) فكانت طرق التعليم على ثـــلاث اقـــسام : (قسم خلقها على هيئة علوم فطرية في وجوده مع الانسان في الفطرة وقسم آخر يعتمدالعقل والتدبر والتفكير في عالم الخلق والقسم الثالث عن طريق الانبيا).

ان هـــذه الايات القرآنية تدل على ان البعثة بدات في جو مفعم بالمعنوية ومملؤبنور العلم والمعرفة ((٩٢)) .

فـــثقل الوحي من جهة وثقل الرسالة التي القيت على عاتقي الرسول (ص) من جهة اخرى والمستقبل الـــمـــرعـــب في المجابهة المحتومة مع المشركين المعاندين المتعصبين من جهة ثالثة ، كانت سببا في شـــعـــور الـــنبي (ص) بالتعب الشديد بعد المرة الاولى لنزول الوحي عليه فرجع الى بيته ونام على فراشه واذا بصوت الوحي يقرع مسامعه للمرة الثانية بقوله تعالى : (يايها المدثر # قم فانذر # وربك فكبر) ((٩٣)) .

وهناك اقوال كثيرة حول سبب نزول هذه الاية عند المفسرين .

فبعضهم يقول : ان لها تتعلق بزمان تجمع فيه المشركون العرب في موسم الحج ، وتشاوروا لمجابهة الرسول (ص).

وقد جا في الروايات المتعددة ان الايات الاولى ــ على اقل تقدير ــ من هذه السورة نزلت بعد حادثة غار حرا وبعثة الرسول (ص) والايات الباقية لها تتعلق بالسنوات التالية ((٩٤)) .

وتــشابه هذه الايات ، الايات الاولى من سورة المز مل التي اشارت ايضا الى ان الرسول (ص) تلفع بــردائه ونــام في فراشه فنزل قوله تعالى : (يايها المزمل # قم ال ليل الا قليلا # نصفه او انقص منه قليلا # او زد عليه ورتل القرآن ترتيلا # انا سنلقي عليك قولا ثقيلا).

اسلوب هذه الايات دلالة على نزولها في اوائل الدعوة الاسلامية للرسول (ص) لان القا القول الثقيل يــشــيــر الــى القرآن المجيد على رسول اللّه (ص)في زمان كان عدد المؤمنين به قليلا ، فاضطر (ص) الــى جــمــع الــمــؤمنين ليلاوبعيدا عن انظار الاعدا ليقرا عليهم الايات القرآنية التي كانت تحتوي على المعارف والقوانين الاسلامية .

وطــبــيــعي ان قسما ايات في هذه السورة قد نزلت في السنوات التالية ، بل وهناك احتمال بان الاية الطويلة الواقعة في آخر السورة والتي جا فيها حث على الجهادفي سبيل اللّه سبحانه قد نزلت في المدينة اواخر المرحلة المكية (لان فيها اخباراعن المستقبل القريب).

وعلى كل حال فليس هناك سبب يمنع نزول الايات الاولى من السورة في بداية الدعوة وبالاخص ان كثيرا من المفسرين قد اشاروا الى ذلك .

ومن المعروف ان الرسول (ص) كانت دعوته سرية في بداية البعثة ولم يتصل ويدعو الى الاسلام الا الخواص الذين كان يطمئن باستعدادهم النسبي له وفي هذه المدة آمنت به عدة معدودة .

قصة يوم الدار. وفــي الــسنة الثالثة للبعثة امر اللّه سبحانه رسوله الكريم (ص) ان يعلن الدعوة الاسلامية بنزول الايــة الــكــريــمــة : (وانــذر عــشــيرتك الاقربين) ((٩٥)) (فاصدع بما تؤمرواعرض عن المشركين) ((٩٦)) .

فــاعلن الرسول (ص) دعوته مبتدئا بالاقربين من عشيرته ، وهذه القصة معروفة ،وقد بيناها في القسم السابق .

وفــي هــذه الاثــنــا تعرض الرسول (ص) الى ضغوط متنوعة ، وتحرك الاعداضده من كل حدب وصوب .

والــجــديــر بــالــذكر ان تحرك الاعدا ضد الرسول (ص) كان على عدة مراحل واشكال مختلفة (ويظهر ان هذه المراحل كانت موجودة في جميع الثورات الالهية).

الــمــرحــلة الاولى : كانت مرحلة الاستهزا اول المراحل في زمان لم ينظر فيه المشركون بشكل جــدي الــى الــدين الجديد ، ولم يحسوا بخطره الحقيقي ، بل تصوروا السخرية والاستهزا سينهي الامر سريعا ولا يحتاج الى اكثر من ذلك وجافي سورة الانبيا الاية (٣٦)

تعبير عن تلك المرحلة بـــقـــولـــه تعالى : (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي يذكر الهتكم وهم بذكر الرحمـــن هم كافرون) ((٩٧)) .

ولـــم تنحصر السخرية والاستهزا بنبي الاسلام (ص) بل تعرض لها جميع الانبيا السابقين : (وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) ((٩٨)) .

ولـــمـــا راى الـــمـــشركون ان السخرية والاستهزا لم تؤثر شيئا وان الاسلام ما زال مواصلا لتقدمه الصحيح انتقلوا الى المرحلة الثانية :.

تـــصـــور الـــمـــشـــركـــون انهم سيخرجون الرسول (ص) من الساحة بالصاق التهم به كالجنون او (الـــســـحـــر) ، او (الـــشـــعر) ، او ان ماجا به قد تعلمه على يد هذا او ذاك او انه منقول من اساطير الاولين .

فمرة يقولون : (يايها الذي نزل عليه الذكر ان ك لمجنون) ((٩٩)) .

واخرى يقول بعضهم للاخر : (ائن ا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) ((١٠٠)) .

واحيانا يقولون : (هـــذا سحر وان ا به كافـــرون) ((١٠١)) .

واضـــاف القرآن الكريم : انه ليس مشركو العرب لوحدهم الصقوا تلك التهم بالرسول (ص) فحسب بـــل ان هذه المشكلة قد عانى منها كل الانبيا (ع) على مرالتاريخ : (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون) ((١٠٢)) .

وفي مكان آخر نقرا قوله تعالى : (ولقد نعلم ان هم يقولون ان ما يعلمه بشرلسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهـــذا لسان عربي مبين) ((١٠٣)) .

واحيانا يقولون : (وقالوا اساطير الاو لين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا) ((١٠٤)) .

و(اساطير) جمع (اسطورة) ومعناها القصص الخيالية التي لا صحة لها وبهذاالاسلوب الصقوا انـــواع التهم وكل ما يختمر في اذهانهم بالرسول (ص) ولكن لم يؤثراي منها ، واخذ الاسلام يشق طريقه بسرعة بين الطبقات المختلفة .

الـــمـــرحلة الثالثة : بدات المرحلة الثالثة بضغوط مختلفة : اجتماعية وسياسية ولانهم ادركوا مدى خطورة الاسلام عليهم سعوا الى القضا على الرسول (ص)والمجموعة القليلة التي آمنت به من هذا الطريق .

وقصة شعب (ابي طالب) معروفة اذ تم فيها محاصرة المسلمين في ذلك الوادي المقفر لمدة ثلاث سنوات خلال السنة السادسة للبعثة حيث انتهت بموت اطفالهم وحتى بعض كبار السن .

وكـــذلـــك قـــصـــة الـــهـــجرة الى الحبشة خلال السنة الخامسة للبعثة معروفة ايضا على اثر تعرض المسلمون لضغوط شديدة وتعذيب المشركين لهم .

والـــعـــجـــيب انه لم يتعرض المسلمون وحدهم لهذه الضغوط فحسب ، بل جافي التاريخ انهم عقدوا مـــعاهدة على مقاطعة كل بني هاشم وبني عبد المطلب من المسلمين وغيرهم فلا يتزوجوا منهم ولا يزوجوهم ، وان لا يشتروا منهم ولايبيعوهم شيئا حتى يزداد الضغط على

المسلمين .

مع العلم اننا لا نرى في الايات القرآنية اشارات واضحة حول هذه المسالة ولكن مما كان يتواصى بها الـــمـــشـــركـــون والكفار والمنافقون مع بعضهم في المدينة نستطيع ان نعرف وضع مكة : (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول اللّه حت ى ينفضوا) ((١٠٥)) .

ان هذه الضغوط لم تجد نفعا ايضا ، بل ازداد تعاطف الاخرين شيئا فشيئا مع المسلمين وصار الاسلام انـــشـــودة عـــلـــى كل لسان ، حيث ان المسلمين اكتسبوامظلومية تاثرت بها عواطف مجاميع عظيمة فانجذبوا اليهم .

فاخذت تحركات الاعدا شكلا اكثر حدة في :.

المرحلة الرابعة : وفيها صمموا على قتل الرسول (ص) واراقة دمه ليتخلصوا منه الى الابد او ان يبعدوه عن مكة على اقل تقدير ، ففي (دار الندوة) محل اجتماعهم ومركز مشاوراتهم ، اجتمعوا وطـــرحـــوا خطة شيطانية دقيقة للوصول الى اهدافهم تلك كما يقول القرآن : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين) ((١٠٦)) .

وكـــمـــا نعلم ان اللّه سبحانه وتعالى قد ابطل كل خططهم الشيطانية ونجا الرسول الكريم (ص) من ســـيـــوف الاعـــدا حـــيث هاجر الى المدينة تلك الهجرة الكبيرة التي تركت آثارا عظيمة في التحول الكبير في الاسلام وفي عالم البشرية اجمع .

ومرة اخرى نسمع القرآن يحدثنا بقوله تعالى : (الا تنصروه فقد نصره اللّه اذاخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان اللّه معنافانزل اللّه سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة اللّه هي العليا واللّه عزيز حكيم) ((١٠٧)) .

وبهذا الترتيب تخلص الرسول (ص) من الاخطار المختلفة المحيطة به بلطف من اللّه سبحانه وبدا هـــجرته المباركة بهدؤ وسكينة ودخل الاسلام عندها مرحلة جديدة في حياته ، وبا الاعدا بالفشل الذريع في هذه المرحلة ايضا.

انـــتـــشـــر الاســـلام فـــي الـــمدينة بسرعة فائقة وكثر اتباع الدين الاسلامي فشكل الرسول (ص) الحكومة الاسلامية وصار للمسلمين جيش منظم وبيت للمال وكل ماتحتاجه الدولة آنذاك .

وفي مقابل توسع الاسلام وتثبيت اركانه احس الاعدا بخطر اكثر جدية فوسعوا مجابهتهم ودخلوا :.

الـــمرحلة الخامسة : وهي الحرب المسلحة مع الاسلام ، وبدات الغزوات الاسلامية كغزوة (بدر الكبرى) و (الصغرى) و (احد) و (خيبر) و (حنين)و وواحدة تلو الاخرى وفي كل مرة ــ الا في مورد واحد ــ كان المسلمون يشهدون انتصارات ملفتة للنظر وكانوا في تقدم

مستمر.
وقد اشار القرآن الكريم في كثير من الايات الى هذه المرحلة من حياة الرسول (ص) حيث تعد من اكثر المرتكزات المهمة في هذا المقطع من تاريخ الاسلام .
في الاية (٢٥) من سورة التوبة اشارة اجمالية الى هذه الغزوات بقوله تعالى :(لقد نصركم اللّه في مواطن كثيرة ويوم حنين).
فـكلمة (مواطن) جمع (موطن) وتاتي احيانا بمعنى وطن ومحل الاقامة الدائمية واحيانا بمعنى ساحة القتال ومن هنا جات ((مواطن كثيرة)) اي الساحات المتعددة للحروب الاسلامية حيث بلغ عـدد الغزوات ثمانين غزوة لذا نقرا في الحديث انه : عندما نذر احد خلفا بني العباس انه اذا عافاه اللّه سبحانه فانه يعطي مالا كثيرا للفقها ولم ا تماثل للشفا اجتمع الفقها حوله عاجزين عن تعيين مقدار (الـمـال الكثير) الا ان الامام التاسع (محمد بن علي التقي (ع) فسر الـ (كثير)بـ (ثمانين) (ربـمـا تـكـون ثـمانين الف درهم) لان الاية السالفة الذكر قد اطلقت مواطن كثيرة على الغزوات الاسلامية البالغة ثمانين غزوة ((١٠٨)) .
ثـم جا الفتح المبين و (فتح مكة) وحكم الاسلام شبه الجزيرة العربية باجمعهاوحطم المسلمون آخر معقل للاعدا.
ولـكن العدو المنكسر لم يستسلم فقد اضطر الى تشكيل جمعية سرية (وهم المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالاسلام وينهمكون بانواع المؤامرات ضده باطنا).
وبهذا الاسلوب دخلوا :.
الـمـرحـلة السادسة : (مرحلة نهاية الحرب مع الاعدا) ، وبالطبع ان ظهورالمنافقين بدا مع اول انتصار للاسلام وتوسع في مقابله وما زال مستمرا الى الان .
انهم في هذه المرحلة قد باؤوا بالفشل الذريع ايضا حيث كلما ارادوا التمر على الاسلام كشفهم اللّه سبحانه وابطل حيلهم ولم يبق منها سوى نار خامدة تحت الرمادلم يظهر اشتعالها ثانية الا بعد رحلة الرسول الكريم (ص).
نـزلـت آيـات قـرآنية كثيرة حول هذه المرحلة ايضا تعد من مقاطع القرآن المهمة في اسدا العبر والـدروس فـفـي سـورة الاحـزاب ، والتوبة والمنافقون بحوث حية ومجدية تحكي لنا عن عمق الـمـؤامـرات الـتي قام بها المنافقون ومن جملتهاالاية (٤٨) من سورة التوبة حيث ذكرت بحوث كـثـيـرة حـول هذه الجماعة ومخالفتهم وفتنتهم وتجسسهم قوله تعالى : (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حت ى جا الحق وظهر امر اللّه وهم كارهون).
ان هذه المراحل الست السالفة الذكر لم تكن في مقابل الثورة الاسلامية للرسول الكريم وحده (ص) فحسب بل في مقابل كل الثورات الالهية وهي بدورها موضوع لقصة مفصلة نتعلم منها.
ولـكـن لـم يفلح الاعدا بكل مساعيهم للاطاحة بالاسلام وظلت شجرته زاهية مثمرة حيث غط ت بـاغـصـانـها واوراقها كل اصقاع شبه الجزيرة العربية كما دلت الاية الكريمة (اذا جا

نصر اللّه والفتح ورايت الن اس يدخلون في دين اللّه افواجا) ((١٠٩)) .
الاشهر الاخيرة من حياة الرسول (ص). ان الـــسنة الاخيرة من حياة الاكرم (ص) هي السنة التي كانت فيها (حجة الوداع)ونزلت بها آخر سورة من سور القرآن يعني سورة المائدة ، ومع نزول آخر رسالة للوحي على الرسول (ص) امر اللّه سبحانه وتعالى نبيه الكريم (ص) ان يعين اميرالمؤمنين عليا (ع) وصيا له وخليفة من بعده كما جا في الاية (٦٧ من سورة المائدة) : (يايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته واللّه يعصمك من الن اس ان اللّه لايهدي القوم الكافرين).
وفي (غدير خم) ذلك المعبر الكبير الذي كان مفترق طرق للمجاميع التي جات مع الرسول الاكرم (ص) في (حجة الوداع) وامام الجمع الكبير ادى الرسول الاكرم (ص) حق الرسالة باظهار هذا الامر ((١١٠)) .
وحـــلـــت الحادثة الكبيرة المؤلمة وهي رحيل الرسول الاكرم (ص) من الدنيا في وقت كان الاسلام ثـــابـــت الاركـــان مـــن جـــميع النواحي وله ارضية مهياة للانتشار في جميع انحا العالم ولذا فقد كانت توقعات الاعدا هي ذهاب الاسلام مع رحلة الرسول (ص) ولكن خابت ظنونهم وذهبت ادراج الرياح (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون) ((١١١)) .
وقوله تعالى : (انك مى ت وان هم مى تون) ((١١٢)) و (كل نفس ذائقة الموت) ((١١٣)) .
ان هذا القانون طعام لعالم الخلقة (وخسر هنالك المبطلون).
وبـــدلـــيـــل الايـــة : (يـــريـــدون ان يـــطـــفـــؤا نور اللّه بافواههم ويابى اللّه الا ان يتم نوره ولوكره الكافرون) ((١١٤)) .
ان هـــذا النور الالهي يتالق يوما بعد يوم ، وهو الان ينير افقا واسعا من آفاق البشرية ، وفي كل سنة تتنور آفاق اخرى بنور الاسلام ليزيح الظلام والظلم عن العالم اجمع .
كـــان هـــذا شرحا مختصرا عن المراحل المختلفة لعمر الرسول (ص) في القرآن المجيد ، وشرح كل مرحلة منها يحتاج الى كتاب خاص ومفصل .
الادلة التي تثبت صدق ادعارسول الاسلام . اعـــجاز القـــرآن . تمهيد :.
بـــدون شـــك ان ادعـــا اي مـــدع حـــول اي مـــوضـــوع لا يمكن تقبله الا بالدليل المقنع ، فكيف اذا كان الـــموضوع غاية في الاهمية مثل نبوة الانبيا والادعا بنزول الوحي والارتباط باللّه سبحانه ودعوة الناس الى اتباعهم ؟ على هذا فان اول المسائل التي نواجهها هي مسالة الادلة على نبوة الرسول الاكرم (ص).
وان هذه الدلائل التي نعلم اجمالا بتفرعها تقع تحت اربعة عناوين وهي :.
١ ــ المعجزات .

٢ ــ محتوى الدعوة .

٣ ــ اخبار الانبيا الماضين والكتب السماوية السابقة .

٤ ــ الــقــرائن المختلفة من دراسة سوابق حياته واقربائه واصحابه والوسائل المتخذة للوصول الى الهدف ، وميزان تاثيره في المجتمع ، وميزان اعتقاده وايثاره في سبيل هدفه ، والاخلاق والصفات الاخرى التي تشكل ارضية لمعرفة صدق ادعائه .

مع هذه الاشارة نعود الى معجزات النبي (ص) فنقوم ببحث ودراسة للقرآن الذي يعتبر اول وافضل واخلد معجزة للنبي (ص) وقبل كل شي نقرا منطق القرآن في وصف نفسه :.

١ ــ (قــل لــئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لاياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ((١١٥)) .

٢ ــ (ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوامن استطعتم من دون اللّه ان كنتم صادقين) ((١١٦)) .

٣ ــ (وان كنتم في ريب مم ا نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعواشهدائكم من دون اللّه ان كــنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوافاتقوا الن ار التي وقودها الن اس والحجارة اعدت للكافرين) ((١١٧)) .

١٢ ــ وقد اورد البيهقي ((ابو بكر احمد بن الحسين)) الذي يقول الزمخشري بحقه : ((ان للشافعي دينا على عاتق جميع اتباعه ، الا ان البيهقي ولما كتبه فهو ذو حق على الشافعي نفسه وعلى اتباعه ايضا)) ((٦٧)) .

واورد هذا الحديث في كتاب ((السنن الكبرى)) وهو من اهم كتبه (نظيرا لما وردفي صحيح مسلم لا سيما وان كلمة اهل البيت قد تكررت فيه ثلاثا) ((٦٨)) .

١٣ ــ كما ان الحافظ الطبراني وهو من المحدثين المعروفين لدى اهل السنة ((وقد عاش في القرن الثالث والرابع الهجري)) وكما يقول البعض : انه عاصر اكثر من الف استاذ في الحديث ، يروي في كتابه الموسوم ((المعجم الكبير)) بسنده الى رسول اللّه (ص) ان النبي (ص) دعا الناس الى اتباع الثقلين فقام رجل وساله : يارسول اللّه وما الثقلان ؟ قال : الاكبر كتاب اللّه ، سبب طرفه بيد اللّه ، وطرفه بايديكم ، فتمسكوا به لن تزالوا ولا تضلوا ، والاصغر عترتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

ثم اضاف النبي (ص) : ((وقد سالت ربي لهما ذلك ، فلا تتقدموهم فتهلكوا ، ولاتعلموهم فانهم اعلم منكم)) ((٦٩)) .

١٤ ــ ونقل ابن تيمية ((احمد بن عبد الحليم الحنبلي)) ((المتوفي سنه ٧٢٨ ه))مؤسس ((المذهب الوهابي)) في كتاب منهاج السنة ، هذا الحديث كما ورد في صحيح مسلم ((٧٠)) .

كما نقله جماعة اخرون من علما السنة المشهورين والمعروفين في كتبهم منهم :.

١٥ ــ ابن المغازلي علي بن محمد ، ((الفقية الشافعي وهو من علما القرن الخامس الهجري)) اذ نقل هذا الحديث بمزيد من التفصيل عن زيد بن الارقم ((٧١)) .

١٦ ــ الخوارزمي وهو من مشاهير علما القرن السادس وكان من الفقهاوالمحدثين والخطبا والشعرا ، نقل هذا الحديث ايضا في كتابه الموسوم ب((المناقب)) ((٧٢)) .

١٧ ــ وذكره الذهبي ((محمد بن احمد بن عثمان الدمشقي الشافعي)) وهو من علما القرنين السابع والثامن ، وهو معروف بالتحيز لمذهبة وقد قال تاج الدين السبكي في كتاب ((طبقات الشافعية)) بحقه : انه محدث عصره ، وختام الحفاظ ،ورافع راية مذهب السنة والجماعة ، وامام اهل زماننا ، هذا الحديث ايضا في كتاب ((تلخيص المستدرك)) ((٧٣)) .

١٨ ــ وذكر المؤرخ الشهير علي بن برهان الحلبي الشافعي وهو من علما القرن الحادي عشر ، في كتابه ((انسان العيون)) المشهور بالسيرة الحلبية حديث الثقلين ضمن بيانه لحديث الغدير وبعبارات صريحه كالذي ذكرناه انفا ، وبعد ذكر هذاالحديث يقول بصراحة : ((هذا حديث صحيح حيث نقل باسناد صحيحة وحسنة)) ((٧٤)) .

وذكر ابن حيان المالكي في كتاب ((المقتبس في احوال الاندلس)) شبيه ما ورد في صحيح مسلم ، الا انه ذكر المكان الذي تلا فيه النبي (ص) تلك الخطبة والواقع بين

مكة والمدينة بانه ((الحصائن)) والتي تعني ((القلاع)) ((٧٥)) .

٢٠ ــ واورد ((عــلا الدين علي بن محمد البغدادي)) المشهور ب ((الخازن)) وهو من علما القرن الثامن الهجري في تفسيره ما جا في صحيحي مسلم والترمذي ((٧٦)) .

٢١ ــ واورد ((ابــن ابــي الــحــديــدالمعتزلي عز الدين عبد الحميد)) وهو من علماالقرن السابع الهجري ، هذه الرواية ايضا في شرح نهج البلاغة ، فيقول : ((قد بين رسول اللّه (ص) عترته من هي لما قال : اني تارك فيكم الثقلين ، فقال عترتي اهل بيتي)).

ثــم يــضــيــف : وقد بين رسول اللّه (ص) اهل بيته ايضا في مكان آخر ، عندما نشرعليهم الكسا ، وعــندما نزلت اية : (انما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس) ، قال :الهي هؤلا اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس ((٧٧)) .

٢٢ ــ ونــقــل ((زيــنــي دحلان))الشافعي (سيد احمد) مفتي مكة وهو من علما القرن الثالث عشر الــهــجــري ولــه مــؤلفات كثيرة ، هذا الحديث في كتاب ((السيرة النبوية))الذي طبع على هامش السيرة الحلبية كما نقلة صحيح مسلم تماما ، وكما رواه مسنداحمد بن حنبل عن ابي سعيد الخدري ((٧٨)) .

ترتيب مختصر.

كــانــت هــذه مــجموعة من مشاهير العلما منذ قرون الاسلام الاولى وحتى القرون الاخيرة ، حيث اوردوا حديث الثقلين في كتبهم بكل صراحة ، ولكن لا ينبغي نسيان ان هذه طائفة قليلة من مجموع رواة هــذا الــحديث ، وطبقا لما جا في خلاصة عبقات الانوار فقد ذكر المرحوم مير حامد حسين الــهــنــدي مــائة وســتــة وعشرين كتابامعروفا وقد اورد في كتابه هذا نص العبارة مع رقم الجز والصفحة في الكتاب ((٧٩)) .

ومــن الجدير بالذكر ان هذا الحديث لم يرو عن جابر بن عبد اللّه الانصاري اوابي سعيد الخدري او زيــد بــن الارقم ، رواه ما لايقل عن ثلاثة وعشرين من صحابة رسول اللّه (ص) عنه مباشرة ، فيما يلي اسماؤهم :.

١ ــ زيد بن الارقم ٢ ــ ابو سعيد الخدري ٣ ــ جابر بن عبد اللّه الانصاري ٤ ــ حذيفة بن اسيد ٥ ــ خــزيــمة بن ثابت ٦ ــ زيد بن ثابت ٧ ــ سهل بن سعد ٨ ــ ضمرة الاسلمي ٩ ــ عامر بن ليلى ١٠ ــ عــبــر الرحمن بن عوف ١١ ــ عبد اللّه بن عباس ١٢ ــعبد اللّه بن عمر ١٣ ــ عدي بن حاتم ١٤ ــ عــقــبــة بــن عــامــر ١٥ ــ عــلي بن ابي طالب (ع) ١٦ ــ ابو ذر الغفاري ١٧ ــ ابو رافع ١٨ ــ ابو شريح الخزاعي ١٩ ــ ابو قدامة الانصاري ٢٠ ــ ابو هريرة ٢١ ــ ابو هيثم بن التيهان ٢٢ ــ ام سلمه ٢٣ ــ ام هاني .

تكرار حديث الثقلين على لسان النبي (ص). وهــذا جــدير بالذكر ايضا ، حيث ان النبي (ص) لم يدل بهذا الحديث مرة واحدة فقط كما هو الحال بــالــنسبة لحديث الغدير الذي صرح به النبي (ص) مرة واحدة وسمعه ونقله كثيرون ، بل انه ردد حديث الثقلين في مواطن عديدة

ومناسبات مختلفة .

المواطن التي ذكر فيها الحديث ونقل عن رسول اللّه (ص) في كتب اهل السنة عبارة عن :.

١ ــ فــي غــديــر خــم اثنا عودة النبي (ص) من حجة الوداع ، حيث قام واوردحديث الثقلين ضمن كلماته المفصلة .

وهذا ما ذكرناه آنفا عن صحيح مسلم وخصائص النسائي مع ذكر الاسنادوالمصادر.

٢ ــ خــلال ايــام الحج وفي يوم عرفة وعندما كان النبي (ص) يخطب من على ناقته حيث ادلى بهذا الحديث .

وهذا ما رواه الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد اللّه الانصاري ، وادرج سابقا تحت الرقم ٢.

٣ ــ اورد (ص) هذا الحديث في ((الجحفة)) وهي احد مواقيت الحج بين مكة والمدينة ، كما ذكر ذلك ابن الاثير في ((اسد الغابة)) في احوال ((عبد اللّه بن حنطب)) ،وذكر سابقا في العدد ٨ من سلسلة الاحاديث .

٤ ــ اثــنــا مــرضه الذي انتهى بوفاته ، وعندما كان يدلي بخر وصاياه ،اوصى (ص) بالثقلين وقال : ((ايــهــا الــناس يوشك ان اقبض قبضا سريعا فينطلق بي وقدقدمت اليكم القول معذرة اليكم الا اني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي اهل بيتي ، ثم اخذ بيد علي (ع) فرفعها ، فقال : هذا علي مع القران والقران مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فاسئلوهما ما خلفت فيهما)) ((٨٠)) .

وهناك دقائق وظرائف لا تخفى على اهل الحقيقة .

٥ ــ قــال (ص) فــي ((مسجد الخيف)) اثنا ((حجة الوداع)) : الا واني سائلكم عن الثقلين قالوا : يــارسول اللّه وما الثقلان ؟ قال : كتاب اللّه الثقل الاكبر ، طرف بيد اللّه وطرف بايديكم فتمسكوا بــه لــن تــضلوا ولن تزلوا ، وعترتي واهل بيتي ، فانه قد نباني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض كاصبعي هاتين ((٨١)) .

٦ ــ اثنا عودته (ص) من الطائف ((بعد فتح مكة)) حيث وقف النبي وذكر هذاالحديث وهذه النقاط المهمة ((٨٢)) .

ان هــذا الــتــكــرار والتاكيد في مختلف الامكنة ، في المدينة وفي ايام الحج ، في يوم عرفة ، وفي مــســجــد الــخيف ((ايام منى)) وفي وسط الطريق بين مكة والمدينة ،وموارد اخرى دليل واضح وبرهان قوي وناطق على ان التمسك بهذين الامرين المهمين يعتبر قضية مصيرية ومهمة بحيث كان الــنــبي (ص) يريد توعية المسلمين على اهميتهما لئلا يضلوا ، والعجب العجاب اذا ما تخلينا عنهما بــعــد كــل هــذا الــتــكــراروالــتــاكيد ، والقينا بانفسنا في الضلالة ، او التقليل من شانهم من خلال التبريرات الخاطئة .

فكيف يمكن المرور مرور الكرام بحديث نقله نيف وعشرون من صحابة رسول اللّه (ص) ،

وورد في المصادر الشهيرة ومن قبل الطبقة الاولى ، ونقل في ما يقارب من مائتي كتاب اسلامي معروف لاشك ولاريب في سنده ، ولا غموض في برهانه ؟من المسلم به ان من يمر بهذا الحديث مرور الكرام تقع على عاتقه مسؤولية عظيمة .

فالذي يؤمن بالنبي (ص) باعتباره رسول اللّه (ص) وخاتم النبيين والامين على الوحي ، ويرى تاكيده على التمسك بهذين الامرين المهمين راي العين ، ويعتبران الهدى في اتباعهما ، عليه ان يعلم ان هناك سرا مهما يكمن في هذين الامرين ،(تاملوا جيدا).

المسائل المهمة المستوحاة من حديث الثقلين . ان هذا الحديث الشريف يرسم خطوطا مهمة امام المسلمين وسنشير الى جانب منها بشكل مختصر :.

١ ــ ان القرآن واهل البيت (ع) متلازمان دائما ولا يمكن فصلهما ، والذين يطلبون حقائق القران يتحتم عليهم التمسك باهل البيت (ع).

٢ ــ كما ان اتباع القرآن واجب على المسلمين بلا قيد او شرط فان اتباع اهل البيت (ع) واجب ايضا بلا قيد اوشرط.

٣ ــ ان اهل البيت معصومون ، فعدم افتراقهم عن القرآن من ناحية ، ووجوب اتباعهم بلا قيد او شرط من ناحية اخرى ، دليل واضح على عصمتهم من الزلل والخطا والذنب ، فلو كانوا يذنبون او يخطاون لا نفصلوا عن القرآن ، وان اتباعهم لم يؤمن المسلمين من الضلالة والانحراف ، وان قوله (ص) : ما ان تمسكتهم بهم لن تضلوا ، دليل جلي على عصمتهم .

٤ ــ والاهم من كل ذلك ان النبي (ص) قد رسم هذا الخط للمسلمين على مرالزمان الى يوم القيامة ، فيقول : ((انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) فهذا يوضح بجلا ان هناك شخصا من اهل البيت (ع) بعنوان امام معصوم على مر التاريخ ، وكماان القرآن نبراس هداية فانهم كذلك ، اذن لابد ان نسعى ونعثر عليهم في كل عصروزمان .

٥ ــ يستفاد من هذا الحديث الشريف ان الانفصال عن اهل البيت (ع) او التقدم عليهم يمثل اساس الضلال ، ولا ينبغي تقدم شي على ما يختارونه .

٦ ــ انهم افضل واعلم من كافة الناس .

نعم ، فلا غموض في استجلا هذه الامور من الحديث اعلاه ابدا.

واللطيف ان ((السمهودي)) والشافعي ((٨٣)) وهو من علما القرن التاسع والعاشرالهجري المعروفين وصاحب كتاب ((وفا الوفا)) يقول في احدى مؤلفاته باسم ((جواهر العقدين)) الذي كتبه حول حديث الثقلين : ان ذلك يفهم وجود من يكون اهلاللتمسك به من اهل البيت والعترة الطاهرة في كل زمان وجدوا فيه الى قيام الساعة ،حتى يتوجه الحث المذكور الى التمسك به كما ان الكتاب العزيز كذلك ((٨٤)) .

سؤال اخير.

يبقى سؤال واحد فقط وهو : انه عبر في بعض الروايات وان كانت قليلة جداب ((وسنتي))

بدلا عن ((وعترتي اهل بيتي)) ، حيث عثرنا عليهما في مكانين في سنن البيهقي ، ففي مورد يروي ابن عباس عن النبي (ص) انه خطبنا في حجة الوداع وقال : اني تارك فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا ، ثم قال : كتاب اللّه وسنة نبيه ((٨٥)) .

وفي سند آخر نقل هذا المعنى عن ابي هريرة ايضا ((٨٦)) .

ولكن من الواضح ان هذه الرواية لا يستند عليها في مقابل جميع تلك الروايات التي تصرح باسم اهل البيت والعترة ، وحتى ان كلمة اهل البيت تكررت في بعضهاثلاث مرات ، وتم التاكيد عليهم ، وفي بـــعـــضها جا اسم علي (ع) بالنص ،وان النبي (ص) اخذ بيده وعرف به ، ويبدو ان سلاطين الزمان قاموا بهذا التغييرللافلات من مؤاخذات الناس ، الا انهم لم يستطيعوا التحريف .

فضلا عن ان هاتين الروايتين على فرض صحة حديث ((وسنتي)) لاتتعارضان ،ففي مكان يوصي الـــنـــبـــي (ص) بالكتاب والسنة ، وفي مكان آخر بالكتاب والعترة ،لان النبي (ص) وكما اسلفنا قد ادلـــى بـــهـــذا الحديث مرات عديدة (وفقا للروايات التي وردت في المصادر المشهورة لاهل السنة) فـــتارة في حجة الوداع ، واخرى اثناعودته من الطائف ، ومرة في المدينة وعلى المنبر ، واخرى على فراش المرض والوفاة ((٨٧)) ، فما الضير في ان يقول مرات ومرات : ((وعترتي)) ومرة واحدة : كتاب اللّه وسنتي ؟.

وهل هنالك شخص ينكر ان سنة النبي (ص) هي احدى آثاره العظيمة ، التي يجب العمل بها ؟ وهل يـــمـــكن لمسلم ان يغض الطرف عن سنة رسول اللّه (ص) التي اكد عليها القران ، وقال : (ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر ــ ٧)ويهملها ؟ان هذا المعنى لا يتعارض والتاكيد على اتباع العترة والتمسك بها الواردفي الموارد الاخرى .

وبـــتـــعـــبـــيـــر آخـــر : ان اخـــتيار احدى الروايتين يكون في موضع يتعارضان فيه ،والحال انهما لا يـــتـــعارضان على الاطلاق ، ان التمسك بهدى اهل البيت (ع) هو احدالمصاديق البارزة للعمل بسنة رســـول اللّه (ص) فمن اطاع اهل البيت (ع) فقد عمل بسنة رسول اللّه (ص) ، والذي ادار ظهره لهم وقدم اختياره على اختيار رسول اللّه (ص) فقد تمرد على رسول اللّه (ص).

وعـــلـــى اي حال لا يمكن التنصل من المسؤولية التي حملتها ايانا احاديث الثقلين الاحاديث المتواترة بلاشك ، لا يمكن التغاضي عنها من ناحية السندوالبرهان .

ونختم الكلام بشعر اورده الامام الشافعي بهذا الصدد :.

ولما رايت الناس قد ذهبت بهم ـــــــــ مذاهبهم في ابحر العين والجهل .

ركبت على اسم اللّه في سفن النجاة ـــــــــ ـــــــــ وهم آل بيت المصطفى خاتم الرسل .

وامسكت حبل اللّه وهو ولائهم ـــــــــ كما قد امرنا بالتمسك في الحبل .

وما اسعد الانسان اذ يراهم الملاذ في كل شي ويعرف الحق من خلالهم ((٨٨)) .

وقــد استند في الكثير من الروايات الانفة الى قضية حوض الكوثر ، وسبب ذلك بحسب الظاهر ان حــوض الكوثر يقع في باب الجنة ، وان اول قدم للدخول تكون هناك ، وان الصالحين يزورون النبي (ص) واهل البيت (ع) هناك .

٢ ــ.

حديث سفينة نوح . من الاحاديث المشهورة بحق اهل البيت (ع) والائمة المعصومين (ع) هو((حديث السفينة)) الذي ورد فــي الــكتب المعروفة لدى الشيعة واهل السنة بشكل واسع ، ونحن هنا نبحث في نص واسناد ومصادر هذا الحديث الشريف بشكل سريع :.

لــقــد نــقل هذا الحديث ما لا يقل عن ثمانية من اصحاب رسول اللّه (ص) وهم (ابو ذر ، وابو سعيد الخدري ، وابن عباس ، وانس ، وعبد اللّه بن الزبير ، وعامر بن وائلة ،وسلمة بن الاكوع ، وعلي عليه السلام) ((٨٩)) .

لقد وردت الروايات الانفة في الكتب المشهورة لدى اهل السنة حيث نشير الى جانب منها فيما ياتي ، ــ ولــلــمــزيــد من التوضيح نحث على مراجعة الكتب التالية :احقاق الحق ، الجز التاسع ، وخلاصة عبقات الانوار ، الجز الرابع وسائر الكتب ــ.

ان ابــا ذر كــان ماسكا بباب الكعبة ويقول : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فليعلم اني ابو ذر الغفاري ، سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((مثل اهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)) ، وجا في رواية : ((ومن تخلف عنها غرق)) ((٩٠)) .

وعليه فهم سفينة النجاة في بحر الحياة المتلاطم .

٢ ــ يــروي ((ابن عباس)) وكذا ((سلمة بن الاكوع)) ــ وفقا لما ينقله ابو الحسن علي بن محمد الــشافعي ، المشهور بابن المغازلي ، في كتاب المناقب ــ عن النبي (ص) انه قال : ((اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك)).

وهذه العبارة نقلت عن ابن عباس ، الا ان عبارة ((ابن الاكوع)) اكثر اختصارا وهي :.

((مثل اهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا)).

يقول الشيخ ((محمد امين الانطاكي)) ، مؤلف كتاب ((لماذا اخترت مذهب الشيعة))في بحث حديث الــســفــيــنة : اتفقت آرا علما الاسلام على صحة واستفاضة نقل هذاالحديث حتى بلغ حد التواتر ، وهــنــاك عــدد كــبير من الحفاظ وائمة الحديث واهل السيروالتواريخ نقلوا هذا الحديث حتى بلغ عــددهم اكثر من مائة وحتى غير المسلمين نقلواهذا الحديث ووضعوه بين الاحاديث الاسلامية)) ((٩١)) .

وروي هــذا الــحــديــث في كتاب ((عبقات الانوار)) عن اثنين وتسعين كتابا مكتوبة من قبل اثنين وتسعين من مشاهير علما اهل السنة بشكل مفصل مع جميع المشخصات :.

وفي الملحقات التي ذكرها صاحب كتاب ((خلاصة عبقات الانوار)) نقل هذاالحديث عن ثمانية من الصحابة ، وثمانية من التابعين ، وثلاثة من علما القرن الثاني ، وثمانية من علما القرن

الثالث ، واربعة عـشـر من علما القرن الرابع ، وهكذاقرنا بعد قرن حتى وصل الى القرن الحالي ، وذكرهم جميعا بالاسم والمواصفات ((٩٢)) .

مفاد حديث السفينة . من اجل ادراك المعنى الدقيق لهذا الحديث لابد من القا نظرة على احوال سفينة نوح .

يقول القرآن الكريم : (ففتحنا ابواب السما بما منهمر وفجرنا الارض عيونافالتقى الما على امر قد قدر) (القمر ــ ١١ و ١٣).

لقد دمر هذا الفيضان الشامل وغطى الما كل شي ولم يبق ماوى يلتجي الانسان اليه سوى سفينة النوح الـتـي ضـمن اللّه تعالى لمن ركبها النجاة من الغرق ،بحيث عندما قال ابن نوح بغرور : (ساوي الى جبل يعصمني من الما) فليس هناك فيضان يصل الى قمم الجبال جوبه برد ابيه الجازم والرادع حيث قـال لـه :(لاعـاصم اليوم من امر اللّه الا من رحم) وظهر صدق كلام نوح مباشرة اذ : (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) (هود / ٤٣).

ان تـشـبـيـه اهـل البيت بمثل هذه السفينة وفي تلك الظروف زاخر بالمعاني التي تعلمنا الكثير من الحقائق ، منها :.

١ ــ ان الـعـواصـف سـتـعصف بالامة الاسلامية بعد النبي (ص) وتجرف الكثير معهاويغرق وسط امواجها.

٢ ــ هنالك نقطة واحدة فقط للخلاص من مخالب الاخطار التي تهدد الدين والايمان وارواح الناس ، الا وهي سفينة اهل البيت (ع) التي يعتبر التخلف عنهاومفارقتها سببا للهلاك .

٣ ــ ان الانـفصال عن واسطة النقل في الصحرا قد لا يزامنه الموت دائما ، الا انه يعرض الانسان الى العنا ، بيد ان التخلف عن سفينة النجاة في بحر متلاطم لاينتج عنه سوى الموت والهلاك .

٤ ــ لـقـد كـان شرط الركوب في سفينة نوح (ع) الايمان والعمل الصالح ، من هنافقد عرض نوح على ابنه الايمان ، والانفصال عن الكافرين ، والركوب معه ومع اصحابه في السفينة : (يابني اركب مـعـنـا ولا تكن مع الكافرين) ، بنا على ذلك فشرط نجاة هذه الامه من العواصف والانحرافات هو الايمان واليقين بمقام سفينة النجاة هذه .

٥ ــ لـيست محبتهم فقط التي تؤدي الى النجاة حيث طرح بعض علما الاسلام ذلك بادعائهم ان جميع المسلمين يحبون اهل البيت (ع) ويعظمونهم ، من هنا فهم جمعيا من الناجين .

بـل ان الكلام الذي جا في الرواية هو عن اتباعهم (مقابل التخلف عنهم) ،فان ابن نوح كان يحب اباه الا انه لم يكن يتبعه ، ولم تؤد محبته الى نجاته ابدا (تاملواجيدا).

٦ ــ كـمـا اسـتـفيد من ((حديث الثقلين)) خلال البحوث الانفة بان التمسك بولااهل البيت (ع) مـستمر حتى نهاية العالم ، وان القران واهل البيت (ع) لن يفترقا حتى يردا على رسول اللّه (ص) الـحوض في الجنة ، يستفاد ايضا من ((حديث السفينة)) ، ان هذا الخط مستمر

حتى نهاية الكون ، لان الـــدنيا ظرف العواصف ، اي ان الشياطين ودعاة الضلالة والتائهين في وادي الحيرة موجودون فـــي كل زمان ، ولاتهدا هذه العواصف ، وهي قائمة الى يوم القيامة حيث يحكم اللّه تعالى بين عباده ، فـــتـــزال الاخـــتـــلافات ((٩٣)) على هذا الاساس ، فان وجودالسفينة سفينة النجاة هذه ضرورى الى الابد والتخلف عنها يؤدي الى الهلاك .

٧ ــ ان الـــتـــمـــسك المطلق باهل البيت (ع) (في قبال التخلف عنهم) يمكن ان يكون شاهدا جليا على وجـــود الامام المعصوم في كل زمان من اهل البيت (ع) ،حيث يؤدي اتباعه الى النجاة والتخلف عنه الى الهلاك .

٨ ــ ان هـــذا الـــحـــديث تفسير للحديث المعروف ((ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة ، فرقة ناجية والباقون في النار)) ((٩٤)) .

ويـــبـــرهن على ان الفرقة الناجية هم الذين يتمسكون بمذهب اهل البيت (ع) ،ويهتدون بهداهم في اصول وفروع الدين .

من مجموع ما قيل يمكن الاستفادة ايضا من هذا الحديث المعروف : ان مسالة اهل البيت (ع) يجب ان تكون مسالة بسيطة وعلى الهامش ، بحيث ياخذ المسلمون ما يريدونه في امور الدين والدنيا من الغير ويكتفون بمحبة اهل البيت (ع).

٣ ــ.

حديث النجوم . الـــحـــديث الاخر الذي ورد بشكل واسع بحق اهل البيت (ع) في المصادرالاسلامية ، ويؤكد على انـــهـــم (ع) هـــداة وائمة الناس في كل زمان هو حديث النجوم حيث رواه جماعة كثيرة من اصحاب رسول اللّه (ص) (ما لا يقل عن سبعة اشخاص ، ومنهم علي (ع) ، وجابر بن عبد اللّه ، وابو سعيد الـــخدري ، وانس بن مالك ، والمنكدر ((٩٥)) ، وسلمة بن الاكوع وابن عباس) وجرت الاشارة اليه في عشرات الكتب من قبل حفاظ اهل السنة ومحدثيهم ، حيث ندرج جانبا منها فيمایاتي ، ونشير الى بقية المصادر بشكل اجمالي (للمزيد من اطلاع القرا) :.

١ ــ ينقل ((الحاكم النيشابوري)) في المستدرك عن ((ابن عباس)) ان النبي (ص)قال : ((النجوم امـــان لاهـــل الارض مـــن الغرق ، واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف ، فاذاخالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب ابليس)).

وبعد ذكره لهذا الحديث قال الحاكم : هذا حديث صحيح السند ((٩٦)) .

يـــقـــول العلامة ((الحمزاوي)) في ((مشارق الانوار)) : جا في الرواية التي صححها ((٩٧)) الحاكم النيشابوري : ((النجوم امان لاهل الارض من الغرق واهل بيتي امان لامتي من الاختلاف)).

ومـــن الـــذيـــن اوردوا هـــذا الحديث في كتابه ، ((ابن حجر)) في ((الصواعق)) و((العلامة علي الـــمـــتـــقي)) في ((منتخب كنز العمال)) و ((البدخشي)) في ((مفتاح النجاح))

و((الشيخ محمد صبان المالكي)) في ((اسعاف الراغبين)) و ((العلامة النبهاني)) في ((الشرف المؤبد)) و ((جواهر البحار)) ((٩٨)) .

كل هذا متعلق بالحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي (ص) ، كما اشرنا ايضان هناك رواة كثيرين ايضا نقلوا هذا الحديث عن النبي (ص) ، حيث وردت رواياتهم في كتب السنة والشيعة المعروفة (وبالطبع هناك تفاوت قليل في عبارات هذه الروايات لا اثر لها في ما يمثل الهدف الحقيقي).

فمثلا نقرا في رواية ((سلمة بن الاكوع)) : قال رسول اللّه (ص) : ((النجوم امان لاهل السما واهل بيتي امان لامتي)) ((٩٩)) .

وقد روى هذا المعنى عن رسول اللّه (ص) بشي من الاختلاف كل من جابر بن عبد اللّه الانصاري والمنكدر ، وانس ، وابو سعيد الخدري .

ونقرا في الحديث الاخر الذي رواه علي (ع) عن النبي (ص) بهذا الصدد :((النجوم امان لاهل السما فاذا ذهبت ذهب اهل السما واهل بيتي امان لاهل الارض فاذا ذهب اهل بيتي ذهب اهل الارض)).

وقد نقل هذا الحديث ((محب الدين الطبري)) في ((ذخائر العقبى)) عن ((مناقب احمدبن حنبل)) ((١٠٠)) .

ونقله جماعة آخرون في كتبهم ، مثل ((الحمويني)) في ((فرائد السمطين)) و((ابن حجر)) في ((الصواعق)) و ((محمد بن صبان)) و((اسعاف الراغبين)) و((الخوارزمي)) في ((مقتل الحسين)) و((النبهاني)) في ((الشرف المؤيد)).

مضمون حديث النجوم . ان حديث او احاديث النجوم تشير الى امور مختلفة :.

١ ــ ان هذا الحديث في واقع الامر اشارة الى آيات القرآن التي تبين ان لنجوم السما اثرين مهمين :.

اولا : قوله تعالى : (وبالنجم هم يهتدون) (النحل / ١٦).

ويقول في مكان آخر : (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) (الانعام / ٩٧).

ان هذا في الواقع اشارة الى احدى الفوائد المهمة للنجوم ، فقبل اختراع البوصلة كان من المتعذر تشخيص الطرق لاسيما في الاسفار البحرية ــ حيث لاوجود للجبال والاشجار ــ الا عن طريق النجوم ، لهذا فان السفن تتوقف عن المسيرخلال الليالي التي تغطي فيها الغيوم السما ، واذا واصلت طريقها فان خطر الموت يهددهم .

وهذا يعود الى ان نجوم السما متجمعة ماعدا النجوم الخمسة السيارة (عطارد ،الزهرة ، المريخ ، المشتري وزحل) ولاتغير مكانها ، وكانها جواهر قد رصعت قطعة قماش سودا

، وهذه القطعة سحبت باتجاه معين وهن ياخذن بها في الاتجاه المعاكس ، لهذا فقد سميت ((الثوابت)) بالاضافة الى الـــنـــجـــمـــة القطبية الثابتة في مكانهاالتي لاتبزغ او تافل كسائر النجوم ، وهذا الوضع ادى الى ان يتعرفوا على سائر النجوم ويعرفون مكانها على مدار السنة وان يلتمسوا طريقهم نحو مقاصدهم من خلال الخارطة التي كانت لديهم .

والفائدة الاخرى هي مايقوله : القرآن ان بعض النجوم ((رجوم)) للشياطين ، اي انها بمثابة السهام التي تنطلق نحو الشياطين وتحول دون نفوذهم الى السموات ، اذيقول القرآن : (انا زينا السما الدنيا بـــزيـــنـــة الـــكـــواكب وحفظا من كل شيطان ماردلايسمعون الى الملا الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب)(الصافات / ٦ ــ ٩).

من هذه الايات وسائر ايات القرآن يمكن ادراك مفهوم امان النجوم لاهل الارض .

فـــكـــيف توصد النجوم او ((الشهب)) الطريق امام الشياطين ، وتمنعها عن النفوذالى السموات ؟ ان هـــذه المسالة يجب ان تبحث على حدة ، وقد اوردنا شرحها في ذيل هذه الايات في التفسير الامثل ، ومـــا يـــتـــوجـــب الاهـــتـــمـــام به هنا هو المفهوم الاجمالي للايات التي تبين ان النجوم هي سبب تقهقر الشياطين عن الملا الاعلى ،ويصبح منطقة منزهة للملائكة والكروميين وهذا المقدار كاف لتفسير حديث النجوم .

نـــعـــم فال النبي (ص) كنجوم السما ، فمن جهة ينقذون الناس من الضلالة في ظلمات الكفر والفساد والذنوب ، ويشخصون لهم سبيل بلوغ غاياتهم ، ويحفظون سالكي سبيل الحق من الغرق وسط امواج الضلالة .

ومن جهة اخرى عندما يحاول شياطين الجن والانس النفوذ الى حرم الاسلام ليقوموا بتحريف احكام الـــقـــرآن والـــسنة فانهم (ع) يردونهم على اعقابهم كالشهب الثاقبة ، ويردون كيدهم الى نحورهم ويحولون دون تطلعهم على الاسرار.

وهذه النكتة جديرة بالاهتمام ايضا لاسيما وانها تبين ان اهل البيت (ع) امان للامة ازا الاختلافات ، فـــلو استمرت الاختلافات لصار الناس من حزب ابليس كمايقال : (اختلفوا فصاروا حزب ابليس) وهذا التعبير مفعم بالمعاني .

٢ ــ يـــستفاد من هذا الحديث ان خط هداية اهل البيت (ع) متواصل حتى فناالكون ، كاستمرار امان النجوم لاهل السما او اهل الارض .

٣ ــ انه يثبت عصمتهم من الخطا والذنب ايضا ، فلو امكن صدور الخطا والذنب عنهم لم يتسن لهم ان يكونوا امانا ــ بشكل كامل ومطلق ــ لاهل الارض في مواجهة الاختلاف والضلال ، (تاملوا جيدا).

٤ ــ كما ان نجوم السما تتبادل البزوغ فكلما افل منها واحد بزغ آخر ، وكلمااختفت منها مجموعة في الافق ، طلعت اخرى ، فان اهل البيت (ع) كذلك ايضا.

وقد وضح علي (ع) هذا الامر بصريح العبارة في نهج البلاغة :.

((الا ان مثل آل محمد (ص) كمثل نجوم السما اذا هوى نجم طلع نجم)) ((١٠١)) .
ولـــعـــل الامـــر لا يـــحـــتـــاج الـــى تذكير بعدم امكانية تفسير اهل البيت (ع) في هذه الروايات بنسا الـــنـــبي (ص) ، لانه يتحدث عن اشخاص يمثلون اساس هداية الامة ونجاتها من الغرق في الضلالة ، ويتصدون للاختلافات في كل عصر ، ونحن نعلم ان نسا النبي كن يعشن في زمان خاص ، بالاضافة الى انهن لم يكن لهن دور خاص في التصدي للاختلافات .
سؤال :.
ربـــمـــا يـــقـــال : اننا نقرا في الحديث المروي عن النبي (ص) في مختلف الكتب :((اصحابي بمنزلة النجوم في السما فايما اخذتم به اهتديتم)) ((١٠٢)) .
فهل ان هذا الحديث لايتعارض والاحاديث اعلاه التي وردت بحق اهل البيت (ع) ؟.
للاجابة على هذا السؤال ، لابد من الالتفات الى بعض الامور :.
١ ــ عـــلـــى فرض ان حديث ((اصحابي كالنجوم)) حديث معتبر فهو لايتعارض مع ماورد بحق اهل البيت (ع) ، لان وجود مرجع واحد في بيان حقائق الاسلام لايتعارض مع وجود المراجع الاخرين لاســـيـــمـــا وانـــه لم يرد الكلام في حديث ((اهل بيتي كالنجوم)) عن القرآن الكريم ، بينما يمثل القرآن الكريم اهم سند للمسلمين .
٢ ــ ان هذا الحديث ((موضوع)) و((مكذوب)) من ناحية السند لدى الكثير من عظما اهل السنة ، او مشكوك على الاقل .
ومـــن الـــذين صرحوا بهذا المعنى ((احمد بن حنبل)) احد الائمة الاربعة لاهل السنة ، و ((وابن حزم)) ، و ((ابو ابراهيم المزني)) ، احد اصحاب الشافعي و ((الحافظالبزاز)) و ((الدار قطني)) و((الذهبي)) وطائفة اخرى ، حيث يخرجنا نقل كلام كل منهم عن اطار البحث التفسيري ، ولـــكن بامكانكم مراجعة ((خلاصة كتاب عبقات الانوار))بغية الاطلاع الواسع على جميع هذه الاقوال ((١٠٣)) .
٣ ــ ان مضمون هذا الحديث لايتناسب مع المعايير المنطقية ، فاننا نعلم ان اختلافات شديدة قد وقعت بـــيـــن اصحاب رسول اللّه (ص) (الاصحاب بالمعنى الشامل للكلمة تعني جميع الذين ادركوه (ص) وكـــانـــوا الـــى جانبه) ، وقد اريقت دماكثيرة بسبب هذه الاختلافات ووقعت حروب رهيبة ، فاي منطق يرتضي لنا ان نعتبرفرقتين متخاصمتين وكل منهما متعطش لدم الاخر ، انوار هداية ، ونخير الـــنـــاس بان لافرق بالنسبة لكم في ان تلتحقوا بعسكر امير المؤمنين (ع) او بعسكر معاوية ؟ اي : ان الامـــر ســـيان للقوم في حرب الجمل سوا كانوا مع علي (ع) او مع طلحة والزبير هداية وياخذون بايديكم الى الجنة ؟.
فلا عقل يقبل مثل هذا المنطق ، والنبي (ص) اسمى وارفع من ان ينسب اليه مثل هذا.
ان الـــقـــرائن تبرهن على ان حكام ((بني امية)) ومن لف لفهم قد ابتدعوا هذاالحديث ونسبوه الى الـــنـــبـــي (ص) من اجل ترسيخ دعائمهم او اضعاف معنى حديث النجوم

والتقليل من اهمية اهل البيت (ع) ، ليفهموا اهل الشام ان لو كانت حكومة علي (ع) على الحق ومشعل هداية ، فان حكومة معاوية كـــذلـــك بحكم كونه من اصحاب رسول اللّه ، فلا فرق في ان تكونوا مع هذا او مع ذاك واللّه العالم بحقائق الامور.

٤ ــ.

حديث ((الائمة اثنى عشر)). الـــحـــديـــث الاخـــر الذي يكشف عن منزلة اهل البيت (ع) في الولاية والامامة بشكل عام ، وبامكانه الاجـــابـــة على الكثير من الاسئلة التي ترد بهذا الصدد ، هو ذلك الحديث الذي يذكر ان الائمة اثنى عشر وهو من اشهر الاحاديث ، وقد نقل في اكثركتب الصحاح ،.

وفي البداية نتجه نحو سند الحديث ، ومن ثم نتطرق الى مضمونه :.

روي هـــذا الـــحديث عن جملة من اصحاب رسول اللّه (ص) اذ تنتهي اكثرالاسانيد الى ((جابر بن ســـمرة)) ، ثم الى ((عبد اللّه بن مسعود)) و ((عبد اللّه بن عمر)) ،و((عبد اللّه بن عمرو بن الـــعـــاص)) ، و((عـــبـــد الـــملك بن عمير)) ، و ((ابي الجلد)) ، و((ابي جحيفة)) (وهم سبعة اشخاص على الاقل) ، الا ان حفاظ الحديث والذين نقلوه في كتبهم بلغت عشرات الكتب ، والان نلفت انتباهكم الى جانب منها :.

١ ــ روي في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة انه قال : ((سمعت رسول اللّه (ص) يقول : ((لايزال الاســـلام عزيزا الى اثني عشر خليفة ــ ثم قال كلمة لم افهمها قريش)) ((١٠٤)) .

ويـــنقل في هذا الكتاب بسند آخر عن جابر ، وجا : ((لايزال هذا الامر)) بدلا عن ((لايزال هذا الدين عزيزا)) ، وجا في تعبير ثالث وبسند آخر : ((لايزال هذا الدين عزيزامنيعا)).

ويـــروى عـــن عامر بن سعد بن ابي وقاص بتعبير رابع : انني كتبت الى جابر بن سمرة ان اكتب لي الاخـــبـــار الـــتي سمعتها من رسول اللّه (ص) ، فكتب لي : سمعت رسول اللّه يقول : ((لايزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ، او يكون عليكم اثنى عشرخليفة كلهم من قريش)).

وسمعت ايضا : ((عصيبة من المسلمين يفتتحون بيت ابيض ، بيت كسرى او آل كسرى)).

وسمعت يقول ايضا : ((ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم)) ((١٠٥)) .

وعـــن طـــريق آخر جا في صحيح مسلم نفسه عن جابر : ((لايزال هذا الدين عزيزامنيعا الى اثني عشر خليفة)) ، وفي آخر هذا الحديث تلاحظ ايضا جملة ((كلهم من قريش)) ((١٠٦)) .

٢ ــ جـــا هـــذا الحديث في صحيح البخاري وبعبارات مشابهة ، يقول جابر :سمعت رسول اللّه (ص) يقول :.

((يكون اثنى عشر اميرا فقال كلمة لم اسمعها ، فقال ابي انه قال كلهم من قريش)) ((١٠٧)) .

٣ ــ وذكـــر هـــذا المعنى في صحيح الترمذي ايضا مع شي من الاختلاف ، ويقول الترمذي بعد نقله : ((هذا حديث حسن صحيح)) ((١٠٨)) .

٤ ــ كما جا هذا الحديث في صحيح ابي داود ايضا مع اختلاف بسيط ، ويبرهن نمط الحديث على ان الـــنـــبـــي (ص) ادلى به على الملا العام ، فقد جا فيه ان النبي (ص) حينما قال : ((لايزال هذا الدين عزيزا الى اثني عشر خليفة فكبر الناس وضجوا ثم قال كلمة خفية : كلهم من قريش)) ((١٠٩)) .

٥ ــ ذكـــر هـــذا الـــحـــديث في مسند احمد ايضا وفي عدة موارد ، بحيث عد بعض المحققين في هذا الكتاب طرقه الى جابر اربعا وثلاثين طريقا ((١١٠)) .

وجا عن ((مسروق)) انه قال : كنا جلوسا ليلة عند عبد اللّه بن مسعود يقرئناالقرآن فساله رجل فقال : ياابا عبد الرحمن هل سالتم رسول اللّه (ص) كم يملك هذه الامة من خليفة ؟ فقال عبد اللّه : ما سالني عن هذا احد منذ قدمت العراق قبلك ،قال : سالناه فقال : ((اثني عشر كعدة نقبا بني اسرائيل)) ((١١١)) .

مـــانقلناه اعلاه يتعلق باشهر كتب السنة واكثرها اعتبارا التي نقل فيها عن طرق مختلفة ، ومن بعدها جا في كتب اخرى ايضا ، حيث نشير الى اسما بعضها تجنباللاطالة في الحديث ، وبامكانكم الحصول عـــلـــى مزيد من التفصيل في كتب ((احقاق الحق)) ، و((فضائل الخمسة)) ، و ((منتخب الاثر)) وامثالها.

مضمون حديث ((الائمة اثنى عشر (ع))). ان الـــتعابير التي جات في هذه الروايات متفاوتة ، فقد عبر في بعضها بـــ((اثني عشر خليفة)) وفي بـــعـــض ((اثـــنـــي عـــشر اميرا)) وفي بعض جرى الحديث عن ولاية وحكم اثني عشر رجلا ((مـــاولاهـــم اثـــنـــى عشر رجلا)) ، ولكن غالبا ما عبر بـــ ((خليفة)) ،وفي بعضها جا التعبير ايضا بالعدد فقط ((اثني عشر كعدة نقبا بني اسرائيل)) ، كماعبر في بعضها بـــ ((اثني عشرة قيما)) .

ولكن من الواضح انها جميعا تشير الى مسالة الخلافة والولاية والحكومة ،وبالتالي فهي واحدة .

ومـــن نـــاحـــيـــة اخرى فقد ورد في بعضها : ((لايزال هذا الدين عزيزا منيعا)) ، وفي بعض : ((لايـــزال امـــر امـــتي صالحا)) ، وفي بعض : ((لايزال امر هذه الامة ظاهرا)) ، وفي بعض : ((ماضيا)) وفي بعض : ((لايضرهم خذلهم)).

وتـــعـــابـــيـــر اخـــرى مـــن هـــذا القبيل حيث تشير جميعها الى حقيقة واحدة وهي :صلاح امر الامة واقتدارهم وظفرهم ونجاتهم .

ومن جهة ثالثة تلاحظ جملة ((كلهم من قريش)) في اغلب هذه الروايات التي نقلت باساليب مختلفة ، مـــا عـــدا بعض الروايات مثل الرواية التي نقلها القندوزي الحنفي في ينابيع المودة اذ ينقل في ذيل هذه الرواية عن كتاب ((مودة القربى)) عن ((جابر بن سمرة)) ان رسول اللّه (ص) قال : ((كلهم من بني هاشم)) ((١١٢)) .

وجـــا في اغلب هذه الروايات ان رسول اللّه (ص) خفض صوته اثنا ذكره هذه الجملة ،

وصرح بها ســـرا ، وهـــذا يـــدل بـــوضـــوح ان ثمة اشخاص كانوا يعارضون ان يكون الخلفا الاثنى عشر لرسول اللّه (ص) في قريش او بني هاشم ، مما ادى الى ان يصرح النبي (ص) بذلك بشكل سري

يـكـتـب (ديـنـورت) احـد علما الغرب في مايلي : ((يجب الاعتراف بان الفضل في انتشار العلوم الطبيعية والفلكية والرياضيات في اروبا انما يعود الى تعليمات القرآن والمسلمين واننا لمدينون لهم ، بل يمكن القول : ان اروبا ــ من هذه الجهة ــ هي احدى البلاد الاسلامية ((١٤٥)) .

ويـقـول المستشرق الشهير (نولدكه) : ((لقد فرض القرآن سيطرته باستمرار على قلوب اولئك الذين يخالفونه على البعد واوجد فيما بينه وبينهم ارتباطا قويا)) ((١٤٦)) .

الذين لجؤوا الى المعارضة . ب .

ذكرنا في ما سبق ان المعجزة عبارة عن دعوة الاخرين الى المقابلة بالمثل وعجزهم عن ذلك ، وهنا يـتبادر الى الذهن هذا السؤال : من اين يعلم ــ والقرآن قددعا العالمين كافة ــ ان احدا لم يستطع ان ياتي بنظيره على طول التاريخ .

الـجواب واضح ، فهذا الموضوع ليس بمسالة هامشية حتى يمكن للتاريخ ان ينساها ، بل هي مرتبطة كثيرا بمصير هذه العقيدة المهمة ومصير منافسيها الذين يمتلكون قدرة هائلة ويصرفون سنويا مبالغ ضخمة في محاربة الاسلام ومواجهته ولو كان يقع مثل هذا الامر ، لاتخذوا من ذلك وسيلة اعلامية وبوقا دعائيا واسعاومربحا.

وعـلـيـه بنا على المثل المعروف القائل : ((لو كان لبان)) لابد ان يبدو للعيان كل مظهر من مظاهر الـمعارضة والمواجهة في هذا المجال ، ولهذا السبب كانت تردبعض الاتهامات على عدة من الافراد الـذيـن قد لا يفكرون في معارضة القرآن اطلاقاواتخذ من ذلك وسيلة دعائية ، وهذا يدل بوضوح عـلـى الاصرار الكبير على هذه المسالة من قبل المناوئين ولهذا الامر كانوا يتشبثون بكل الوسائل الممكنة في سبيل الوصول الى مقاصدهم الدنيئة .

الـشـخص الوحيد الذي سجله التاريخ هو (مسيلمة) المشهور (بالكذاب) الذي قام بادعا النبوة في عصر النبي (ص) وعلى ارض (اليمامة) من منطقة شرق الحجاز.

كـان اسـمـه الحقيقي (مسيلمة بن حبيب) واظهر دعوته في اواخر حياة النبي الاكرم (ص) (في السنة العاشرة للهجرة) وكان يحاول ما وسعه ذلك ان يقلد رسول اللّه (ص) في كل شي .

ويدعي ان ملكا ينزل عليه اسمه (رحمان) وياتيه بيات تشابه آيات القرآن .

وقيل : انه طلب من النبي ان يشاركه في النبوة ويوصي بان يقوم مقامه بعدوفاته (ص) حتى يكف عن المخالفة والعدا.

نـسـتـشف من هذه القرائن والامارات بان ايادي العصبة القبلية كانت ورا ،مسيلمة وتؤيده على هذا العمل وتؤازره .

وكـان اهـل اليمامة يتخذون هذه الوسيلة للقضا على سيادة قريش وحاكمية اهل مكة والمدينة التي تحققت تحت ظل مقام نبوة نبي الاسلام (ص).

ولهذا السبب كانوا يبحثون عن رجل يثير الشغب ويطلب الرئاسة والمال ،فوجدوا هذه الصفات عند مسيلمة .

الا ان الـــحديث الذي ينقل عنه بعنوان المعارضة للقرآن يدل بوضوح ــ فضلا عن كل مامر ــ على انه رجل سخيف ، يعتمد السجع في الكلمات من دون ان يهتم بمحتوى كلامه .

من جملة عباراته المضحكة التي نقلت عنه في هذا المجال كتقليد للقرآن ، هي هذه الكلمات :.

((والمبذرات بذرا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ،والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، اهالة وسمنا)) ((١٤٧)) .

يبدو انه يريد من ورا هذه الجمل المضحكة ان يتحدى آيات سورة العاديات او الذاريات .

يقول القرآن : (والعاديات ضبحا # فالموريات قدحا # فالمغيرات صبحا #فاثرن به نقعا # فوسطن به جمعا #ان الانسان لربه لكنود) انظر الى هذا التفاوت البعيد.

ينقل عنه في عبارة اخرى انه نزلت عليه هذه الايات ((ياضفدع بنت ضفدعين نقي ماتنقين اعلاك في الما واسفلك في الطين لا الما تكدرين ولا الشارب تمنعين)) ((١٤٨)) .

وســـائر الاحاديث او بالاصطلاح الايات الاخرى التي نقلت عنه هي على هذه الشاكلة ايضا ، بل ان بعضها اسؤ حالا ، وبعضها ركيك ، فالاعراض عن ذكرهااولى .

يستفاد بوضوح من عباراته التي نقلت عنه انه يولي السجع اهتمامه في جملة فحسب ويرى ذلك كافيا ، بـــالـــضبط على غرار الاشعار التي تنظم في زماننا للاطفال وهي مطالب خاوية ورخيصة تصب من دون معنى مترابط في قوالب شعرية ،ويكتفون بقافتيها فقط.

يذكر المؤرخون : انه كان في عصره امراة معروفة بالكذب اسمها (سجاح على وزن تباه) ، وكانت تـــقول العرب : ((فلان اكذب من سجاح)) نظرا لما اشتهر عنهابالكذب وهي من بني تميم ، وكانت تـــدعـــي الـــنـــبـــوة ونزول الوحي ايضا وتبعها ثلة من الناس واخذت هي الاخرى تنشئ الفاظ السجع كمسيلمة .

يقال : ان اتباع هذين الشخصين المتجاورين استعد كل منهما للحرب مع الاخر ،الا ان مسيلمة توسل بـــاســـلـــوب الحيلة والمكر واختلى بسجاح ، وقال لها : هل ترغبين بالزواج مني ، فتتحد قبيلتي مع قـــبـــيلتك ونحمل حملة رجل واحد على العرب ،فرضيت بذلك ، ومكثت معه ثلاثة ايام ولما رجعت ســـالـــهـــا افراد قبيلتها عن مهر هذاالزواج ، فجات الى مسيلمة وطالبته بالمهر ، فامر مسيلمة احد الاشـــخـــاص بـــالـــندابين القبيلتين : ان مهر سجاح هو رفع وحذف صلاة الصبح والعشا التين وردتا في شريعة محمد.

وعـــنـــدما قتل مسيلمة في حرب اليمامة بعد رحلة نبي الاسلام (ص) على يدقاتل حمزة المعروف (وحشي) اظهرت هذه المراة الاسلام ((١٤٩)) .

ولقد اشتهر هذان الشخصان بالكذب الى درجة بحيث قال احد الشعرا في حقهما :.

والت سجاح ووالاها مسيلمة ـــــــــــ كذابة من بني الدنيا وكذ اب .

٢ ــ ومــن ضــمن الافراد الذين قاموا بمعارضة القرآن في اواخر حياة النبي هو(الاسود العنسي) وكــان هو الاخر يكتفي بتلفيق الكلمات في معارضة القرآن وان كانت فارغة من المحتوى ، وادعى الــنــبوة في ايام حجة الوداع (في اواخر حياة النبي)ولم تستغرق مدة ادعائه للنبوة اكثر من اربعة اشهر.

وقــد فرض سيطرته على بلاد (البحرين) و (نجران) وقسم من بلاد (اليمن)وسواحل (الخليج الفارسي) وغيرها ومن ثم قتل في اليمن على يد ((فيروز)) الايراني مستعينا بزوجته ، ووصلت انبا قتله الى المدينة في حياة رسول اللّه (ص) ((١٥٠)) .

ويــقــال : انــه كــان يعيش في الاماكن المنحطة فكريا وخلقيا ، ولهذا السبب تبعه مجموعة من شذاذ الافــاق ، وكان يراهن على السجع في كلماته لمعارضة القرآن ، كمانقل عن مسيلمة ذلك آنفا الا ان اتباعه سرعان ما اطلعوا على فساد عقيدته وابتعدواعنه .

٣ ــ وردت بــعــض الاتــهــامات المفتعلة ايضا الى عدد من الشخصيات بمعارضة القرآن وان لم يثبت تــاريــخــيــا ، وقد يكون السبب ورا تلك الاتهامات ان مجموعة من الجهال فسرت قسما من المقاطع الــمــســجعة لبعض الادبا العرب على ان ها تحدللقرآن الكريم ، او ان الاعدا المحتالين ارادوا ان يستغلوا هذا الاحتمال .

ومــن جــمــلتهم : (عبد اللّه بن المقفع) وهو من الكتاب والادبا المعروفين في القرن الثاني للهجرة عاصر الامام الصادق (ع) ويقال عنه ا ن ه كان في بداية الامرمسيحيا ثم اسلم بعد ذلك ، وكان يمتلك الاحــاطة الكاملة باللغة الفارسية ، وترجم الى العربية بعض الكتب من جملتها كتاب (كليلة ودمنة) وقد اظهر الاسلام بوضوح في المقدمة التي كتبها لهذا الكتاب ولكن يقال : ا ن ه سمع منه احيانا بعض الكلمات الجارحة .

ومــن ثم سلموه الى امير البصرة (سفيان بن معاوية المهلبي) فقتله بسبب بعض الاختلافات الجانبية بينهما ظاهرا.

ويــقــال : ا ن ه لــمــا اراد سفيان ان يلقيه في التنور قال له : اقتلك وشي علي لانك زنديق قد افسدت عــقائد الناس وعلى اي حال فان عقائده ليست واضحة لنا بدقة ،ولكن المسل م به هو انه لم يدع الى معارضة القرآن ، وان كان بعضهم يرى ان كتابه المعروف (بالدرة اليتيمة) دون لهذا الغرض ، ومن حــســن الــحــظ ان كتابه الانف الذكربين ايدينا وقد طبع عدة مرات ولم تر فيه اية اشارة لمسالة المعارضة للقرآن ، ولايعلم ما هو السبب ورا هذه النسبة له ولكتابه .

وعــلى كل حال لا توجد هناك وثيقة تاريخية تدل على معارضته للقرآن ، وكتابه المذكور وان دون بصورة ادبية الا انه لا يوجد فيه شي يدل على (تحديه) للقرآن .

٤ ــ مــن ضــمن الاشخاص الذين نسبت اليهم هذه التهمة ايضا : (ابو العلاالمعري) وهو من الكتاب والــشعرا المعروفين في القرن الخامس للهجرة ، وكان رجلا ملحدا ، نقل عنه كلام

جارح ، بحيث لايـــمـــكن القياس بينه وبين (عبد اللّه بن المقفع) ، الا انه ــ وعلى اي حال ــ لا يوجد بين ايدينا سند تـــاريـــخـــي يـــدل عـــلى توجهه الى تحدي القرآن ، ولعل توجيه مثل هذه النسبة اليه يعزى الى اتهامه بـــالالـــحـــاد وعـــدم الـــتـــدين من جهة ، والى كونه اديبا وشاعرا وكاتبا من جهة اخرى ، يشهد على ذلك استخفافه بالعبارات المسجعة المذكورة في كتاب (التاج) لابن الراوندي ، اذ يقول بصراحة في (رسالة الغفران) التي كتبها ردا ، على كتاب (التاج) : بان قوافي وسجعيات ابن الراوندي لاتعدو ان تكون نظير ما يقوله الكهنة نحو : اف وتف وجورب وخف ((١٥١)) .

وعلى هذا الاساس ، يرى هو الاخر ان حبك العبارات المسجوعة من دون مضمون ليس لها اية قيمة واهمية .

ومن الجدير بالذكر ، انه يمتلك مقالة جيدة بصدد القرآن في رسالة الغفران نفسها تدل على اعترافه بـــعـــظمة القرآن وشموخ معانيه (وان كان لا يعتبره وحياسماويا) فهو يقول بصراحة : عندما تاتي آية واحدة من القرآن في حديث ما فهي كنجم مضي يتلالا في ليل بهيم .

٥ ــ (احمد بن الحسين الكوفي) الشاعر المعروف بالمتنبي الذي يظهر من اسمه انه كان ادعى النبوة ، وقـــد كان من ادبا القرن الرابع للهجرة ، وهو على جانب كبير من الذوق الشعري ، في بداية الامر اعـــتـــنـــق الاســـلام لكنه ادعى النبوة بعد ذلك كما قيل ،ومن الجدير بالذكر ان دعواه هذه كانت في السنة السابعة عشرة من عمره .

جـــا فـــي حاشية كتاب (اعجاز القرآن) للرافعي : انه ادعى النبوة في سنة ٣٢٠ هـــ وتبعه جمع من (بـــني كلب) ، ومن ثم القاه والي حمص في السجن وتفرق عنه اتباعه ، فتاب وافرج عنه ، ثم انكر هذا الامر بعد ذلك ، ومرت مدة من الزمن اصبح فيها مقربا الى (سيف الدولة) وكلما ذكر في مجلسه ادعـــائه لـــلـــنـــبـــوة كـــان يـــنكرذلك ، قتل في نهاية الامر على يد (فاتك بن ابي جهل) بسبب وقوع اختلافات بينه وبين اتباع (عضد الدولة الديلمي) ((١٥٢)) .

٦ ــ ومـــن ضـــمـــن الاشـــخـــاص الـــذي فكروا في تحدي القرآن : (احمد بن يحيى)المعروف بابن الـــراونـــدي ، وهـــو مـــن مـــتكلمي المعتزلة ، لازم الملحدين والمناوئين للاسلام دائما لانهم كانوا يـــلومونه كثيرا ، وكان يقول : اريد ان احيط علما بعقائدهم ،ثم تظاهر بالالحاد بعد ذلك ودخل في مـــنازعات مع الناس ، يقال : ان اباه كان يهودياثم اسلم ، لذا قال بعض اليهود لبعض المسلمين : ان ابن الراوندي سيضيع كتابكم كما ضيع والده كتاب اليهود.

وكـــتـــبـــوا عنه : انه لم يستقر على عقيدة معينة ، اذ كتب لليهود كتابا في الرد على الاسلام ، مقابل اربـــعـــمائة درهم تحت عنوان (البصيرة) ولما انتهى منه ، انبرى للردعليه ، وامتنع عن ذلك مقابل استلامه لمائة درهم .

ويــقال : انه قام بتاليف كتاب ، يتحدى به القرآن اسمه (التاج) الا انه لم تقع في ايدينا نسخة منه الى وقــتنا هذا وهو الكتاب نفسه الذي يقول عنه (ابو العلاالمعري) : اما تاجه فليس نعلا الا كما قالت الكهنة : اف وتف وجورب وخف ((١٥٣)) .

يــســتنتج بشكل واضح من كل ما قلناه : ا ن احدا لم يعط الجواب المثبت لدعوة القرآن الى المناظرة والــتــحــدي ، عــلــى الــرغم من توفر الدواعي لهذا الامر ، ابتدا من زمن المشركين العرب واهل الــجــاهــلــية ، وانتها بهذا اليوم الذي تخصص فيه القوى الاستكبارية رؤوس اموال ضخمة من اجل الانــقــضــاض على الاسلام والقرآن ، ومن الطبيعي انه اذا كان باستطاعتهم ان يعبئوا طاقات الادبا العرب والعلما الاجانب للاتيان بما يماثل القرآن لما ادخروا وسعهم في ذلك .

ومــا نــشــاهد في طول التاريخ من اشخاص كمسيلمة وسجاح مع كل فضائحهمافانهم لم يثبتوا قدما واحدا في هذا وعندئذ سندرك جيدا عدم امكانية هذا الامر ،والا لكان ذلك ذريعة كبرى يتوسل بها اعــدا الاســلام المعاندون لافشا هذا الامر في كل مكان ، وهذا هو معنى الضعف والعجز من تحدي القرآن .

صــور اعجــاز القــران .

نبي الاسلام في القرآن .

رسول الاسلام في القرآن .

الادلة التي تثبت صدق ادعا.

رسول الاسلام .

صــور اعجــاز القــران .

تمهيد :.

يعتقد بعضهم ان اعجاز القرآن يقتصر على جانب الفصاحة والبلاغة فحسب وهي المحسنات اللفظية والمعاني الواضحة : في حين ان اغلب اصحاب الخبرة والمحققين في عصرنا يذهبون الى عدم صحة هذا الكلام ، لان جوانب الاعجازالقرآني متنوعة ومتعددة ، حتى يمكن القول ا ن نا مع مرور الزمان سنقف على جوانب جديدة من اعجاز القرآن لم تتضح معالمها لنا في الماضي .

ويــمــكــن الــتــعــرف عــلى الجوانب التالية للاعجاز القرآني في وقتنا الحاضر من خلال الشواهد الموجودة في القرآن نفسه :.

١ ــ الاعــجــاز فــي الــفــصاحة والبلاغة وهو ظاهره الحسن وباطنه العميق وبيانه المتين المنز ه وصراحته وقاطعيته وشمولية مفاهيمه ، وانسجام الفاظه مع معانيه .

٢ ــ الاعجاز في المعارف والاطروحات العقائدية .

٣ ــ الاعجاز في طرح المسائل التاريخية .

٤ ــ الاعجاز في سن القوانين .
٥ ــ الاعجاز في العلوم العصرية والمفاهيم العلمية المجهولة في عصر القرآن .
٦ ــ الاعجاز في التنبؤات المستقبلية والاخبار الغيبية .
٧ ــ الاعجاز في عدم وجود الاختلاف بين الايات القرآنية التي نزلت طيلة ٢٣عاما بالرغم من تغى رات الظروف للاوضاع الزمانية والمكانية كافة .
ومع هذه الاشارة نعود الى القرآن مرة اخرى لنبحث كل واحدة من الصورالمتقدمة بصورة مستقلة :.
١.
الاعجاز القرآني في الفصاحة والبلاغة . يــقــول علما المعاني في تعريف البلاغة والفصاحة : ان الفصاحة تستعمل تارة لوصف الكلمة ، وتارة اخــرى لوصف الكلام وهي : عبارة عن خلو الكلام من الحروف والكلمات الثقيلة غير المحببة ذات الايــقــاع الــردي غــيــر الــمتجانس من العبارات الركيكة والضعيفة والمنفرة والوحشية والمعقدة والمبهمة .
وامــا الــبــلاغة فهي عبارة عن تناسب الكلام مع مقتضى الحال والانسجام التام مع الغاية المتوخاة من الكلام .
وبــعبارة اخرى : الفصاحة ناظرة الى كيفية الالفاظ والبلاغة ناظرة الى كيفية المعنى والمحتوى ، او بــعــبارة ثانية : الفصاحة تقتصر على الجوانب الشكلية والظاهرية للكلام والبلاغة تقتصر على الجوانب المعنوية والجوهرية .
ومــمــا لاشك فيه ان هذين الامرين ينطويان على جانب ذوقي واستحساني فضلاعن الجانب العلمي والــقــانــوني ، ولكن هذا الجانب الفني والذوقي نفسه يتفتح ويكتمل ويتسق في ظل التعليم والتربية والاعــتماد على القواعد التي تستقى غالبا من كلمات الفصحا والبلغا نظير الحس الشعري او القابلية على الخط اللذين يتكاملان بالتعليم والممارسة والاستعانة بالمعلم .
وعــلــى كــل حال يعتقد بعضهم ان اعجاز القرآن والدعوة الى التحدي التي وردت في آيات مختلفة مستندة الى هذا المعنى نفسه ، ويمكن الاستدلال على ذلك بالامور التالية :.
١ ــ اشــتــهر العرب في عصرهم وزمانهم بالتفنن في مجال الفصاحة والبلاغة فحسب ، بحيث بلغت اشــعــار الــجــاهلية اوج فصاحتها ، وكان احد اهم برامجهم هوقراة اجمل قصائد تلك السنة خلال التجمع الاقتصادي الذي يعقد في (سوق عكاظ) بالقرب من الطائف في كل عام .
وعــنــدما يقع اختيارهم على افضل هذه القصائد يعلقونها على جدار الكعبة بصفتها اثرا ادبيا قى ما ، ومع مرور السنين علقت سبع قصائد اشتهرت فيما بعد بــ(المعلقات السبع).
وعــلــى هــذا الاســاس اذا اراد القرآن ان يدعوهم الى التحدي والمعارضة فيلزم ان يكون في هذا المجال .

٢ ــ ولــعــل الاتــهام الذي كان يوجهه المشركون العرب الى القرآن بكونه سحراوالى النبي بكونه ساحرا يعود الى الجاذبية القرآنية الهائلة ، التي تشتمل على روعة الكلام والفصاحة .

٣ ــ نقرا في الحديث الوارد عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) في صدد توافق معجزات الانبيا مع الــعــلــوم والــفــنون المتطورة في اعصارهم : ان اللّه تعالى لما بعث موسى (ع) كان الغالب على اهل عــصره السحر فاتاهم من عند اللّه تعالى بما لم يكن في وسعهم مثله وما ابطل به سحرهم واثبت به الــحــجة عليهم وان اللّه تعالى بعث عيسى (ع) في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس الى الطب فاتاهم من عنداللّه بما لم يكن عندهم مثله وبما احيى لهم الموتى وابر الاكمه والابرص باذن اللّه ،واثــبت به الحجة عليهم وان اللّه تبارك وتعالى بعث محمدا (ص) في وقت كان الغالب على اهل عصره الخطب والكلام (واظنه قال : الشعر) فاتاهم من اللّه عزوجل ومواعظه واحكامه ما ابطل به قولهم ، واثبت به الحجة عليهم ((١٥٤)) .

ان جميع هذه القرائن تدل على ان الاعجاز القرآني كان ولايزال ناظرا الى جانب الفصاحة والبلاغة الا ان واقع الامر هو ان الاعجاز في الفصاحة والبلاغة كان مورداهتمام عميق الا ا نه لم ينحصر به .

خصوصا ان الجوانب الاخرى من الاعجاز القرآني واضحة جلية .

وللحصول على اطلاع كاف بصدد اعجاز القرآن فلابد من الالتفات الى النقاطالتالية :.

١ ــ تــقــدمــت الاشارة الى ان عرب الجاهلية كانوا على جانب كبير من الفصاحة والبلاغة بحيث ان الــقصائد المتبقية من ذلك العصر ومن جملتها (المعلقات السبع)مازالت تعرف بالقصائد المنتخبة لدى العرب .

الا انــنا نعلم بانهم جمعوا قصائدهم كلها بعد نزول القرآن وخضعوا امام الفصاحة القرآنية المنقطعة الــنــظير ، وبالرغم من امتلاكهم كل الدواعي والحوافز الذاتية لمعارضة القرآن ومنازلته الا انهم اخفقوا في ابدا شي ما.

ولــقــد اطــلــعنا على نماذج حية واضحة من تاثير القرآن في هذا المجال في البحث السابق لجاذبية القرآن .

٢ ــ يــقــف ثلة من الذين تعرضت مصالحهم اللامشروعة للخطر بوجه رجال الحق دائما وعلى طول التاريخ ، ليوجهوا اليهم التهم والافترات ، وبالرغم من كونها كاذبة الا انها تحكي عن بعض الحقائق الموجودة في تلك البيئة .

فــعــلــى ســبــيــل المثال ، من ضمن الافترات التي وجهت الى نبي الاسلام (ص)هي مسالة السحر والساحرية ، التي كانت تستخدم ضمن نطاق واسع .

ويــقــول الــقــرآن في الايات (٢٤) و (٢٥) من سورة المدثر على لسان الوليد كبيرالمشركين : (فــقــال ان هذا الا سحر يؤثر# ان هذا الا قول البشر) ((١٥٥)) فالسبب

الرئيس ورا هذه النسبة الـمـفـتعلة للنبي (ص) هو النفوذ العجيب والخارق للايات القرآنية التي استحوذت على القلوب من خلال فصاحتها وبلاغتها العجيبة ، بحيث لا يمكن ان يعتبروا هذا النفوذ امرا عاديا ولذلك لم يجدوا لـفظة مناسبة ينسبونها له سوى لفظة (السحر) ، التي تعني في اللغة كل عمل خارق للعادة ومجهول الـمـنـشـا ، فـاولئك وان ارادوا بهذه النسبة ان يسدلوا الستار على هذه الحقيقة الناصعة وينكروا الاعجازالالهي ، الا انهم اعترفوا بحديثهم هذا بدون وعي منهم بعظمة القرآن وجاذبيته السحرية .

٣ ــ ان من يتتبع آثار المؤلفين والادبا يجد انهم عادة ينقسمون الى فئتين مختلفتين : فئة تعلق اهتماما كبيرا على الجانب الفني للالفاظ ، وتجعل المعاني في بعض الاحيان ضحية للالفاظ وبعكس ذلك فئة لا تولي اهتماما كبيرا للالفاظ وانماتستخدم كامل قدرتها ونبوغها في النظر الى عمق المعاني ولهذا الـسـبـب قـس م كـت اب تـاريـخـنا الادبي الاثار القديمة للشعرا الكبار ، الى اسلوبين مختلفين ، الاسلوب العراقي والاسلوب الهندي .

الـشـعرا الكبار الذين نظموا قصائدهم على النحو الاول ، استخدموا قابلياتهم الفنية في مجال التفنن بـروعة الالفاظ وحسنها في حين ان اتباع النحو الثاني وجهواهتمامهم في الغالب الى دقائق المعاني والملابسات المحيطة بها.

ومـمـا لايـقبل الانكار ان الذين ابدوا اهتمامهم بكلا الامرين وخلفوا وراهم آثاراطيبة ، هم نزر يسير الا ان الحديث عن مدى نجاحهم في هذا المضمار ذوشجون .

والـدلـيل على هذا الكلام واضح ، لان الالفاظ الجميلة العذبة لا تتحكم في واقع المعاني المطلوبة ، ولا تـعـكس حقائقها الدقيقة فيها ، ولهذا غالبا مايقف الشاعروالمتكلم على مفترق طريقين : جمالية اللفظ وجمالية المعنى ، ومن ثم يضطر الى اختيار احدهما ، ولذلك في كثير من النثر والنظم تذهب المعاني ضحية للسجع والقافية .

غـيـر ان الـذين اطلعوا على آداب العرب وتعرفوا على حقائق القرآن يفهمون جيدا ان هذا الكتاب الالـهـي الـكـبير حافظ على الامتياز المهم الى حد الاعجاز فالفاظه في منتهى العذوبة والحلاوة ، والـجـمـل الـمحبوكة في غاية الدقة والجمال والكلمات فيه ذات ايقاع ووزن عذب ، والمعاني قد اعطي حقها بكل خصائصها ودقتها ، وهذه هي احدى ابعاد اعجاز القرآن في الفصاحة والبلاغة .

ان الـقـرآن لا يـتكلف بادا المعاني ويبين مراده بوضوح وفي الوقت نفسه يضفي على المعاني الفاظا عذبة وفي منتهى الجمال .

٤ ــ اشـتهر الشعرا والفصحا بهذه الصفة : وهي انهم غالبا مايبالغون الى حدالكذب في احاديثهم من اجـل التوصل الى حلاوة البيان وطراوته ، وعلى سبيل المثال يجعلون الطبقات السبع للارض ستا ، والطبقات السبع للسما ثمانيا لتصاعدغبار حوافر خيل العسكر ، في الصحرا او وضع تسعة مقاعد مـن الـفـلك تحت قدميه ليصل الى طول ركاب (قزل ارسلان)

او يجعلون من القلب بحرا ، ومن الدم ومن دمع العين نهر (جيحون) حتى قالوا :.
لاتراوغ في الشعر وفي فنه ـــــــــــ لان اكذبه هو احسنه .
وعـــلى هذا الاساس فان اعذب الشعر اكذبه ويشير التعبير القرآني في صددالشعرا الى انهم غالبا مايستغرقون في تخيلاتهم وتشبيهاتهم الشعرية : (الم تر انهم في كل واد يهيمون) ((١٥٦)) .
غـــيـــر اننا حينما نراجع القرآن لا نجد في جميع الموارد هذه المبالغة الكاذبة ،وبالرغم من وجود كل الدقة والجمال في الالفاظ والمعاني نجدها كلها تشترك في تبيين الحقائق .
ولهذا السبب نشاهد ان القرآن يبرئ ساحة نبي الاسلام (ص) من تهمة الشاعرية ، وساحته ايضا من تهمة الشعر ((١٥٧)) .
نـــعـــم على الرغم من خلو القرآن من عن التخيلات الشاعرية والمبالغات والاستغراقات البعيدة عن الـــحـــقيقة الشعرية ، والتشبيهات والاستعارات الوهمية ، ولاينطوي الا على بيان الحقائق بصورة واقـــعـــيـــة وقـــطـــعية ، بالرغم من ذلك كله نجده في الوقت ذاته في منتهى العذوبة والجاذبية بحيث استقطب الى نفسه البعيدين عن الاسلام بل حتى المخالفين للنبي (ص) وذكرنا امثلة لذلك في البحث السابق عن جاذبية القرآن .
ومن الجدير بالذكر ما ينقله التاريخ من ان كثيرا من الشعرا العرب عندماصطدموا بفصاحة القرآن ، ارتـــضـــوا الاســـلام طـــوع انفسهم ، ومن جملة الشعرا الذين اسلموا تحت تاثير جاذبية القرآن هو (لـــبـــيـــد) الـــذي كان له في زمن الجاهلية احدى المعلقات السبع (وهي سبع قصائد شعرية معروفة ومتميزة انتخبت وعلقت على جدار الكعبة).
وكذلك اسلم حسان بن ثابت تحت تاثير جاذبية القرآن وهو احد الشعرا.
الاثريا ايضا.
ومـــن الـــشـــعـــرا الـــذين دخلوا الى الاسلام طواعية واستفادوا كثيرا من جاذبية القرآن هم كل من (الخنسا)شاعرة العرب النقادة ، و(الاعشى) الذي كان من نوادر الشعرا.
٥ ــ من الظواهر الاخرى للفصاحة والبلاغة القرآنية هو الايقاع الخاص الموجودفي القرآن نفسه .
ان احاديث الادبا عادة اما ان تكون شعرا او نثرا ، اما القرآن فليس شعرا ولانثرا عاديا ومعروفا ، وانما هو نثر ذو ايقاع خاصة به ، نثر حينما يتلوه قر ا القرآن يقع غالبا في قالب موزون كامل .
واذا كـــان لا يـــمكن استعمال كلمة (الموسيقى) فيما يخص القرآن لانه يمتزج في عرفنا بالمفاهيم الـــســـلـــبية الا ان بعض الكتاب العرب المعروفين نظير (مصطفى الرافعي) يقول في كتابه (اعجاز الـــقـــرآن) : ((الاســـلوب القرآني يسبب ويوجد الحاناتلفت اسماع كل مستمع اليها ، وهي نوع من الـــموسيقى الخاصة التي لم تكن في الكلام الموزون في ذلك الزمان وهذا

الترتيب والنظم كان يلطف طباع العرب ويعرفهم اسلوبا جديدا في الكلام لم يكن موجودا سابقا)).

ويـــقـــول (بـــولاتـــيـــتلر) احد العلما الغربيين في هذا المضمار : ((من الخطا ان نفكربان الفصاحة الانـــسانية تستطيع ان تؤثر بمثل ما يؤثر القرآن لانه دائما يسير باطراد الى الرفعة بدون ان يرى فـــيـــه اي ضـــعـــف وفتور ، وكل يوم يفتح لنا قمما جديدة ، نعم انه معجزة يتضال امامها اناس الارض وملائكة السما)) ((١٥٨)) .

ويـــضيف الى ذلك عالم آخر اسمه (كنت هنري دي كستري) قوله : ((اذا لم تكن في القرآن غير عـــظـــمة المعاني وجمال المباني لكان كافيا لان يتسلط على كل العقول ويجذب جميع القلوب اليه)) ((١٥٩)) .

٦ ــ ومن الامور المهمة ايضا : ان اي حديث يبعث الملل والسام مع التكرارعادة ، الا القرآن فانه في مـــنـــتهى الروعة بحيث لو قرئ مئات المرات لاحتفظبجاذبيته ورونقه ، الامر الذي يدركه عشاق القرآن وغيرهم بوضوح .

وهـــذا مـــا نقراه جليا في الحديث المشهور عن الامام علي بن موسى الرضا (ع)بان رجلا سال الامام الـــصـــادق (ع) ((مـــا بـــال القرآن لا يزداد على النشروالدرس الا غضاضة ، فقال : لان اللّه تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض الى يـــوم الـــقـــيامة)) ويقول علي (ع)في جملة مختصرة وبليغة ايضا : ((لا تخلقه كثرة الرد وولوج السمع)).

٧ ــ ومـــن دقـــائق الفصاحة والبلاغة في القرآن هو تجنب كثرة الالفاظ ومراعاة الاختصار ، مع ما يـــؤديه من وضوح المعنى وبيان تمامية المقصود ، وهو ما يسمى اصطلاحا بترك ((الايجاز المخل)) و ((الاطناب الممل)).

وقـــد تـــمت مراعاة ذلك في آيات القرآن على احسن وجه ، فنجد احيانا آية واحدة من القرآن تبين مـــعالم قصة طويلة بحيث ان كل جملة منها تتكلم عن مجال واسع من هذه القصة ، ونقف على هذا في امـــثلة كثيرة من القرآن ، ومنها الاية المشهورة التي تقول : (وقيل يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي وغيض الماوقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) ((١٦٠)) .

نـــعـــم هـــذه هي الاية نفسها التي جثى لها الاديب العربي المعروف (ابن المقفع)على ركبتيه عندما قصد القيام بمعارضة احد ارباع القرآن حسب الاتفاق الذي عقده مع زملائه ، وحينما وصل الى هذه الاية اعرض عن ذلك واقر في نفسه بالضعف والعجز الكامل .

ذلـــك لانـــها تروي قصة طوفان نوح (ع) باختصار بارع بكل تفاصيلها ونتائجها ،وبعبارات قصيرة وغـــنـــية بالمعاني ، وحسب قول احد المحققين انها تشتمل على (٢٣) نكتة من النكات الادبية ، من قـــبـــيل : (الاستعارة ، الطباق ، مجاز الحذف ،الاشارة ، الموازنة ،

الجناس ، التسهيم او الارسال ، التقسيم ، التمثيل ،الارداف و) ((١٦١)) .

٨ ــ احدى خصائص القرآن من الناحية الادبية ، هي الصراحة القاطعة بما يقل نظيرها ، اضافة الى اللطافة والدقة في العبارات .

ومــن الــمــعلوم ان كل انسان يستمتع بالنبرة الصريحة لاحد الفصحا ، ذلك لانه يبين الحقائق بصدق وامانة وبدون اي تسوية او تشويش ، وليس هناك لذه تفوق لذة درك الحقائق .

ان الــتــشدق والتحدث باشكال متعددة ، يدل بوضوح (الا في المواردالاستثنائية) على عدم ايمان الــمتكلم باقواله ، او على مخاوفه واحتراسه من حكم المستمعين له ، وفي كلتا الحالتين يحكي ذلك عن ضعف وعجز المتكلم .

وتقترن الصراحة والصدق القاطع بالخشونة في اغلب الاحيان والمهم في الامران على المتكلم في الــوقــت الــذي يــكون صريحا فيه ان يهتم بلطافة البيان ايضا ،ونشاهد ذلك في آيات القرآن بشكل واضح .

ومــن اهم الجبهات القتالية للاسلام هي جبهة التوحيد والشرك ، وقد استفادالقرآن من اعلى مراتب الصراحة والقاطعية في هذا المجال فتارة يقول : (ان ال ذين تدعون من دون اللّه لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) ((١٦٢)) .

وتارة اخرى يقول ردا على عبدة الاوثان الذين احتموا بذريعة اتباع عقائد آبائهم واشرافهم هروبا مــن الــمــنــطــق الصاعق للقرآن : (بل نتبع ما الفينا عليه آبانا اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) ((١٦٣)) .

وفــي مــوضع آخر يصعد من حدة قاطعيته في مقابل التوسل باداب وتقاليدالاجداد بقوله على لسان ابراهيم (ع): (لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين) ((١٦٤)) .

ويــقــول في صدد الايمان بنبي الاسلام (ص) : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يح كموك في ما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهرم حرجا مما قضيت ويسلمواتسليما) ((١٦٥)) .

وعلى هذا الاساس يعتبر الشرط الاساسي للايمان الصادق التسليم ظاهراوباطنا وسرا وعلانية ، اضــافــة الــى ايــجاد التوافق بين الرغبات الذاتية والاوامر النبوية الشريفة ، وبالرغم من كل هذه الصراحة والقاطعية نشهد اللطافة والدقة في العبارات بصورة كاملة ايضا.

ونــلاحــظ هــذه الــقــاطعية ايضا بشكل واضح في المباحث الاخرى ، المرتبطة بالمبدا او المعاد ، والقوانين الاجتماعية ، او المسائل المتعلقة بالحرب والصلح ، اوالبحوث الاخلاقية ، والتي يتطلب شرح كل واحدة منها كتابا مستقلا.

٩ ــ الــمــتانة والنزاهة في البيان : الاشخاص الاميون لا يعبؤون بعباراتهم عادة وغالبا ما يستعينون بــالــجــمل البعيدة عن الادب والذوق من اجل التوصل الى ادامقاصدهم من الكلمات ، وبالرغم من ان الــقــرآن ظهر في اوساط هذه الفئة من الناس ،الا انه لم يتاثر بتلك البيئة

على الاطلاق ، وحرص عـلـــى مراعاة منتهى المتانة والعفة في تعبيراته وهو مما اضفى على فصاحة القرآن وبلاغته طابعا خاصا.

وحـــينما يتصدى الخطبا والكت اب الكبار لحوادث العشق او مسائل اخرى مشابهة ، فهم يضطرون لان يطلقواالعنان لالسنتهم واقلامهم كيفما شاؤا فيطرحون الوانا كثيرة ومختلفة من التعابيرالمهيجة والمؤذية لرسم معالم الصورة الواقعية للابطال الحقيقيين في القصة ، واما ان يسدلوا ستار الغموض والابهام على جانب من هذه الوقائع ــ مراعاة للعفة والذوق العام ــ ويتحدثوا مع رقبائهم بشكل مغلق .

والـــجـــمع بين هذين الامرين : اي رسم معالم الواقع بصورة كاملة ، وعدم تلوث القلم واللسان بكل ما يخدش العفة والاداب ، يعتبر امرا في منتهى الصعوبة لا يؤديه الا قليل .

فـــكـــيـــف يـــكـــمن ان نتصور شخصا اميا ظهر في مجتمع متخلف متوحش يحددالمعالم الدقيقة كاملة للاوضاع القائمة ، ثم لا نجد في تعابيره ادنى معنى يخدش العفة والاداب ، وعلى سبيل المثال حينما يـــبـــدا الـــقـــرآن فـــي وصف الوقائع الحساسة لقصة يوسف الواقعية وما اشتملت عليه من معاني الحب والـــغـــرام الـــذي اشتعل في قلب تلك المراة الجميلة المتهورة نجده يستفيد من جميع اصول الاخلاق والعفاف من دون اي تمويه وتعتيم على الحقائق ، او اجمال الحوادث في جو من الابهام والغموض انه لا يـــدع اي شـــاردة وواردة فـــي الحديث الا وذكرها ولكنه لا يتطرق الى ادنى انحراف عن اصول العفة في البيان ، فعلى سبيل المثال يقول في صدد شرح قصة اختلا زليخا بعشيقها : (وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ اللّه انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون) ((١٦٦)) .

ومن الجدير بالذكر استعمال القرآن لكلمة ((راود)) التي تستفاد في مورد الالحاح في الطلب من انسان ما بشي من الهدؤ والمرونة ، وهي تنسجم تماما مع اداالمعنى المقصود هذا من جهة ، من جهة ثانية ، لا يذكر اسم زليخا ولا زوجها عزيزمصر بل يقول : (ال تي هو في بيتها) من اجل ان يبين مـــرؤة يـــوســـف وعدم خيانته لمولاه ، كما يبين في الوقت ذاته تقواه ، ومقاومته لمن يعيش في كنفه وتحت امرته .

ومـــن جـــهة ثالثة تشير جملة (غلقت الابواب) التي تفيد معنى المبالغة بحكم مصدر باب التفعيل الى مدى صعوبة الموقف وتلاطم الاحداث التي مرت بها هذه الواقعة .

ومـــن جهة رابعة توضح جملة (قالت هيت لك) ذلك الحديث الاخير لزليخاالذي قالته لبلوغ وصال يوسف ، الا اننا نلاحظ هنا مدى رزانته وقوة سبكه المصحوبة بنزاهة البيان وسمو المعنى .

ومـــن جـــهة خامسة يشير كلام يوسف (معاذ اللّه انه ربي احسن مثواي) رادا على زليخا الى تنديد صـــارخ بها ، بمعنى انني لا اقوم بخيانة صاحب البيت الذي انعم علي وقاسمته هموم العيش ، بالرغم من الايام القليلة لتي قضيتها في هذا البيت فمابالك انت وقد قضيت هنا عمرا

طويلا.

وتــوضــح الايــات اللاحقة التي يطول شرحها هذه القصة بشكل رائع ، ومن ثم ترسم معالم المقاومة الخيرة ، لعواصف الهوى والتهور وتسليم الامور الذاتية بيد اللّه تعالى في هذه المشاهد بشكل ممتع وجميل .

في آية اخرى عندما يصف احاسيس نسا مصر ، حينما دعتهن زليخا الى ضيافتها لتبرئة نفسها ، يقول في جملة مختصرة : (فلما راينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاشا للّه ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم).

ويــدل تــعــبــيــر (ملك كريم) على مدى عف ته ونقائه الفائقين فضلا عن دلالته على مدى جماله الــمــنــقطع النظير ، وهذا مثل تعبيرنا عن عفة احد الاشخاص عادة بانه ملك من الملائكة ، وكذلك تــوجد على اثر هذه الحوادث جمل تحتوي على قدركبير من الفصاحة والجمال ، تدلل على عظمة ومقام يوسف بصورة كاملة ذلك المثل الاعلى في العفة والطهارة ((١٦٧)) .

١٠ ــ امثلة القرآن : يستخدم القرآن امثلة كثيرة من اجل تبيان الحقائق وهي باجمعها تجليات واضحة لــلفصاحة والبلاغة في هذا الكتاب الالهي العظيم ، ممايبعث على اعتزاز الانسان واعجابه الكبير ، هي الادوات الدقيقة التي استخدمت في هذه الامثلة والامور الصغيرة الجذابة الممتعة التي نلاحظها في كل واحد منها :.

ومــمــا لا يــقــبــل انكاره اساسا هو دور المثال في توضيح وتفسير البحوث ، ولهذاالسبب لا يمكن الاستغنا عن ذكره في اي مبحث مهم ، لتوضيح الحقائق وتقريبهامن الذهن .

فالمثال الجيد والمنسجم مع المعنى المقصود يمكن ان يؤدي دور احد الكتب احيانا ، فيوضح المطالب الــمــعــقــدة ويجعلها قابلة للفهم ، ولهذا يعتبر التمثيل من احدالفنون التي يعتمد عليها الفصحا والبلغا والادبا والشعرا في العالم ، يقول الزمخشري في الكشاف في صدد (المثل).

المثل في اصل الكلام معناه مثل يعني نظير ولضرب الامثال عندهم والتحدث بالامثال والنظائر لدى الــعــلــما شان رفيع ذلك لانها ترفع الحجاب عن المعاني الخفية وتوضح النكات المبهمة بحيث يصبح الامر المتخيل حقائق ويقع الشي المتوهم مستيقنا في محله وتتجلى صورة الغائب على غرار صورة الــشــاهــد ولــهــذه الــجــهــة اوردالله تــعــالــى امثالا كثيرة في كتابه القرآن المبين وسائر كتبه الاخرى ((١٦٨)) .

ولــلامثلة فوائد عديدة ، منها انها تجعل المسائل العقلية حسية وتقرب الطرق البعيدة ، وتوصل فهم الــمسائل الى جميع الناس وبصورة شاملة ، وتصع د درجة الاطمئنان بالامور المطروحة ، ومن ثم الــمــثــال المناسب يعتبر ردا صاعقا على منطق المعاندين وقد جمع بعض المحققين امثال القرآن في كتاب درس وحلل فيه اكثر من مائة مثال قرآني .

ان امـــثـــلة القرآن معجزة حقا ، ويكفي من اجل الوصول الى هذه الحقيقة ، ان نجعل قسما منها موردا للبحث .

مقتطفات من الامثلة الاعجازية للقرآن . حـــيـــنـــمـــا يريد القرآن رسم مشهد دقيق عن الحق والباطل يقول : (انزل من السماما فسالت اودية بـــقـــدرهـــا فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في الن ارابتغا حلية او متاع زبد مثله كذلك يـــضـــرب اللّه الـــحق والباطل فام ا الزبد فيذهب جفا وام ا مـــا ينفع الن اس فيمكث في الارض كذلك يضرب اللّه الامثال)

((١٦٩)) .

لــقــد بــيــن اللّه تــعالى معالم ظاهرة الحق والباطل على احسن وجه في هذا المثال الغزير بالمعاني والــمشتمل على الفاظ وعبارات موزونة وتجدر الاشارة هنا الى بعض الحقائق المهمة التي اندمجت في هذا المثال :.

١ ــ يحدث احيانا ان تتعقد كثيرا معرفة الحق والباطل مما يفرض الرجوع الى الامثلة والادلة .

٢ ــ الــحق دائما يعود على الانسان بالخير والفائدة نظير الما الزلال الذي هواصل الحياة او نظير المعدن الخالص الذي يستخدم للزينة او لوسائل الحياة .

٣ ــ الــحــق غــنــي فــي ذاتــه دائما ، اما الباطل فيستمد العون من مكانة الحق ويسعى الى التلبس به والاســتــفــادة مــن قيمه مثلما يستمد اي نوع من انواع الكذب وجوده وشانه من الصدق بحيث لو لم يــظــهــر على مسرح الوجود كلام صادق لم يتصور احدمعنى الكذب ، واذا لم يكن للحق وجود لما صال الباطل صولته .

٤ ــ ان استفادة اي موجود بحسب قابليته وظرفيته كما يجمع الوادي من ماالمطر على قدر اتساعه واستيعابه .

٥ ــ الــبــاطــل يــروج سوقه وسط الزحام والاضطراب الاجتماعي مثلما يحمل السيل الزبد عندما يــنحدر من الجبل الهائج الغضبان ، فاذا وصل السهول الواسعة هدات فورته واضطرابه وذهب زبده هبا.

٦ ــ الــبــاطل لايظهر في صورة واحدة وانما يظهر في كل لحظة بشكل معين ، مثلماتطفو الرغوة على سطح الما وعلى سطح المعادن في الكور ، لذلك لا ينبغي الانخداع بتلك المظاهر المختلفة على الاطــلاق ، ولابــد من تحديد مقاييس لمعرفة الحق والباطل ، لتشخيص وفرز كل واحد منهما عن الاخر.

٧ ــ الــمــعــركة بين الحق والباطل مستمرة استمرار الحياة وتتوارث من جيل لاخرفهذا ما عذب وهــذا ما ملح اجاج ، يسري بين الخلائق حتى نفخ الصور فكما ان تساقط الامطار من السما وذوبان المعادن في الكور مستمر ودائم ، كذلك هذا الامرمستمر ودائم ايضا.

٨ ــ الباطل ينزع الى ارتقا المراتب العالية ويتظاهر بالمبدئية ولكنه فارغ المحتوى اما الحق فينزع نحو التواضع والهدؤ والتفنن ، وتستفاد من هذه الاية ملاحظات اخرى من نواح متعددة وضرب امثلة اخرى نظير المثال الذي ورد في صدد الانفاق في سبيل اللّه وتشبيهه بالحبوب والعناقيد (البقرة : ٢٦١).

وكالمثال الذي ورد في صدد الاعمال المرائية وتشبيهها بهطول المطر على الحجر الشائك وغسل وازاحــة مــا عــلــيه من تراب قليل في حين ان الاعمال الخالصة ،كالمطر الذي يهطل على الارض الخصبة التي تتعرض لهوا طلق واشعة الشمس (البقرة ٢٢٤ : ٢٦٥).

وكالذي ورد في صدد اعمال الكفار وتشبيهها بالرماد في مقابل الريح (ابراهيم :١٨) ، او تشبيهها بــالــســراب (النور : ٣٩) ، او بالظلمات المتراكمة في البحر وعندقدوم الليل

والسحب تغطي السما (النور : ٤٠).
وكـــالذي ورد في صدد اعمال المنافقين وتشبيهها بالشخص التائه في صحرامقفرة في الليل البهيم ، وقـــد هـــزمـــته صواعق الرعد والبرق واذا به يرى لحظة واحدة ان اشعة البرق قد اضات ما حوله وحين يعقد العزم على التحرك في طريقه تعودالظلمة لتغطي كل الارجا في نظره (البقرة : ١٩ و ٢٠).
وكـــالـــذي ورد فـــي صـــدد تـــشـــبث عبدة الاصنام باصنامهم العديمة الشعور والقدرة وتشبيهها ببيت العنكبوت (العنكبوت : ٤١).
ومـــا ورد فـــي صدد تشبيه المغتابين باولئك الذين ياكلون لحوم اخوانهم الموتى (الحجرات : ١٢) ومـــن ثـــم ما ورد في صدد الذات القدسية للّه تعالى بانه نورالسموات والارض ، وتشبيه ذلك النور بالمصباح والخواص المتعلقة به المقترن بانواع الظرافة والروعة (النور : ٣٥).
ويـــمـــكـــن ازاحـــة الـــســـتار في هذا القسم من الفصاحة والبلاغة القرآنية عن مواراداخرى كثيرة يستغرق الكلام عنها وقتا طويلا ، وهي بدورها تطلعنا على حياة مليئة بالقيم واضدادها تواجهنا في حياتنا اليومية وتبين لنا عالما من المعارف في حلة من الامثلة البديعة .
.٢
الاعجاز القرآني على صعيد المعارف الالهية . ٢.
الاعجاز القرآني على صعيد المعارف الالهية . بـــعـــد الفراغ من مسالة الفصاحة والبلاغة يصل دور المحتوى وقبل كل شي تطرح مسالة المعارف وتبين المسائل المتعلقة بالمبدا والمعاد والعقائد الدينية .
ومـــن الامـــور الاســـاســـية هي ان بيان المسائل المرتبطة بالمبدا والمعاد والنبوة والامامة ، يعد احد الـــمـــعـــايـــيـــر الفاصلة بين الاديان الحقة والباطلة ، لان بحوث هذاالقسم وبالاخص ما يتعلق بالذات الـــقـــدسية للّه تعالى وصفاته واسمائه في غاية الدقة والتعقيد ، بحيث يصبح الحد الفاصل بين الشرك والتوحيد ادق من الشعرة احيانا.
ان هـــذا الـــقـــسم من الايات القرآنية على جانب كبير من الابداع والعمق والدقة ،بحيث لو لم يوجد دلـــيل على اعجازه سوى الايضاحات الدقيقة التي يبينها في هذه المسائل ، لكان هذا كافيا للاستدلال عليه .
خـــصـــوصـــا وان الـــقـــرآن ظـــهر في بيئة مكتظة بالاصنام وبمعابدها بدا من الاصنام المنزلية وانتها بالاصنام العشائرية والاصنام الكبيرة العامة ، التي كانت مقصدا لكل بلد وحي . لـــقـــد كـــانوا يصنعون الاصنام بايديهم من الاخشاب اوالصخور او المعادن ،وبالرغم من علمهم بعدم امتلاكها لادنى احساس وشعور وحركة ورؤية نجدهم ينسبون اليها القدرة الهائلة استنادا الى حفنة مـــن الـــتـــخـــيـــلات الـــمـــحـــضة التي تدور في اذهانهم ، ومن ثم

يسلمونها مقاليد امورهم ومقدراتهم ويخضعون لها في عجزوتضرع يلتمسونها ويسجدون لها ويقدمون لها القرابين حتى تصير واسطة للفيض والشفاعة بينهم وبين اللّه تعالى ، وكان يصل بهم الامر احيانا الى ان يصنعوا اصنامامن التمر ، واتفق في احدى سني القحط بعد ان خلت منازلهم من الطعام ان يحملواعليه حملة رجل واحد ، فاكل عبدة هذا الاله الههم في منتهى الوقاحة والصلافة ،ومن شواهد هذه القصة هو الشعر الذي لا يزال شاخصا بين اشعار الحقبة الجاهلية :.

اكلت حنيفة رب ها عام التقحم والمجاعه ـــــــــ لم يحذروا من رب هم سؤ العواقب

والتباعه ـــــــــ هذه هي من اسوا الافكار الخرافية انحطاطا واكثرها سخافة يمكن ان تخطر في ذهن انسان .

ان الاكثرية الساحقة من عرب الجاهلية تعتبر الملائكة بنات اللّه ، في حين انهم انفسهم كانوا ينفرون من مجرد سماع اسم البنت ــ لما اثر عنهم من تحقيرهم للمراة في تلك البيئة ــ كما نقرا ذلك في الاية (١٧) من سورة الزخرف : (واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسود ا وهو كظيم).

وتوجد هناك مسائل خرافية اخرى كثيرة يطول شرحها سوا في مبحث المعرفة الالهية او في مبحث المعاد وغيرها.

وعندما نشاهد شخصا ظهر من تلك البيئة يدعو الى التوحيد الخالص والمعارف الاصيلة ببيان دقيق يذعن له كبار الفلاسفة ، حينئذ لا يعترينا الشك بان بيان مثل هذه المعارف لا يصدر الا من اللّه عز وجل ، وليست هناك ادنى مبالغة في هذا القول ولا حاجة الى قطع طريق بعيد طويل للتوصل الى الحقيقة ، فاذا القينا نظرة على المجلد الثاني والثالث لهذه المجموعة ((رسالة القرآن)) ويتضمن الاول منهاالبحث عن اللّه تعالى والثاني حول معرفة اللّه لاطلعنا على سعة المعارف القرآنية وعمقها ، وكذلك الحال بالنسبة الى المعاد في القرآن فقد افرد له بحث واسع في المجلد الخامس والسادس من ((رسالة القرآن)).

لذا نقف هنا عند البحث الاجمالي ونكتفي باشارات عابرة في هذا المجال ،على ان نعيد قرائنا الاعزا الى المجلدات السابقة .

وبالرغم من سيطرة فكرة الشرك باللّه وعبادة الاصنام على تلك البيئة بحيث لايجرؤ احد على النيل من هذه العقيدة بادنى لوم او توبيخ ، انبرى القرآن بقاطعية كاملة الى ضرب تلك العقيدة الخرافية ، فتارة ينقل ذلك على لسان ابراهيم الخليل (ع) فيقول : (قال افتعبدون من دون اللّه مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون من دون اللّه افلا تعقلون) ((١٧٠)) .

وتارة اخرى يقول في صدد قصة عجل السامري الذي اصبح موردا لانشدادعدة من جهال بني اسرائيل اليه واغترارهم به : (افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم

ضرا ولا نفعا) ((١٧١)) .

وبـــجـــملة مختصرة : ان القرآن يندد كثيرا بالشرك ويذم عبادة الاصنام بحيث انه يعفو ويصفح عن جـــمـــيـــع الذنوب ما عدا الشرك ، فيقول : (ان اللّه لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ومن يشرك باللّه فقد افترى اثما عظيما) ((١٧٢)) .

ان هذا التنديد القاطع والحاسم بفكرة عبادة الاصنام يعد بحق امرا فريدا من نوعه ، لان هذه الفكرة تعتبر سن ة معروفة للاجداد ، والثقافة الرائجة في جميع انحاتلك البيئة بحيث ان العدول عنها يعد من عجائب الامور وموردا لكل انواع الذم والتقريع ، اما نحن ففي الوقت الحاضر نلقي نظرة عفوية عـــلـــى هـــذه الايـــات ونـــعتبرهاامرا عاديا بغض النظر عن ان تلك البيئة كانت تعيش ضمن ظروف واوضاع خاصة تختلف عن اوضاعنا ، هذا من جانب ومن جانب آخر عندما يشرع في بحث التوحيد ، يـــعـــمـــد الى طرح الدلائل الفطرية والمنطقية و (برهان النظام) و (برهان الصديقين) بشكل لا يتصور الانسان ما هو اروع منه .

ويـــشـــير في بحث التوحيد الفطري الى المسالة التي كانت تحدث في حياة كل اولئك الناس وباشكال مـــخـــتـــلفة فيقول : (فاذا ركبوا في الفلك دعو اللّه مخلصين له ال دين فلم ا نج اهم الى البر اذا هم يشركون) ((١٧٣)) .

وبهذه الطريقة يبين استقرار نور التوحيد في اعماق وجودهم ، ويزيح النقاب عن طوفان الحوادث تلك الشعلة المستترة في اقبية الجهل والجاهلية ، فعندما ياتي الى التوحيد الاستدلالي يقول في جملة مختصرة : (افي اللّه شك فاطر السمـــوات والارض) ((١٧٤)) .

بعد هذا البيان الاجمالي ياخذ بيد البشرية ويجوب كل نقطة من نقاط هذا العالم الفسيح ليريهم الايات في الافاق وفي انفسهم واحدة تلو الاخرى فتارة يقول : (وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون) ((١٧٥)) .

ثـــم بـــالـــبـــراهـــيـــن المفصلة على عظمة اللّه تعالى وقدرته وحكمته في السماوالنجوم والارض ، والنباتات والطيور ،والليل والنهار ، والهوا والمطر فيستانس الانسان عند البحث فيها وتاخذه حالة سرور غامر ((١٧٦)) .

ونـــجـــده يـــبـــدي رايـــه ايضا حينما يشرع في بحث الصفات الالهية وهو من اعقدالابحاث العقائدية وواحـــد مـــن اهـــم الـــمنزلقات الفكرية المحيرة لكثير من العلما ،ففي احد المواضع يكرم اللّه تعالى ويـــنـــزهـــه من اي نوع من الصفات الممكنة المحدودة الناقصة ، فيقول في جملة مختصرة : (ليس كـــمثله شي) ((١٧٧)) ، وعلى هذاالاساس ينفي عنه جميع الاوصاف الممكنة ، ويثبت له الصفات الجمالية والكمالية المنقطعة النظير.

ويتوسع في كلامه احيانا فيقول : (هو اللّه لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هوالرحمـــــن الرحيم #هـــو اللّه الـــذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار سبحان اللّه عم ا يـــشـــركون # هو اللّه الخالق البارئ المصورله الاسما الحسنى يسبح له ما

في السمـــــوات والارض وهو العزيز الحكيم) ((١٧٨)) .
وفـــي الواقع اننا لو عقدنا مقارنة بين الوصف الذي رسمه القرآن في عدة آيات عن خالق الكون وبين الرؤية التي يمتلكها المشركون والانطباعات السائدة في بيئة ظهور القرآن عن اللّه تعالى ، لما امكن تصور ان هذا البيان الساطع الفريد من نوعه هوولید تلك البيئة الخرافية المظلمة اطلاقا.
ويصف في موضع آخر العلم اللامحدود للّه تعالى بهذا الرسم الذي يفوق حدالتصور (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات اللّه) ((١٧٩)) .
في واقع الامر ان هذه الصورة تتضمن الاشارة الى حالة غير متناهية الا انهاصورة حية ، لان العدد اللامتناهي قد ويستفاد منه بشكل جامد في الرياضيات والتوضيحات الفلسفية ، وقد يستفاد منه وهو يـــنبض بالحياة على شاكلة الصورة التي وردت في الاية الانفة الذكر ، بحيث ترتقي بفكر الانسان ، الى ذرى اللانهاية .
ونـــحـــن عـــنـــدما نستطيع ان نقف على عمق المعارف الاسلامية فيما يخص ادق المسائل التوحيدية والاسماوالصفات الالهية نكون قد بحثنا دورة لكل القرآن المجيد بهذا الصدد ((١٨٠)) .
وحـــيـــنـــمـــا يـــضـــع اللبنات الاولى لمسالة المعاد والحياة بعد الموت نجده تارة يفندجميع المزاعم والافتراضات الخاطئة للمناوئين في جملة مختصرة ويقول : (كمابداكم تعودون) ((١٨١)) .
وتارة يقول في تبيان اوسع : (اوليس الذي خلق السمـــــوات والارض بقادرعلى ان يخلق مثلهم # بلى وهو الخلا ق العليم # انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) ((١٨٢)) .
وتارة اخرى يجسم لهم مشهد المعاد والبعث في لوحة حية بدون ان يكلفوا تفكيرهم عنا الاستدلال : (يايها الن اس ان كنتم في ريب من البعث فان ا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسم ى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوف ى ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها المااهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج # ذلك بان اللّه هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شي قدير) ((١٨٣)) .
وبـــنـــا على ذلك يبين القرآن مشهد البعث في عالم الانسان وطيه لمختلف المراحل الجنينية التي تعد كل واحدة منها بعثا عظيما ، وفي عالم النباتات ايضانلاحظ مشهد الموت والحياة وبعثها في كل شتا وربيع من كل سنة .
ان الايـــات التي تطرقت الى الحياة بعد الموت والادلة المختلفة عليها تعرضت الى المنازل والمشاهد الـــمتعددة للاخرة ، وما يقع هناك من حوادث ، وكيفية تجسم الاعمال والحساب

والكتاب والميزان والـــشهود في يوم القيامة ، تحتوي على اموروامسائل دقيقة ، تجعل مطالعتها والبحث فيها كل انسان غارقا في تعجبه ، وبامكانكم مطالعة نبذة من هذه المسائل بشكل موسع في المجلد الخامس والسادس من هذاالكتاب .

.٣

اعجاز القرآن على صعيد العلوم الحديثة والاكتشافات العلمية . ٣.

اعجاز القرآن على صعيد العلوم الحديثة والاكتشافات العلمية . قـــبـــل الـــدخـــول في هذا البحث لابد من الاشارة الى امرين لتصحيح اي نوع من سؤ الفهم بصدد هذا البحث :.

١ ــ يجب ان لا يتوقع احد ان يبين القرآن الكريم جميع مسائل العلوم الطبيعية واسرار وخواص كل الاشيا ، لان القرآن لم ينزل لبيان هذه الامور ، فهو ليس دائرة للمعارف او كتابا لعلم طبقات الارض ((الـــجـــيـــولوجيا)) او لعلم النبات وانما هو كتاب للتربية والهداية ، نزل ليقود الناس الى حياة نقية مـــقـــتـــرنة بالسعادة والفضيلة ويحكمهاالصدق والامانة والنظام والرحمة ، وليوصلها في النهاية الى الـــقـــرب مـــن اللّه تـــعالى ،واما الغرض من قوله تعالى في صدد القرآن : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لـــكـــل شـــي) ((١٨٤)) ، فهو لبيان كليات الامور التي تتعلق بنجاة الانسان وسعادته وتربيته ولذلك يقول تعقيبا على هذه الجملة : (وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) ((١٨٥)) .

بـــيـــد ان بـــعضا من الايات الالهية ومن اسرار الخلق في العالم وفي وجود الانسان ذاته تساعد على مـــعـــرفـــة اللّه والتعرف على عظمة عالم الخلائق الذي هو من صنع اللّه تعالى ، لذلك قد نجد احيانا اشارات الى هذه المسائل بين الايات القرآنية وقدرفعت الستار عن امور خفيت واستترت عن جميع علما العالم في ذلك الوقت .

ومـــلـــخـــص الكلام هو : ان الاتيان ببعض اسرار العلوم وحقائق عالم الوجود في القرآن لا لعرض الـــعـــلوم الطبيعية او لتاليف دائرة للمعارف بل الغرض منه هو تبيين الاهداف التربوية والاخلاقية ، وتـــعليم درس التوحيد ومعرفة اللّه ، وفهم اسماوصفات الحق ، او الاطلاع على جانب من اسرار المعاد وماشاكل ذلك .

٢ ــ هـــل من الصحيح التشبث بمثل هذه البحوث وتطبيق الايات القرآنية على الاكتشافات العلمية ؟ هـــل يحق لنا ان نطبق المسائل المختلفة للعلوم الطبيعية على الايات القرآنية ، او بالعكس ؟ في حين ان ارا الـــعـــلـــما لا تستقر على حال ، وهي في تغير دائم ، ولذلك ليس من المنطق في نظرنا ان نطبق امرا ثابتا مستحكما على آخرمتغير ؟.

والاجابة على هذا السؤال لابد من القول : بوجود ثلاثة ارا مختلفة ، اتباع الراي الاول : وهم الذين اتـــخذوا طريق الافراط في هذا المجال ، وذلك بان طبقت الايات القرآنية على الفرضى ات العلمية لادنـــى تناسب او توافق بينهما ــ لا على الحقائق المسلمة والقطعية للعلوم ــ ظنا منهم انهم قد اسدوا خدمة الى معرفة القرآن من هذاالطريق .

فـــي حـــيـــن اننا نعلم في وقتنا الحاضر ان القيام بهذا الاشتباه بمكان بحيث انه ليس فقط لا يعد خدمة لـــلـــقـــرآن فـــحـــسب ، بل سببا لسقوط اعتبار القرآن ومكانته ، لان الفرضيات العلمية ــ لا قوانينها الـــمـــســـلـــمـة ــ في حالة تحول وتغير مستمر ، ولذلك ليس من المنطق واسدا الخدمة للعلم والعقيدة تـــطـــبـــيـــق الـــحـــقـــائق القرآنية الثابتة على جملة من الامور المتحولة والمتغيرة ، والمشكوكة او المظنونة .

واما القائلون بالراي الثاني : فهم الذين سلكوا طريق التفريط ، واعتقدوا بعدم جواز التطبيق في اي مـــورد من الموارد حتى في المسل مات العلمية التي تنسجم بصورة او باخرى مع العبارات القرآنية الصريحة الا ان هذا نوع من التعصب والجمودوالبعد عن المنطق والدليل ايضا.

فـــالـــراى الـــثالث والصحيح هنا هو الذي يمثل حلقة الوصل بين هاتين النظريتين الخاطئتين فلو اننا خـــرجنا من محيط الافتراضات ودخلنا في عالم القوانين العلمية الثابتة بالدلائل القطعية او الشواهد المسلمة وكانت دلالة القرآن على هذه الامورصريحة وواضحة .

اذا ما هو المبرر لامتناعنا من تطبيق هذه المسائل على ايات القرآن ؟ ولماذايصيبنا الجزع من هذا الـــتوافق الذي هو احد الادلة على عظمة هذا الكتاب السماوي ؟ واذا ما المانع من ان يكشف القرآن الـــستار بوضوح عن البحوث التوحيدية ومعرفة اللّه تعالى ، والمسائل التربوية المستندة لجملة من الـــحـــقـــائق الـــعلمية المجهولة بصورة كاملة في ذلك العصر ، ومن ثم يوجه اتباعه ويوقفهم على هذا الامـــر فـــبالاضافة الى تحقق النتائج التوحيدية والاخلاقية من ورا ذلك ، يعتبرامارة واضحة على حقانية القرآن فضلا عن انه يفتح بابا واسعا للعلوم والمعارف .

وعلى هذا الاساس سنتطرق بدقة الى نكتين في هذا البحث المتواصل فعلا :.

١ ــ سنختار المسائل الثابتة والمسلمة مئة بالمئة من العلوم الطبيعية مثل قانون الجاذبية ، والزوجية فـــي عـــالـــم الـــنـــباتات ، حركة الارض ، وحركة المنظومة الشمسية ،وامثال ذلك مما ثبت بالادلة الحسية في يومنا هذا.

٢ ــ ســـنـــنتخب من الايات في هذا المجال ما هو صالح للانطباق على القواعدالعلمية العصرية بدون ادنـــى تـــكـــلف او تاويل ، او بعبارة اخرى فدلالة الايات التي تقع موردا للقبول ، هي التي تكون وفق القواعد الادبية التي يكثر فيها استفادة المعاني من الجمل والكلمات .

القرآن وجاذبيته العامة . ١.

نقرا في الاية الثانية من سورة الرعد قوله تعالى : (اللّه الذي رفع السمـــــوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر).

مـــما يستحق الاهتمام في هذه الاية ، ان القرآن لا يقول : ان السما ليس لهاعمد ، وان ما

يقول : ليس لها عمد قابل للرؤية والمشاهدة يستفاد جيدا من هذاالتعبير ان الاعمدة المرئية لا وجود لها ، وانما الاعمدة اللامرئية هي التي ارست دعائم السما ((١٨٦)) .

نقرا في حديث عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) : بان احد اصحابه واسمه ((حسين بن خالد)) يسال عن معنى قوله تعالى : (والسما ذات الحبك) ((١٨٧)) .

فقال الامام (ع) : سبحان اللّه ، اليس اللّه يقول : ((بغير عمد ترونها)) ؟ قلت : بلى ،فقال : ثم عمد ولكن لا ترونها ((١٨٨)) .

فهل يوجد توجيه وتفسير لهذا ، الحديث سوى العمد الذي نطلق عليه في عصرنا هذا اسم ((التوازن بين القوة الجاذبية والدافعة)).

وتوضيح ذلك ، يكمن في ان النظرية الوحيدة التي غزت افكار علما ذلك العصر ــ زمان نزول القرآن الكريم ــ ومن ثم القرون السابقة واللاحقة ، هي نظرية ((الهياة)) لبطليموس التي سيطرت بقوة تامة على المحافل العلمية الدولية ووفقالذلك صورت السماوات على شكل كرات متداخلة نظير طبقات البصل المتلاصقة وكانت الارض في مركزها ، ومن الطبيعي ان تستند السماوات كل منها الى الاخرى .

الا انه ثبت بطلان هذه العقيدة بالادلة القطعية بعد مرور زها الالف سنة من نزول القرآن ، وذهبت تماما نظرية الافلاك ــ قشور البصل ــ الى غير رجعة ، واصبح من المسل مات ان كلا من هذه الكرات السماوية معلقة وثابتة في مدارها وموضعها ،وان المجاميع والمنظومات متحركة ، والشي الوحيد الذي يحافظ على ثباتهاواستقرارها هو نفس هذا التعادل بين القوة الجاذبة والدافعة .

ان الذي يتسبب في التحرك السريع لكل الكرات السماوية ومن ثم اجتماعهافي مركز واحد ، هو القوة الجاذبة ــ التي تقول ان الجاذبية بين كل جسمين تتناسب طرديا مع وزنيهما ، وعكسيا مع الجذر التربيعي للمسافة بينهما ــ بيد ان الحركة الدورية الموجودة في الكواكب السيارة او المنظومات ــ ولا يخفى ان الميزة الدورية هي نفس القوة الطاردة المركزية هي التي تؤدي الى الابتعاد السريع لهذه الكرات والمنظومات عن بعضها (على شاكلة الهروب من دائرة النار في حالة دورانها وذلك عندما ينقطع سلكها ويتطاير الشرر من قطع النار المتقاذفة) ، اما لو كانت القوة الجاذبية متوازية مع القوة الدافعة بالدقة بدون ادنى نقيصة او زيادة ، فسيظهر في هذه الحالة العمد اللامرئي القوي حتى يثبتها في موضعها الخاص كما ان الكرة الارضية تتحرك في دورانها حول الشمس بمدار معين ملايين السنين بدون ان تجذب اليهاولا ان تبتعد عنها ، وهذه من دلائل عظمة اللّه واعجاز القرآن .

ومن الظريف ان المفسرين القدامى وقفوا على هذه النكتة اجمالا بيد انهم لم يعبروا عنها سوى بالقول بمسالة القدرة الالهية ، بحيث يقول ((ابن عباس)) وفقا لنقل الطبرسي في ((مجمع البيان)) والالوسي في ((روح المعاني)) : ان معنى الاية هو ان السما تكون

بدون عمد قابل للمشاهدة ، وعليه يكون عمدها هو القدرة الالهية الهائلة ((١٨٩)) .

القرآن وخلق العالم . ٢.

لـــلـــقرآن الكريم تعابير متعددة في صدد حدوث العالم ، اذ يقول في احدالمواضع : (ثم استوى الى السما وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرهاقالتا اتينا طائعين) ((١٩٠)) .

وفـــي مـــوضـــع آخـــر يـــقول : (اولم ير الذين كفروا ان السمـــــوات والا رض كانتا رتقافففتقناهما وجعلنا من الما كل شي حي افلا يؤمنون) ((١٩١)) .

لقد اشير في هاتين الايتين الى ثلاث نكات مهمة في صدد خلق العالم والموجودات الحى ة :.

١ ــ كان العالم في بادئ الامر على شكل غاز وبخار.

٢ ــ كان العالم متصلا في البداية ثم فصلت الكرات السماوية عن احداهاالاخرى .

٣ ــ بدات خلقة الموجودات الحية من الما.

وهذه هي نفس الامور التي عرفت في هذا اليوم بعنوان النظريات العلمية المسلمة .

ويتقرر توضيح ذلك : بانه بالرغم من وجود فرضيات مختلفة لم تخرج عن حدود الفرضية في صدد كـــيفية نشؤ العالم ، الا انه نظرا للمطالعات التي اجريت على المجرات والمنظومات التي تتجه نحو التكون والحدوث ، بدا من المسلم ان العالم كان على شكل اكوام من الغاز في بادئ الامر نظير الشي المضغوط الذي تنعزل منه قطعاته وتتطاير اوصاله على اثر دورانه حول نفسه ، وهذه القطع تبرد شـــيـــئافـــشـــيـــئا ثم تظهر بشكل مائع او جامد في كثير من الاحيان لتشكل الكرات المسكونة وغير المسكونة .

وبعبارة اخرى تدل مطالعات العلما الفلكيين في مجال السحب ، والعوالم البعيدة عن متناول اليد والتي تـــاخذ طريقها نحو الاتمام على انهم اخرجوا هذه المسالة وهي كون الدنيا على شكل اكوام من غاز البخار من حيز الفرضية واعتبروهامن النظريات القطعية ، وهذا الامر وقع موردا لتاييد المحافل العلمية الدولية .

وكذلك نقرا في بداية الاية الاولى بصراحة بـــ((ان السموات)) الكرات السماوية كانت في بداية الامـــر عـــلى هيئة دخان وهذه الاية تنسجم مع الاكتشافات العلمية للعلما التي لم تزل حديثة العهد ، وفي ذلك دلالة واضحة على الاعجاز العلمي للقرآن الذي يكشف عن الحقيقة التي كانت مجهولة في زمن نزول القرآن بصورة كاملة .

والاية الثانية ايضا تعبر عن حالة الترابط في العالم في بادئ الامر ، ومن ثم انفصال اجزاه الاخرى وهـــذا ايضا وقع موردا لتاييد المحافل العلمية كاصل من الاصول في يومنا هذا وكذلك الحال بالنسبة الى ظهور الموجودات الحية من ماالبحار في بادئ الامر ــ الاعم من كونها نباتية او حيوانية ــ هي الاخرى تعتبر اليوم من النظريات العلمية المعروفة ، وان كان البحث قائما على قدم وساق بين العلما في صدد كيفية التحول والتطور ، وظهور الانواع المختلفة للنباتات والحيوانات .

والــقــرآن ايــضــا يفصح عن حقيقة ظهور كافة الموجودات الحية من الما في الاية الثانية المتقدمة الــذكــر ، وفضلا عن ذلك تصرح الايات التي تنسب خلقة الانسان الى التراب ، بان هذا التراب كان ممتزجا مع الما على هيئة طين .

ونقرا ايضا في الاية ((٤٥)) من سورة النور : (واللّه خلق كل دابة من ما).

وللمفسرين احاديث مطولة في صدد ((الرتق)) و ((الفتق)) المستعملتان في الاية الثانية والتي هي في الاصل بمعنى ((الاتصال)) و ((((الانفصال)).

اخــتار البعض المعنى المتقدم ، وهو السما والارض كانت على هيئة اكوام عظيمة من البخار والغاز المحرق ، وتجزات شيئا شيئا على اثر الانفجارات الداخلية وحركتها حول نفسها ، ومن ثم ظهرت الكواكب والنجوم ، من جملتها المنظومة الشمسية .

ويــرى الــبــعض الاخر ان ذلك اشارة الى الوحدة النوعية في مواد العالم ، بحيث كانت متداخلة في بــدايــة الامر بحيث ظهرت على هيئة مادة واحدة ، لكنه انفصلت هذه المواد احداها عن الاخرى ، وتشكلت مع مرور الزمان تركيبات جديدة .

وذهب جمع آخر ايضا الى ان ذلك اشارة الى عدم نزول المطر ونمو النباتات من الارض ، بمعنى ان الــســما كانت في بداية الامر متصلة مع بعضها الاخر ، ولم يكن ينزل المطر ، والارض ايضا كانت متصلة مع بعضها الاخر ، فلم يكن ينموالنبات ، ثم بامر من اللّه تعالى انفجرت السما ونزل المطر ، وتفتحت الارض فنمت النباتات .

وقد اشارت الى المعنى الاخير روايات متعددة من طريق اهل البيت (ع)،وكذلك قسم من الروايات الــواردة من طريق العامة ((١٩٢)) ، في حين تتضمن بعض الروايات الاخرى الاشارة الى المعنى الاول ((١٩٣)) وتــبدو الاشارة الى هذا الاتصال ايضا في الخطبة الاولى من نهج البلاغة وفي كل الاحوال ينسجم ظاهر الاية مع التفسير الاول ، علاوة على عدم وجود مانع من الجمع بين التفاسير المتقدمة ، فمن الممكن الجمع بين كل من المعاني الثلاثة في المفهوم الجامع للاية .

ومــما يسترعي الانتباه هو قول اللّه تعالى في الاية (٢٧ ــ ٣٢) من سورة النازعات : (انتم اشد خلقا ام السما بنــيــها والارض بعد ذلك دحــيها # اخرج منها ماها ومرعــيها # والجبال ارســيها).

وتــدل هــذه الايــات بوضوح ايضا على كون السما مخلوقة قبل الارض ، ثم ان ظهور الما والنباتات والجبال كان بعد الانتها منها.

وبــنــا عــلــى ذلك ، يكون هذا الامر هو الشي الذي يؤكد عليه العلم الحديث ،وهو يرى ان الارض وجــدت بــعد وجود الشمس ، ويعتبر ظهور الما من سطح الارض ، ومن ثم النباتات وكذلك ظهور الجبال بعد خلق الارض .

القرآن وحركة الارض . ٣.

نــقــرا فــي الاية (٨٨) من سورة النمل قوله تعالى :(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع اللّه الذي اتقن كل شي انه خبير بما تفعلون).

تتجلى في هذه الاية عدة نكات :.

اولا : ان الــجــبال التي تبدو ساكنة في نظركم ، هي في حركة سريعة كسرعة حركة السحب ، (ويــنــبــغــي الالــتفات الى ان السرعة الفائقة تشبه عادة بسرعة السحاب ،اضافة الى خلو الحركة السريعة للسحب من التزلزل والصخب).

ثانيا : ان هذا هو صنع اللّه الذي خلق كل شي بميزان معين .

ثالثا : انه عز وجل مطلع على اعمالكم .

عــنــد الــتــامــل بدقة في هذه الجمل الثلاثة ، يتضح ان الاية لا ترتبط بيوم القيامة كماتخيل بعض المفسرين ، بل ترتبط بنفس هذه الدنيا ، اذ تقول : ((انتم تتخيلونهاوتتصورونها هكذا في حين انها لــيــست كذلك)) واما حركة الجبال في القيامة او على مشارف القيامة فليست هي من الامور المخفية والمبهمة ، بل انها واضحة ومهولة بحيث لا يقوى احد على تحملها والاصطبار على مشاهدتها.

اضــافــة الــى ان الاتــقان في الخلقة وحاكمية النظم والموازين فيها ، هو اشارة ودلالة على وضعها الفعلي لا على زمن اقتراب يوم القيامة ، سيتلاشى النظام العالمي ليبنى على انقاضه نظام جديد.

فــضــلا عن ذلك فان الاطلاع الالهي على الاعمال التي نقوم بها يرتبط باعمالنا في هذه الدينا ، والا فان القيامة يوم الحساب لا يوم العمل .

ويــتــضــح من خلال هذه القرائن الثلاثة ان هذه الاية لا تطابق حركة الجبال في نهاية مسيرة العالم ومشارف يوم القيامة باي شكل من الاشكال ، غاية ما في الامر ان جماعة من المفسرين لم يتمكنوا من ادراك عمق المفهوم في الاية ، فما وجدوا بد اسوى القبول بخلاف ظاهر الاية ، وتفسيرها بمسالة القيامة .

كما تتضح هذه المسالة ايضا وهي ان حركة الجبال لا تنفصل عن حركة الارض ،بل هما مترابطان مع بعض كوحدة واحدة ، فاذا تحركت الجبال فان معناه الحركة الدائبة للارض .

الا انــه يــنــقدح في الذهن هذا السؤال : لماذا اقتصر اللّه تعالى على ذكر الجبال ،ولم يقل انك ترى الارض فتحسبها ساكنة في حين انها متحركة .

والجواب على هذا السؤال واضح ، لان الجبال من اعظم الموجودات على وجه الارض ، وهي مظهر مــن مــظــاهــر الصلابة والصمود والاستحكام ، ولذا نقول لضرب المثل المعروف ((ان الشخص الفلاني منيع وصامد كالجبل)) ، ولذلك يمكن اعتبار حركة الجبال على عظمتها وصلابتها وثباتها ، على انها احد العلائم على القدرة اللامتناهية للحق تعالى ، لكن مما لا جدال فيه ان حركة الجبال هي احدى التجليات الواضحة لحركة الارض .

وفـــي كـــل الاحـــوال ، تعتبر الاية المزبورة احد المعاجز العلمية المهمة للقرآن ، اذمن المعلوم ان الـــعـــقيدة الرائجة والحاكمة على كافة المحافل العلمية الدولية في عصرنزول القرآن وزها الالف ســـنة بعد ذلك هي نظرية ثبات الارض ودوران الكرات حولها ، والتي نشات من هيات ((بطلميوس)).

ومن العلما الاوائل الذين اكتشفوا حركة الارض هم كل من ((غاليلو)) الايطالي ،و ((كبرنيك)) الـــبـــولندي ، وذلك بعد مرور ما يقارب الالف سنة ، اذ اعلنوا عقيدتهم في اواخر القرن السادس عشر واوائل القرن السابع عشر الميلادي ، مما اثار على الفورحفيظة ارباب الكنيسة بشدة بحيث هـــددوهـــمـــا بـــالـــقتل في حين ان القرآن الكريم كشف الستار عن هذه الحقيقة بعشرة قرون قبلها ، وطرح بعباراته البديعة المتقدمة حركة الارض باعتبارها احدى علائم التوحيد والعظمة الالهية .

وعـــلـــى كـــل حـــال ، مـــما لا شك فيه ان هذه الاية تتحدث عن حركة الجبال (وبتعبيرآخر حركة الارض) في هذه الدينا ، ذلك ان حركة الجبال على اعتاب يوم القيامة ،تحدث زلزالا قويا في الكرة الارضـــية بحيث تضع كل ذات حمل حملها ، وتذهل كل مرضعة عن مرضعها ، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ، وهذا الكلام لا ينسجم مع جملة ((تحسبها جامدة)) على الاطلاق .

اضـــافـــة الى انه لا يبقى مجال لاعمال الخير والشر في تلك اللحظات الحرجة ،حتى يتاتى القول بان اللّه تعالى مطلع على الاعمال التي نقوم بها.

والـــقول بان الايات التي تسبق الاية المتقدمة او ما بعدها ترتبط بالقيامة لا يمكن اعتباره دليلا قطعيا عـــلى ان مفهوم هذه الاية يرتبط بالقيامة ، لان هذا ليس احدالمصاديق النادرة في القرآن ، فرب اية تتحدث في مسالة معينة وتتحدث التي قبلهااو بعدها عن مسالة اخرى وبعبارة اخرى فالاطلاع على محتوى الاية نفسها والقرائن الموجودة فيها اهم وافضل من الملاحظات الاخرى .

وهـــذه الـــنـــكـــتة تستحق الاهتمام ايضا وهي ان التشبيه بحركة السحب بالاضافة الى انه اشارة الى السرعة الفائقة لها ، يعتبر جوابا قاطعا على هذا السؤال ، وهو فيما لوكانت الارض متحركة فلماذا لا نستشعر بها ؟ فياتي الجواب على انها تتحرك ببطومرونة وهدؤ بحيث لا يمكن تشخيص ذلك ، كما لو صعد احد على السحاب مثلا ، فانه لم يكن يشخص حركتها ايضا.

ومـــمـــا يـــدعو الى الاهتمام هذه النكتة ايضا وهي ان القرآن يقول في الاية (٢٥ و٢٦) من سورة المرسلات : (الم نجعل الارض كفاتا # احيا واموانا).

نـــشـــاهـــد فـــي منابع اللغة التي من جملتها ((المفردات)) للراغب وكتاب ((العين))انه قد ذكر مـــعـــنيان للفظة ((كفات)) الماخوذة من مادة ((كفت)) وهما الجمع والطيران السريع ، فاذا كان الـــمعنى الاول هو المقصود ، يكون مفهوم الاية على ان جعلناالارض محطا لاجتماع

بني البشر في حـــيـــاتـــهـــم ، وما تحت الارض مقرا لاجتماعهم بعد مماتهم واذا كان المقصود المعنى الثاني ، يكون مـــفـــهـــومها الطيران السريع للارض وهذا يتناسب مع الحركة الانتقالية للارض حول الشمس التي تسير بسرعة فائقة ــ تقدر ب (٢٠) كيلو متر في كل ثانية و (١٢٠٠) كيلو متر في كل دقيقة ــ ثم انهاتحمل الاموات والاحيا معها وتدور بهم حول الشمس .

ولعل السبب في اطلاق لفظة ((كفت)) على الطيران السريع ، هو ان الطيور عندماتريد ان تطير بـــسرعة فائقة في السما تجمع اجنحتها بصورة كاملة وبشكل متناوب وتسبح في الفضا ، لكن نظرا لـــكـــون لفظة ((كفت وكفات)) تحتمل معنين ، لم نذكر هذه الاية بعنوان احد الادلة القطعية على مسالة دوران الارض .

القرآن وحركة المنظومة الشمسية . ٤.

يقول القرآن الكريم في الاية (٣٨ و ٤٠) من سورة يس : (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم # لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الل يل سابق النهار وكل في فلك يسبحون).

كـــمـــا تـــقدمت الاشارة اليه من قبل ان النظرية التي تحدثت في صدد السماوالارض وسيطرت على الـــمـــحافل العلمية في عصر نزول القرآن والقرون السابقة واللاحقة عليه ، هي نظرية الهياة ل ((بطليموس)) الذي كان يعتبر الارض مركز العالم ،ويعتقد على ان النجوم والشمس مندكة في قلب الافلاك البلورية ، ويتصور ان الافلاك تدور حول اطراف الارض .

ويذكر القرآن في الايات اعلاه مطلبا يتنافى مع هذا الكلام بصورة كاملة ، فهويقول :.

اولا الـــبـــلـــوري : ان الـــشـــمـــس تتحرك باتجاه احدى المقرات (او ان الشمس تتحرك في قرارها المختص بها) ، لا ان الشمس مع فلكها البلوري تدور حول الارض .

ثانيا : ان كلا من الشمس والقمر يسبح في فلكه الخاص به .

وبعد انهيار دعائم فرضية ((بطليموس)) على اثر اكتشافات القرون الاخيرة ،وتحرر الاجرام الـــسماوية من قيود الافلاك الخارجية ، استحكمت هذه النظرية التي ترى ان الشمس ساكنة وثابتة في مركز المنظومة الشمسية ، وتدور حولها المنظومة الشمسية باكملها.

وفي هذا المضمار ايضا لم تكن هناك معلومات عن حركة الشمس باتجاه قرارهاالخاص او في دائرة نفسها.

وهـــكذا تطور العلم اكثر فاثبت من خلال مشاهداته النجومية بالاستفادة من المراصد الفلكية القوية جـــدا على ان للشمس حركتان على اقل تقدير : الحركة الموضعية حول نفسها ، والحركة الانتقالية بصحبة المنظومة الشمسية باكلمها باتجاه نقطة معينة من السما ، او بتعبير آخر باتجاه نجم ((ويكا)) وهو يعتبر من نجوم الصورة الفكلية التي تسمى ((الجاثي على ركبتيه)) ((١٩٤)) .

جات في احدى دوائر المعارف : ان للشمس بالاضافة الى الحركات الظاهرية ، حركة واقعية ، ((الـــحـــركة الدورية للمجرات تسير بالشمس وتدور بها في الفضا بسرعة مليون ومائة وثلاثين الف كـــيـــلـــو متر في الساعة تقريبا ، وكذلك ليست الشمس ثابتة في داخل المجرات ، بل تتحرك باتجاه الـــصـــورة الـــفـــلـــكية التي تدعى ((بالجاثي)) بسرعة تراوح (٧٢) الف كيلو متر في الساعة ، والـــســـبـــب فـــي عدم اطلاعناعلى الحركة السريعة للشمس في الفضا هو الدورة الفلكية للاجرام السماوية)).

ثم تضيف على ذلك بالقول : ان للشمس في دورانها حول نفسها حركة دورية موضعية ايضا (الدورة الموضعية لحركة الشمس في استوائها تستغرق (٢٥) ليلة تقريبا ((١٩٥)) .

اذا مـــمـــا لا يقبل الشك ان جملة ((كل في فلك يسبحون)) لا تتلام مع نظرية الافلاك البلورية (بطليموس) التي اثبتت كل واحدة من الكرات في موضعهاالخاص ، وتنسجم تماما مع اكتشافات العلم الحديث ، علاوة على ان الحركة باتجاه ((المستقر)) اشارة اخرى الى حركة الشمس باتجاه احد جوانب المجرات ايضا ،ويعتبر بيان هذا المطلب معجزة واقعا.

القرآن واتساع العالم . ٥.

نقرا في الاية (٤٧) من سورة الذاريات : (والسما بنيناها بايد وان ا لموسعون).

((ايـــد)) (عـــلى وزن صيد) معناه القدرة والقوة ، كما جا هذا المعنى في آيات اخرى من القرآن ايضا ، وذكر بعض المفسرين اضافة الى ماقلناه معنى (النعمة)ل ((ايد)) ايضا ، في حين ان ((يد)) تـــاتـــي بـــمعنى ((النعمة)) في بعض الاحيان والتي يكون جمعها ((ايدي)) وجمع جمعها ((ايادي)).

وعـــلـــى كـــل حـــال ، تدل جملة ((ان ا لموسعون)) بوضوح على ان اللّه تعالى الذي خلق السموات بـــقـــدرتـــه التامة يضفي عليها عامل الاتساع والاستيعاب بصورة مستمرة وبنا على عدم وضوح هذا الـــمـــطلب بالنسبة للعلما والمفسرين سابقا ،فقد فسر الكثير منهم هذه الجملة بانها تعطي معنى سعة رزق اللّه تـــعالى على عباده من خلال نزول المطر ، او من خلال طرق مختلفة وفسرها بعض على انـــها تعطي معنى الغنى والكفاف ، وبان اللّه تعالى كلما اجزل نعمة واعطى لا تنقضي خزائنه ابدا بيد انـــنـــا لو القينا نظرة على ما اثبتته المشاهدة النجومية بواسطة المراصدالفضائية على ان المجرات تبتعد عن احداها الاخرى بسرعة ، وان العالم في حالة اتساع مطرد ، لاتضح مفهوم هذه الجملة في اذهاننا بصورة كاملة .

نقرا في كتاب ((بداية ونهاية العالم)) لمؤلفه ((جان الدر)) :.

((لـــقـــد كـــشفت احدث وادق القياسات على طول مسيرة الامواج التي تنبعث من النجوم ، الستار عن وجـــه احـــدى الحقائق العجيبة والمدهشة ، ذلك انها بينت على ان مجموعة النجوم التي تشكل هيئة العالم تبتعد بسرعة فائقة عن مركز العالم بصورة مستمرة ، وكلما اتسعت الفاصلة بينها وبين مركز الـــعالم كلما زاد ذلك من سرعة سيرها ، ويبدو ان النجوم باكملها

كانت مجتمعة في هذا المركز في يــوم من الايام ثم تشتت شملها بعد ذلك ، وانفصلت عنها مجموعة من النجوم الكبيرة لتشق طريقهافي مسالك الفضا المختلفة ، علاوة على ان العلما استفادوا من هذا الموضوع على ان للعالم نقطة شروع في بداية الامر)) ((١٩٦)) .

ونقل في نفس الكتاب عن ((جرج كاموف)) قوله في كتاب ((خلق العالم)) :.

((ان فضا العالم المتكون من مليارات المجرات ، في حالة اتساع مطرد ، وفي الحقيقة ان عالمنا ليس فــي حــالــة ســكون وانما في حالة انبساط ، والتوصل الى الحقيقة القائلة بان هذا العالم هو في حالة انــبــســاط وتــوســع ، هو المفتاح الذهبي للتعرف على لغز هذا العالم ، لان قولنا : ان العالم في حالة انبساط حاليا ، يستلزم منه ان العالم كان في حالة انقباض شديد جدا في يوم من الايام)) ((١٩٧)) .

ونقرا في كتاب ((حدود النجوم)) لمؤلفه ((فرد هويل)) حول سرعة الانبساطواتساع العالم مايلي :.

((تــصــل اقوى درجات السرعة لتقهقهر الكرات التي خضعت للقياس الى وقتناهذا الى حدود ست وســتــون الــف كــيلو متر في الثانية ، ان نور المجرات الابعد يبدوضعيفا بنظرنا الى درجة بحيث يــتعسر علينا قياس سرعتها ، نظرا لعدم وجود النورالكافي لقد بينت الصور التي التقطت من السما بوضوح من ان فاصلة هذه المجرات ابعد بكثير من فاصلة المجرات القريبة)) ((١٩٨)) .

وعــلــى هــذا الاساس نقف على تفسير واضح جدا في صدد الاية السابقة واتساع السموات ، والتي تكشف الستار عن السر ورا احد المعجزات العلمية للقرآن .

ومما يستحق الاهتمام ايضا ان عبارة : ((ان ا لموسعون)) والتي استعمل فيها اسم الفاعل والجملة الاسمية ، تدل على حالة الاستمرار والديمومة ، وعلى تداوم حالة التوسع والانبساط.

القرآن ووجود الحياة في الكرات الاخرى . ٦.

جا في الاية (٢٩) من سورة الشورى ما يلي : (ومن آياته خلق الســمــــوات والارض وما بث فيها من دابة وهو على جمعهم اذا يشا قدير).

يا ترى هل العيش والحياة مختص بالكرة الارضية ، والكرات الاخرى ليست مسكونة اطلاقا ؟ لقد كــان الــعلما الاوائل يتابعون هذه المسالة دائما بشي من التردد او الحكم المنفي ، بيد ان التحقيقات الاخيرة للعلما اثبتت لنا ان العيش والحياة لاتختص بالكرة الارضية .

ونقرا في كتاب ((الحياة في العالم)) من منشورات مجلة ((لايف)) ما يلي :.

((من الممكن حسب احصاات العلما ان تتواجد في مجرتنا ملايين النجوم التي تكون سياراتها التابعة لها آهلة بالسكان)).

وذهــب البعض الى اكثر من ذلك واعتقدوا بوجود موجودات حية في بعض الكرات السماوية تفوق حالة التطور لدى الانسان بكثير ، فالارسالات الراديوية التي يبثونها في الفضا ولا

نستطيع الاتيان بمثلها ، قابلة للاطلاع عليها بصورة كاملة من خلال اجهزة الاستقبال التي بحوزتنا ، وان كنا لا نفهم لغتهم ولا نعي بمغزاها.

وعلى كل حال فتصريح الاية المتقدمة بالقول : بان اللّه تعالى بث الموجودات الحية في السموات والارض ، يخبر عن حياة الموجودات الاخرى بشكل واضح ومن الاشتباه بمكان ان نتصور ان المقصود من الموجودات الحية في السماهي الملائكة ، ذلك لكون كلمة ((دابة)) تطلق على الموجودات الجسمانية فحسب ولاتطلق على الملائكة .

ولهذا ففي الموضع الذي يريد القرآن الكريم ان يذكر الملائكة يتحدث عنهابصورة مستقلة بعد ذكر كلمة ((الدابة)) ، كما نقرا ذلك في الاية (٤٩) من سورة النحل : (وللّه يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة وهم لايستكبرون) بحيث نجد ان ((الملائكة)) جعلت في قبال ((الدابة)) ، وهذا يدل على عدم شمول كلمة الدابة للملائكة في الاية التي وقعت موردا للبحث .

ومن الظريف ما يقوله ((الفخر الرازي)) في تفسير الاية التي وقعت موردا للبحث بانه : ((لا يستبعد ان يقال ان اللّه خلق في السموات انواعا من الموجودات الحية تمشي كما يمشي الانسان على وجه الارض)) ((١٩٩)) .

ونقرا في حديث ظريف عن الامام علي (ع) ما يلي : ((هذه النجوم التي في السما مدائن مثل المدائن التي في الارض مربوطة كل مدينة الى عمود من نور)) ((٢٠٠)) .

ووردت في بعض المصادر الاسلامية روايات اخرى في هذا المجال ((٢٠١)) .

ومن المعلوم ان هذه المعلومات استقيت من نفس المصدر الذي استقاه القرآن الكريم ، والا لم يطلع احد على هذه المسائل في ذلك العصر.

القرآن وخلق الجبال . ٧.

ورد في القرآن الكريم عبارات مختلفة وغنية في معانيها في مجال خلق الجبال ، يقول تعالى في احد المواضع :(والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون) ((٢٠٢)) .

وفي موضع آخر يقول تعالى : (الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا) ((٢٠٣)) .

ونقرا في آية اخرى قوله عز وجل : (وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ما فراتا) ((٢٠٤)) .

ويقول تعالى ايضا : (والقى في الارض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة) ((٢٠٥)) ، وهناك ايات اخرى بهذا المضمون او قريبة منها في القرآن الكريم ايضا.

الامر الذي نواجهه لاول وهلة في هذه الايات ، هو تاثير وجود الجبال في الحفاظ على استقرار الارض ، والتي عبر عنها تارة بـ ((الاوتاد)) والتي تستخدم عادة في اقفال اقسام مختلفة من الابواب والصناديق والسفن وما شابه ذلك ، او صيانة المخيمات وتقويتها في

مقابل هبوب الرياح .
وتارة اخرى عبر عنها بـ ((ان تميد بكم)) الماخوذة من مادة ((ميدان)) بمعنى الاهتزاز والاضطراب ، ومعنى ذلك ان الجبال تحد دون اضطراب الارض واهتزازها ولم يطلع احد على هذا المطلب في ذلك العصر ، ونحن في هذا الوقت نعلم جيدا مدى دور الجبال على هذا الصعيد ، وذلك للنقاط التالية :.
اولا : ان الجبال في واقع الامر هي في قوة احد الدروع الفولاذية التي تحيطبالارض من كل جوانبها ، ونظرا لقوة ارتباطها واتصالها باعماق الارض تشكل بدورهااحد الشبكات القوية الشاملة ، واذا لم يكن كذلك وكانت الرمال الناعمة تغطي صعيد الارض ، لوقعت تحت تاثير الجاذبية القوية للقمر بكل سهولة ، ولهز الجزروالمد كل شي على اليابسة نظير المد والجزر في البحار ، واستولى الاضطراب والاهتزاز والحركة على وجه الارض في الليل والنهار ، ولتعرض لامكان الانهدام والسقوط كل مبنى من المباني .
بيد ان وجود هذا الحصن المنيع في الارض ينزل بالمد والجزر الى ادنى مستوى ، وحاليا تاخذ القشرة السميكة للارض بالارتفاع والانخفاض بمقدار ثلاثين سانتيمترا في كل يوم وليلة ايضا ، وهذا بعكس البحار التي ترتفع وتنخفض على اثرالجزر والمد امتارا متعددة احيانا.
وتوجد جاذبية الشمس الجزر والمد ايضا وان كان ضعيفا ، ولو وقع مسيرالشمس والقمر في خط واحد واتصلت الجاذبيتان في جانب واحد ، لاشتدت قوة هذه الحركات واحتدت الا ان القرآن يذهب بالقول الى ان الجبال التي هي اوتادالارض تصونها من الاهتزاز.
ثانيا : ان الضغط الداخلي للارض بواسطة حرارتها المركزية الهائلة يؤثر على قشرة الارض بصورة دائمة ، ولولا وجود الجبال لاصبح مصدرا من مصادرالاضطراب المستمر للارض .
والان تدبروا لو اشتد الاضطراب لحركة الجزر والمد والضغط الداخلي على اثرمرونة قشرة الارض وطرواتها ، هل كان للهدؤ والاستقرار الذي نستشعره في وقتناالحاضر معنى يذكر على الاطلاق ؟ وهل نجد بيتا وملجا وماوى نلجا اليه ؟.
ثالثا : لقد ثبت في وقتنا الحاضر ان الجبال باعمدتها القوية تحرك معها الهواالحاصل في اطراف الارض ، والان لو فرضنا ان الارض تتحرك في دورانها حول نفسها بسرعتها الذاتية المعهودة ــ اي ما يقارب الثلاثين كيلو متر في الدقيقة ــ ، وبناعلى عدم وجود الجبال ، لما تحقق مثل هذا الدوران للهوا المتناثر في اطرافها ،ولثارت ثائرة العواصف والاعاصير والرياح الشديدة على اثر اصطدام جزيئات الهوا بوجه الارض ، فضلا عما يولد ذلك من حرارة هائلة تحرق الاخضرواليابس كما ان الطائرات السريعة لو سارت في الطبقات السفلى للجو لاجتمعت اجنحتها من الحرارة بحيث قد يؤدي ذلك

الى عواقب وخيمة لهذا تضطر الى الصعود في الطبقات العليا للجو لتتحرك في وسط الهوا الرقيق جدا حتى يقل احتكاكها بالهوا الذي هو المنشا لايجاد الحرارة .

بـــلا ، لـــقـــد ازالت منخفضات ومرتفعات وجبال الارض هذه الازمة وحر كت الطبقة السميكة للجو مـــضـــافـــا الى حركة الارض ، تماما كدوران اسنان الدواليب ذات المقود التي تدور مع دورانها بقية الاشيا الاخرى .

فـــبـــنا على ذلك ، تعتبر الجبال وسيلة من وسائل استقرار الارض واستقرارساكنيها سوا في مقابل جـــاذبية القمر والشمس ، او في مقابل الضغط الداخلي ، اوفي مقابل العواصف الشديدة والمستمرة ، او في مقابل تولد الحرارة الشاقة .

من جهة اخرى ، تقدمت الاشارة في الايات السابقة الى وجود العلاقة بين الجبال وبين نزول المطر وارتـــوا الاراضـــي والحصول على ما الفرات وهو ((المالعذب)) ، يقول عز من قائل : (وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم مافراتا).

مما لايقبل الشك هو ع دم الاحاطة بهذا الارتباط الدقيق بين هذين الامرين في السابق ، الا اننا نعلم في الوقت الحالي ،اولا : ان الجبال هي سبب من اسباب تجمع بخار الما ، بمعنى تراكم السحب وثانيا :انـــها سبب من اسباب برودة طبقة الهوا المجاور لها ، وثالثا : انها تحتفظ بالقسم الاكبرمن الامطار على شكل ثلج ، كما انها منبع من المنابع المستمرة لجريان المياه على سطح الارض ، ومن ثم صيانة المياه من الهدر والضياع بالاضافة الى ان الامتدادالواسع للجبال ، وقشرتها المتعكرة تقلب امواج الما وتعرضها للهوا النقي ، فيصفواالما ويتحول الى ((ما الفرات)) وهو (الما العذب).

وبـــغـــض النظر عن كل ذلك ، فان النكتة الظريفة الاخرى التي استاثرت باهتمام بعض من العلما في صـــدد جبال الارض ، هي ان الجبال في مقابل تحولات الضغطالارضي في قوة ((الدوار الثابت)) الذي يحول دون تبدل السرعة .

توضيح ذلك : ان المقصود من ((الدوار الثابت)) هو نفس الشي الموجود في كافة الوسائل التي لها حـــركة دورية مشابهة ، وذلك في صورة دوار ثقيل يدعى بالدوارالطيار او الدوار الثابت ، ينصب في محورها حتى ينظم سرعتها ، وعلى سبيل المثال لو ورد ضغط من الخارج على هذه الوسيلة ذات الـــحـــركـــة الدورية ثم انقطع الضغطفجاة لقفزت الى الامام ووجهت صدمة الى ذلك الجهاز ، اما اذا نـــصـــب الـــدوار الـــثابت عليها لاحتفظت بهذا الضغط في داخلها ، ثم تدفعه بالتدريج بدون ان تتوجه اي صدمة الى ذلك الجهاز (تامل جيدا).

هـــذا مـــن جـــهـــة ، ومـــن جهة اخرى بامكان العواصف الهائجة التي تهب احيانا في الجهة المخالفة او الـــمـــوافـــقة للارض ان تؤثر على حركتها ، وحينما تهدا فورة العاصفة تتحول الارض الى حالة من الانـــدفـــاع الـــعـــشـــوائي الـــذي يـــوجه ضربة قاصمة الى جميع الموجودات الارضية ، بحيث يولد الاضطراب في كل شي .

الا ان لـــوجـــود الـــجـــبـــال التي هي بمثابة ((الدوار الثابت)) دور في الاحتفاظ بكل هذه الضغوط المثبتة فيها والمنفية فتحد دون حدوث الصدمات ، وتحافظ على الحركة المتوازنة للارض ، وعلى حد تعبير القرآن تقف مانعا دون حدوث الاهتزازات وزعزعة الاستقرار.

ولـــو كـــان الـــبحث في زمن هذه الايات قائما على قدم وساق في مجال مباحث ((الدولاب الثابت)) وآثـــاره فـــي ذلك العصر ، لما كانت التعبيرات في هذه الايات مدهشة ومثيرة ، ولكن نظرا الى عدم وجـــود مـــثل هذه المسائل في ذلك الزمن على الاطلاق ، خصوصا انه لم يكن للفيزيا معنى في محيط الـــجـــزيـــرة العربية ، فضلا عن هذه المسائل المعقدة ، فلابد من الاعتراف بان بيان مثل هذه الايات تعبير من احدى المعاجز العلمية الكبرى ((٢٠٦)) .

والـــنـــكـــتـــة الاخـــرى هـــي ان الـــقـــرآن في صدد ايجاد الجبال يقول : (والقى في الارض رواسي) ((٢٠٧)) .

ويقول في مكان آخر : (ام من جعل الارض قرارا وجعل لها رواسي) ((٢٠٨)) .

هذه التعابير ونظائرها التي تكررت في القرآن تبين بوضوح على ان الجبال خلقت بعد خلق الارض ، واثبت العلم الحديث هذا المعنى بوضوح ايضا ، وذهب الى القول بان الكثير من الجبال حدث على اثر تـــعـــرجات الارض ، والبعض حدث على اثر المواد الذائبة المحرقة ، والبعض الاخر حدث بسبب تـــنـــقية المواد الرخوة من اطراف المواد الصلبة للارض الذي يحصل على اثر نزول المطر ، وكل ذلـــك تحقق بعد خلق الارض وايجادها ومما لا ريب فيه ان هذه المسائل لم يتانى معرفتها حين نزول هذه الايات من القرآن .

عنصر الزوجية بين النباتات في القرآن . ٨.

وردت الاشارة الى عنصر الزوجية في عالم النباتات في آيات خمس من القرآن الكريم ، فنقرا في الاية (١٠) من سورة لقمان قوله تعالى : (وانزلنا من السما مافانبتنا فيها من كل زوج كريم).

وورد نفس المضمون في كل من الاية (٧) من سورة الشعرا والاية (٧) من سورة (ق).

ويقول تعالى في الاية (٥) من سورة الشعرا : (وترى الارض هامدة فاذا انزلناعليها الما اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج).

ونـــقرا ايضا في الاية (٥٣) من سورة طـــه قوله تعالى : (وانزل من السما مافاخرجنا به ازواجا من نبات شت ى).

عندما وصل اغلب المفسرين الاوائل الى هذه الايات فسروا ((زوج)) بمعنى ((النوع)) و ((الـــصنف)) ، و ((الازواج)) بمعنى ((الانواع)) و ((الازواج)) المختلفة للنباتات ، لانه لم يتاتى بعد التعرف على حقيقة الزوجية في حقل النباتات بمعناهاالمعروف في ذلك الزمان .

ان الـــنـــاس فـــي ســـالف الزمان وان كانوا يعلمون نوعا ما عن ان بعض انواع النباتات جنسين ، الذكر والانـــثى ، وانهم كانوا يستخدمون عملية التلقيح من اجل تكثيرها(خصوصا

شجرة النخل التي يعلم بوجود الذكر والانثى فيها منذ قديم الزمان ، وانهم كانوا يحرصون على انمائها عن طريق التلقيح) ، لـــكـــن احد العلما المعروفين في حقل النباتات من السويد يدعى ((لينه)) اعرب عن هذه المسالة لاول مرة في اواسطالقرن الثامن عشر للميلاد وهي ان عنصر الزوجية (بين الذكر والانثى) في عـــالـــم الـــنباتات تعتبر من احدى المسائل العامة ، والمتفق عليها ، وان النباتات كاغلب الحيوانات انما تتكاثر وتترعرع من خلال الامتزاج بين نطفة الذكر والانثى ، ومن ثم تعطي الثمار.

الا ان القرآن الكريم ــ كما راينا ــ قد رفع الستار عن هذة الحقيقة قبل هذا العالم باثني عشر قرنا ، واشـــار الـــى عـــنصر الزوجية في عالم النباتات في موارد متعددة ، الا انه نظرا لعدم امتلاك هؤلا للجراة في التصريح بهذه الحقيقة ، عمدوا الى تفسيرالزوجية بمعنى اخر على خلاف ظاهرها.

ومـــن الظريف ان النباتات مختلفة من هذه الجهة ، ففي كثير منها يجتمع الذكروالانثى فيها في اصل واحد ، وفي البعض الاخر تنفصل اشجار الذكر عن اشجارالانثى .

خذوا وردة من الورود ثم افصلوا اوراقها عنها ، وتاملوا بدقة في داخلها تجدون عالما مليئا بالعجائب والاســـرار وفـــي الواقع ينعقد هناك محفل كبير ، بيد انه لاصخب فيه ، ويخلو من اي لون من الوان العنف والاعتدا ، ان المياسم الظريفة واللطيفة التي تحمل معها اكياس حبوب اللقاح تحيط بما حولها ثـــم تـــتـــحـــرك مـــع هبوب الرياح ، لتنثرتلك الحبوب على المدقة ان الحبات المذكرة التي تمثل كل واحـــدة مـــنـــها خلية صغيرة جدا ، تتجذر بسرعة وبعد العبور من على عنق المدقة تمتزج مع نطفة الانثى في المبيض في اصل الورد لتشكل بدورها بذرة الورد او الفاكهة .

وكـــان الاوراق الـــزاهية للورد بمنزلة احدى معالم الزينة لهذا المحفل الغرامي العجيب او الاستار الـــموضوعة على الحجرة المزينة للعروسين ، ثم تدعى الحشرات والفراشات الجميلة والنحل الى هذا المحفل البهيج ايضا.

ويـــتـــناول كل منهم الحلوى المخصوصة والمعد ة له من قبل رحيق الازهارويبعثون لنا حصة منها ، وما نشاهده من العسل في الاسواق ، هو نصيبنا من ذلك المحفل .

وعـــلى كل حال استنادا الى تصريح القرآن في آيات مختلفة على شمولية عنصرالزوجية للنباتات ، وبالرغم من بعض الاستثنات القليلة الواهية الموجودة في كل قانون كلي ، يكون قد رفع الستار عن هـــذا السر المهـــــم الذي خفـــي عن انـــظارالعلما في ذلك العصر والقرون التي تلته وهذه بحد ذاتها من المعاجز العلمية البديعة .

القرآن والزوجية العامة . ٩.

نقرا في الاية (٤٩) من سورة الذاريات قوله عز من قائل : (ومن كل شي خلقنازوجين لعلكم تذك رون).

ويــقول في الاية (٣٦) من سورة يس : (سبحان ال ذي خلق الازواج كل ها مم اتنبت الارض ومن انفسهم ومم ا لا يعلمون).

فــهذه الاية تبين ــ بوضوح اكثر ــ شمولية عنصر الزوجية للنباتات والبشر والاشياالخارجة عن حدود العلم البشري ونظرا لان كثيرا من المفسرين لم يجدوا هنا مفهومالزوجية بالمعنى الحقيقي (اي عــنصري الذكر والانثى) ، فقد عمدوا الى تفسيرهابالاصناف المختلفة للموجودات في العالم التي تبدو على شكل زوج زوج مثل النهار والليل ، النور والظلمة ، البحر والبر ، الشمس والقمر ، الحرب والسلم وغيرها.

الا انــنا نعثر على تفسير ادق لهاتين الايتين في وقتنا الحاضر ، ذلك ان التحقيقات العلمية اثبتت هذه الــحــقيقة بوضوح وهي ان جميع الموجودات لعالم المادة تتشكل من اجزا صغيرة جدا تدعى بالذرة وهــذه الاجــزا الــتــي عــرفــت قــديما بالموجودالذي لا تنفصم عراه (اجزا لا تتجزا) وسمي ب ((الذرة)) لهذا السبب قد تحطم على اثرتطور القدرة العلمية والفكرية للانسان ومن هذا المنطلق نشات القوة الذرية والصناعات المتعلقة بها.

وعــندما حللوا الذرة وجدوا انها مركبة من اجزا متكونة غالبا من الكترونات (الجزئيات التي تغلف النواة ، وتحمل شحنة سالبة) ، بروتونات (الجزئيات التي تحمل شحنة موجبة).

وعــلــى هــذا الاســاس تــحــصل من ذلك معنى ادق للزوجية في كل ذرات عالم الوجود وهو توفر عــنــصري (الذكر) و (الانثى) ، (الموجب) و (السالب) ، (الفاعل) و(القابل) وبدون اي استثنا ايــضــا ، فــي حــيــن ان التفسير الذي قال به العلما الاوائل بالرغم من عدم انسجامه الكامل مع مفهوم الزوجية ، فيه استثنات كثيرة ايضا.

وعــلــى اي حــال ، توجد هناك جاذبية قوية بين الزوجين الحقيقين ، وكذلك بين جسمين بشحنتين كــهــربائتين مختلفتين سالبة وموجبة ، وهي كثيرا ما تشابه الجاذبية الجنسية في حين لا يوجد اي نوع من انواع الجاذبية بين الليل والنهار ، النوروالظلمة ، البحر والبر ، وما شابه ذلك .

ومن الجدير بالذكر ماصرح به بعض المفسرين القدامى من خلال ما استلهموه من الايات السالفة ، بان الــمــقصود من الزوجين في هذه الايات هو عنصري الذكروالانثى نفسيهما ، وان لم يوضحوا هذا المطلب بصورة كاملة ((٢٠٩)) .

.١٠

القرآن يكشف النقاب عن مسالة مراحل تطور الجنين . وردت ضــمــن الايات القرآنية المرتبطة بعلائم التوحيد ودلائل المعاد اشارات غزيرة المعاني الى مــســالــة خلق الانسان من النطفة ومن ثم مراحل تطور الجنين والتي يمكن عد بعض منها في قائمة المعجزات العلمية للقرآن .

مــن جــمــلتها ما نقراه في الاية الثانية من سورة الانسان : (ان ا خلقنا الانسان من نطفة

امشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا).

(النطفة) في اللغة بمعنى الما الصافي او الما القليل ((٢١٠)) (الامشاج) جمع مشج (على وزن نسج او على وزن سبب) او جمع مشيج بمعنى الشي المختلط وقد ابدى المفسرون احتمالات متعددة في صدد الجواب عن ما هوالشي الذي تختلط به النطفة .

فتارة تصوروا ان ذلك اشارة الى تركيب نطفة الانسان من ((الحيامن)) و((البويضة)) ، وتارة بانه اشارة الى كونها مركبة من الاستعدادات المختلفة من الناحية الجسمية او الروحية (القبح والحسن ، الـذكـا والـغـبا و) واخرى الى انه اشارة الى ان نطفة الانسان مركبة من مواد مختلفة من المعادن نحوها.

بـطـبيعة الحال ان ذلك كله حسن ، ولعله كان من افضل التفاسير في عصره ، الا انه لاينطبق بدقة عـلى معنى الاية ذلك ان لفظة الامشاج جمع ، واطلاقها على شيئين اي (البويضة والحيمن) خلاف الظاهر ، هذا اولا ، وثانيا : ان وجود الاستعدادات المختلفة في الاشخاص بشكل مستقل لا يتلام مع مـعنى الامشاج ، وكذلك ليس من المناسب القول بتركيب النطفة من انواع المعادن واشباهها ، لان هذا الامر لاينحصر في النطفة فقط ، وانما تتركب من هذه المواد كل الموجودات العالية نظيرالانسان والـنـبات والوان الاطعمة ، اضافة الى ان كلمة النطفة في آيات متعددة من القرآن جا في خصوص نطفة الرجل .

فمثلا نقرا في الاية (٣٧) من سورة القيامة قوله تعالى : (الم يك نطفة من مني يمنى) ؟.

لـكـن مع تطور العلم واتساع نطاق تحقيقات العلماثبت اليوم بان القطرات القليلة للمني والتي تدعى بـ (الـنطفة) مركبة من مياه متعددة تفرزها الغدد المختلفة للجسم ، وبشكل رئيسي فهناك خمس غدد تتظافر فيما بينها لكي تصنع المني من ترشحاتها ، وهي عبارة عن :غدتان تقعان في اكياس قريبة من غدة البروستات وتدعى بـ (البيضة).

والاخرى هي غدة البروستات نفسها ، وكذلك غدتا ((الكوبر)) و ((الليترة)) اللتان تقعان بالقرب من مجاري الادرار ((٢١١)) .

وتختلط هذه المياه الخمسة مع بعضها بنسب دقيقة وموزونة لتشكل مادة الحياة (النطفة).

ويـعـتـقـد هذا العالم الفرنسي ان التعبير بـ (الامشاج) الوارد في القرآن هو اشارة الى تلك النكتة الدقيقة التي خفيت عن انظار علما ذلك العصر.

ومـمـا يـسترعي الانتباه هو قوله تعالى في ذيل الاية السابقة : (فجعلناه سميعابصيرا) ، بمعنى ان نعمة السمع قد تقدمت على نعمة البصر ، لاحتمال ان يكون السبب في ذلك كما ذهب اليه العلما من ان الحس الاول الذي يبدا بالعمل لدى الرضيع هو السمع ، فهو يستعد لالتقاط الاصوات في الايام الاولى من حياته بل ان له قبل ذلك نشاطا محدودا في العالم الجنيني ايضا.

وهـذا بـخـلاف البصر فانه يستعد للابصار بعد ذلك ولعله بعد مرور اسبوعين ،لعدم امتلاك العين الـمغمضة اي استعداد لرؤية امواج النور في البيئة المظلمة للرحم ولهذا السبب فان

عين الرضيع تبقى مغمضة بعد ولادته مدة من الزمن ايضا ، حتى تعتاد على الضيا بالتدريج .
مــن جــانــب آخــر يقول في الاية (٢٠) الى (٢٣) من سورة المرسلات : (الم نخلقكم من ما مهين # فجعلناه في قرار مكين # الى قدر معلوم # فقدرناه فنعم القادرون).
لقد توصل علما الاجنة اليوم من خلال مطالعاتهم ومشاهداتهم الدقيقة والمصورة عن تحولات الجنين الــى هذه النكتة ، بان لقا (الحيامن والبيوض) ان مايتم خارج الرحم و في الممرات المنتهية اليه ثم تنعقد النطفة لتشق طريقها نحوقرارها الاصلي وهو الرحم فتلتصق بجداره .
ويــتــبى ن هذا المعنى بوضوح في الاية الانفة الذكر ايضا ، ففي البداية تتحدث عن خلقة الانسان ، ومن ثم عن استقراره في قرار الرحم (وينبغي الالتفات الى ان ((ثم)) تستعمل في لغة العرب عادة لــلــتــرتــيب بشي من الفاصلة) ، وعليه فان الامرالذي توارى عن نظر جميع العلما في ذلك العصر ومابعده قد جا في القرآن بشكل واضح .
والــتــعــبير بــ ((القرار المكين)) هو الاخر تعبير غني جدا في معناه والذي كان مجهولا في ذلك الزمان قطعا.
نعلم في وقتنا الحاضر ان هناك خصائص مهمة اخذت بنظر الاعتبار في خلق الرحم بحيث اصبح من آمن الاماكن للجنين .
وبــغــض الــنظر عن الاغشية الثلاثة التي تحيط بالجنين من كل جوانبه (غلاف باطن الام ، جدار الــرحــم ، الــكــيــس الخاص لاستقرار الجنين) فان كل جنين يسبح في كيس يحتوي على ما لزج ، ويــســتقر هناك تقريبا في حالة من انعدام الوزن وعدم الاتكا على شي معين ، وهو يتحمل كثيرا من الــصــدمات التي ترد على انحا جسدالام ، ذلك ان الصدمات في الواقع تصيب (كيس الما) لا الجنين نــفــســه مــبــاشــرة ،وبعبارة اخرى يمكن ان نسمي ذلك الكيس ومحتواه بالجهاز المضاد للصدمات نــظــيرالنوابض المرنة للسيارة التي تخفف من تاثير عراقيل الطريق فضلا عن ذلك انه يحول دون تسليط ضغط على اعضا جسم الجنين ، ذلك ان هذا الضغط يلحق الضرر بذلك الجسم اللطيف ، اضافة الى ان البرودة والحرارة الخارجية لا تنتقل الى الجنين بسهولة كما لايخفى ، لانها تضطر في سبيل الى الجنين ان تخترق ذلك الكيس المملؤ بالما ، فتصل اليه معتدلة الحرارة ، والا من الممكن ان يختل وضع الجنين بصورة كاملة عند استحمام واحد للام بالما البارد او الحار.
وبــنا على هذه الامور التي توضح لنا مفهوم (القرار المكين) بصورة كاملة لايعتبر الرحم ملجا آمنا ومناسبا للجنين فحسب ، بل ان هذه الامنية والحصانة تسايره في المراحل التي تمر بها ولادته ايضا .
وكما قال بعض المفسرين الجدد : ان المادة السائلة الخاصة التي يسبح فيهاالجنين تتسبب في اتساع فــوهــة الــرحم حين الولادة وتعقيم المجرى الذي يمر منه الجنين ليتمكن من اجتياز هذا المجرى المتلوث بانواع الميكروبات عادة فيخرج الى الدنيا سالما ، في منتهى الامن

والراحة ((٢١٢)) .

ومـــما يستحق الاهتمام ان القرآن الكريم عندما يريد ان يفصح عن سلسلة المراحل التكاملية للجنين يقول في الاية (١٤) من سورة المؤمنين : (ثم خلقنا النطفة علقة # فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما # ثم انشاناه خلقا آخر # فتبارك اللّه احسن الخالقين).

ومن طريف القول هو ما اثبته علم الاجنة حاليا بان الجنين عندما يطوي مرحلة كونه علقة ومضغة ، تـــتـــبدل كل خلاياه الى خلايا عظمية ، ثم تغطيها العضلات واللحم بالتدريج (وقد اثبت ذلك الافلام الدقيقة الباهضة التكاليف التي اخذت لكل المراحل الجنينية).

وهـــذا هـــو مـــا جـــات به الاية السابقة بدقة اذ تقول : (فخلقنا المضغة عظامافكسونا العظام لحما) ، وهـــذه هـــي احـــدى الـــمعجزات العلمية للقرآن الكريم ، ذلك انه لم يكن في ذلك الزمن مايسمى بعلم ((الاجـــنة)) ، وعلى الخصوص في محيط جزيرة العرب الذي لم يتوفر فيه الاطلاع عن بابسط المسائل العلمية ((٢١٣)) .

.١١

القرآن يتحدث عن الاثار المهمة للغلاف الجوي للارض . نـــقـــرا فـــي الاية (٣٢) من سورة الانبيا قوله تعالى : (وجعلنا الس ما سقفامحفوظا وهم عن آياتها معرضون).

لـــقـــد ابـــدى المفسرون القدما وجهات نظر مختلفة في صدد بيان حقيقة السقف السماوي المحفوظ ، فـــتـــارة يـــذهبون الى : انه محفوظ من نفوذ الشياطين ، وتارة يقولون : انه محفوظ من السقوط على الارض ، وتارة ثالثة : انه محفوظ من الانهدام بالرغم من تقادم الزمن ((٢١٤)) .

ان السر ورا هذه التفاسير المبهمة هو عدم اطلاع البشر على السما اطلاعادقيقا في ذلك العصر.

وعندما وجد علم الهيئة الجديد اثبت ان الكواكب باجمعها تسبح في الفضااللامتناهي ، وانه لا يوجد ســـقـــف اساسا اصبح مفهوم هذه الاية اكثر تعقيدا بالنسبة لبعض المفسرين ، حتى لجـــا الى القول : ان معناها هو ان السما كالسقف المحفوظالذي يحول دون حدوث اي اختلال في نظام الوجود.

وعـــلـــى هـــذا الاساس صار المتبادر من معنى السقف هو المعنى المجازي والذي جا بصورة التشبيه والكناية .

الا ان الـــعلم البشري لم يزل يواصل تقدمه نحو الامام ، واصبح مفهوم هذه الاية اكثر وضوحا نظرا الى ما حصل عليه العلما من معلومات جديدة عن طبقات الغلاف الجوي ، فثبت انه يوجد سقف محفوظ بمعناه الحقيقي .

تـــوضـــيـــح ذلـــك : انـــه تـــوجد طبقة عظيمة للهوا تحيط بالارض من كل اطرافهاتسمى

((الغلاف الجوي)) يصل سمكها مئات الكيلو مترات ونظرا لضخامة هذه الطبقة الشفافة ظاهرا والمتكونة من الـــهـــوا ، بـــعـــض الغازات الاخرى ، نجدها على جانب كبيرمن القوة والمقاومة يقدرها بعض العلما بمقاومة سقف فولاذي سمكه عشرة امتار ، تصان به الكرة الارضية من الوان المخاطر.

فـــمن جهة يقف سدا منيعا امام هطول القذائف المستمرة ــ ليلا ونهاراــ للاحجار(الشهب) المنجذبة نحو الارض بسرعة هائلة وتشكل خطرا كبيرا فيما لو اصطدمت باحدى الاماكن .

وتـــتـــضح اهمية هذه المسالة اكثر من خلال النظر الى ماقاله العلما : ان ملايين من هذه الشهب تتجه نحو الارض في كل يوم وليلة ، وعندما تجابه هذه الاحجارالسريعة بمقاومة الغلاف الجوي تعتريها الـــحـــرارة فـــتـــحترق وتشتعل متحولة الى رماد ،يحط على الارض رويدا رويدا احيانا يكون هذه الاحـــجـــار كـــبـــيـــرة جدا فتجتاز الغلاف الجوي (بعد ان يحترق جز منها) فتصيب نقطة من الكرة الارضية ، وتحدث اضرارامخيفة ، سجلت نماذج لها في التاريخ ، ولعله انذار موجه الى الغافلين بان اللّه تعالى لو لم يخلق هذا السقف المحفوظ ، لتعرضتكم باجمعكم الى هذا القصف الخطير ،ولما كان للهدوء والاستقرار معنى في حياتكم .

ومـــن جـــهة اخرى نعلم ان الشمس تنبعث منها اشعة تدعى بالاشعة فوق البنفسجية (تلك الاشعة هي نفسها التي تقع فوق اللون البنفسجي عندما يتحلل ضوءالشمس ولا تشاهد بالعين المجردة) والمقدار الـــقليل منها مفيد ونافع جدا ، فضلا عن انه لا يلحق الضرر باحد ، وبالاخص ان له دورا كبيرا في قـــتـــل الـــميكروبات ، الا اذاازداد وكثر فانه يحرق البدن بدون ان يشعر الانسان بالحرارة ، (ان السبب ورااالحروق التي تصيب جلد الراس والوجه والبدن في المناطق القريبة من خط الاستوافي فـــصل الصيف هو ان الشمس تسطع بصورة عمودية وتجتاز طبقة قليلة من الهوا ،فلا تحظى بقدر كاف من التصفية) لو لم يوجد هذا (السقف المحفوظ) وهو ((الغلاف الجوي)) لم يستطع اي انسان ان يقاوم الشمس ولو لحظة واحدة .

مـــن جـــهة ثالثة ان الاشعاعات المميتة المسماة بـــ (الاشعة الكونية) تتجه بسرعة نحو الارض مما ورا الـــمـــنظومة الشمسية فيقف جزا من الغلاف الجوي ويسمى بـــ ((طبقة الاوزون)) ((٢١٥)) مانعا من نفوذ هذه الاشعة القاتلة وتقاومها كالسقف المحفوظ.

اخـــيـــرا بـــرزت مـــخـــاوف كثيرة للعلما على اثر الثقب الذي حدث في طبقة الاوزون بسبب تصاعد الـــغـــازات الـــضـــارة مـــن بعض اجزا السيارات في الهوا والحاقهاالضرر بتلك الطبقة هذه المخاوف ظهرت بصورة جدية بحيث اخذ رجال الدول والعلما يفكرون في وضع مقررات دولية تمنع حدوث هذه الاضرار.

هـــذا مـــا تـــوصـــلـــنـــا اليه حاليا من التعرف على الاثار العجيبة لهذا (السقف المحفوظ) ، اي الطبقات العظيمة للهوا ومن الممكن الكشف عن حقائق اهم واكثرفي هذا المضمار مستقبلا.

وقـــد يـــخـــطـــر الـــى الذهن هذا السؤال وهو هل يمكن اطلاق اسم ((الغلاف الجوي))على

السما فتصدق عليه ؟ وهل السما الا الكواكب السماوية والمنظومات والمجرات ؟.
في الجواب على هذا السؤال نقول : ان القرآن الكريم هو الذي اطلق مرارا هذه الكلمة على الغلاف الـــجـــوي ومن جملة ذلك ما نقراه في الاية (٢٢) من سورة البقرة قوله تعالى : (وانزل من الس ما ما فاخرج به من الثـــمرات رزقا لكم) ((٢١٦)) ،.
ويتجلى بوضوح نموذج آخر لهذا المعنى في الاية (٧٩) من سورة النحل حيث يقول عز من قائل : (الم يروا الى الطير مسخ رات في جو السما).
.١٢
القرآن والغلاف الجوي للارض ايضا. نقرا في الاية (١٢٥) من سورة الانعام قوله تعالى : (فمن يرد اللّه ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضى قا حرجا كان ما يصع د في الس ما كذلك يجعل اللّه الر جس على ال ذين لا يؤمنون).
ماهي العلاقة القائمة بين الصعود الى السما وضيق الصدر ؟.
وهو سؤال لم يجد له المفسرون الاوائل جوابا دقيقا.
قال كثير منهم : ان المقصود من ذلك هو كما ان الصعود الى السما امر عسير اومحال كذلك تحصيل الايمان بالنسبة الى الكفار المعاندين والجهلا المتعصبين ((٢١٧)) .
في حين ان الاعمال الشاقة والمستحيلة كثيرة على وجه الارض فليس هناك مبرر للتشبيه ، اضافة الى ان هذا التفسير بحاجة الى تقدير : وهو ان الايمان يشابه الصعود الى السما ، في حين ان القرآن يقول : (يجعل صدره ضى قا حرجا كان مايصع د في ال سما).
وقـــالـــوا في بعض المواضع : شبه اللّه الكافر في نفوره من الايمان وثقله عليه بمنزلة من تكلف مالا يطيقه ، كما ان صعود السما لايطاق ((٢١٨)) ، ولا يخفى عدم تناسب هذا التفسير مع محتوى الاية ايضا.
ام ا بـــالـــنـــظـــر الى الاكتشافات الاخيرة فان للاية المتقدمة تفسيرا آخر يناسب هذاالمعنى من كل الجهات وهو :.
لقد ثبت اليوم ان الهوا المحيط باطراف الكرة الارضية مضغوط بصورة كاملة في الاماكن المجاورة لسطح الارض ويلائم تنفس الانسان ويناسبه ، لانه يحتوي على الاوكسجين الكافي ، وكلما ابتعدنا عن سطح الارض اصبح الهوا اقل كثافة فيغدو التنفس شاقا جدا على ارتفاع عشرة كيلو مترات عن ســطح الارض بدون استخدام الانسان نقاب الاوكسجين ، ويصاب بحالة من الضيق الحاد في التنفس ،وكـــلـــمـــا ارتفع الى الاعلى اكثر ، ازدادت حد ة الضيق في تنفسه حتى يصل الى الوقت الذي يغمى عليه لقلة الاوكسجين .

اذا توجد هناك علاقة وثيقة بين ضيق التنفس والصعود الى السما ، ولم تتبلورهذه الحقيقة في ذهن اي شخص في ذلك العصر ((٢١٩)) بيد انها قد تبلورت في اذهان الجميع في يومنا هذا ، فقد سبق لـــنـــا ان ســـمعنا هذا الحديث من مضيفي الطائرة عدة مرات اثنا سفرنا بها ، بان الهوا الموجود داخلها يـــنـــظـــم بجهاز خاص ، فاذا حدث خلل فيه ، فحينئذ ينبغي الاستفادة من نقاب الاوكسجين ، لتستغل الطائرة سرعتهاوتصل الى الطبقات السفلى للجو الاكثر ضغطا.
كما ان العلاقة بين هذا المعنى وبين تفسير الاية واضحة جلية .
وهي في الواقع تشبيه المعقول بالمحسوس ، فقد شب ه الجمود الفكري والتعصب واللجاجة وقصر نـــظـــر الـــضالين المعاندين في اعتناقهم للاسلام ، بضيق التنفس الناجم عن قلة حصول الاوكسجين بالنسبة للشخص الذي يصعد الى السما.
وننهي هذا البحث بمقولة للمراغي في تفسيره هذه الاية ، اذ يقول (سبحانك ربي نطق كتابك الكريم بـــقضية لم يتفهم سرها البشر ، ولم يفقه معرفة كنهها الا بعد ان مضى على نزولها نحو اربعة عشر قـــرنـــا ، وتقدم فن الطيران ، الان علم الطيارون بالتجربة صدق ماجا في كتابك ، ودل على صحة ما ثـــبت في علم الطبيعة من اختلاف الضغط الجوي في مختلف طبقات الهوا ، وقد علم الان ان الطبقات العلياقل كثافة من الطبقات التي هي اسفل منها ، وانه كلما صعد الانسان الى طبقة اعلى شعر بالحاجة الى الهوا وبضيق في التنفس نتيجة لقلة الهوا الذي يحتاج اليه ، حتى لقد يحتاجون احيانا الى استعمال جـــهـــاز الـــتـــنـــفس ليساعدهم على السير في تلك الطبقات ، وهذه الايات وامثالها لم يستطع العلما ان يفسروها تفسيرا جليا لانهم لم يهتدوا لسرها ، وجا الكشف الحديث وتقدم العلوم فامكن شرح مغزاها وبـــيان المراد منها بحسب ما اثبته العلم ، ومن هذا صح قولهم ، ((الدين والعلم صنوان لاعدوان)) ، وهـــكـــذا كـــلـــمـــا تقدم العلم ارشد الى ايضاح قضايا خفي امرها على المتقدمين من العلما والمفسرين) ((٢٢٠)) .

.١٣

القرآن واسباب نزول المطر والبرد. نـــقـــرا فـــي الايـــة (٤٣) من سورة النور قوله تعالى : (الم تر ان اللّه يزجي سحاباثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من الس ما من جبال فيها من برد فيصيب به من يشا ويصرفه عم ن يشا يكاد سنا برقه يذهب بالابصار).
في هذه الاية تعابير مختلفة ، لم تتوضح معانيها بدقة في الماضي .
((يزجي)) ماخوذة من مادة (ازجا) ومعناها في الاصل هو الدفع او التحريك الملائم الهادي .
يقول الراغب في المفردات : ((التزجية)) معناها هو التحريك على سبيل الترتب والتسلسل .
واستعمل القرآن الكريم هذه الكلمة لحركة السفن على اثر هبوب الرياح في البحر ((٢٢١)) .
((الركام)) (على وزن غلام) وهي تعني الاشيا المتراكمة فوق بعضها.

((ودق)) (على وزن شرق) ، وهي حسب راي بعض من المفسرين بمعنى قطرات المطر ، وحسب راي بعضهم الاخر بمعنى البرق .

((الـــبـــرد)) (على وزن سبد) وهو القطع المتجمدة للمطر ، وهي في الاصل ماخوذة من مادة برد (على وزن سرد) وهي البرودة ولان قطع البرد ذات طبيعة باردة وتبعث على برودة الارض ايضا اطلقت هذه الكلمة عليها ((٢٢٢)) .

((جبال)) جمع جبل ، جا في (معجم مقاييس اللغة) هو بمعنى تجمع الشي مصحوبا بالارتفاع وورد هـــذا المعنى في (التحقيق) ايضا وعليه فالجبل لايراد منه جبال الحصى والرمال فحسب ، بل ان كل مرتفع متراكم ومخزون يقال له في لغة العرب : جبل .

واستنادا الى ماقيل في هذا المجال نعود الى الاية الانفة الذكر : (وينزل من الس ما من جبال فيها من برد).

لـــم يـــدرك احـــد في ذلك العصر بدقة ان السحب في السما على هيئة جبال بارتفاعات متفاوتة نشاهد قاعدتها غالبا لاننا نرها بصورة لوحة واسعة في السما ،لكن عندما نحلق بالطائرة الى اعلى السحب ، نشاهدها جبالا ووديانا ومرتفعات ومنخفضات ، كما نشاهد ذلك على سطح الارض وبعبارة اخرى : ان الـــســـطح الاعلى للسحب غير مستو وعلى غرار سطح الارض يحتوي على تضاريس كثيرة ، وفي كثيرمن الاحيان يكون متراكما على هيئة جبل .

ومـــن اجـــل ان يـــتـــضح مفهوم الجبال في الاية اكثر يمكن ان نضيف النكتة الدقيقة والتي ثبتت نتيجة لتطور العلوم وازدهارها وهي :.

ذكـــر احد العلما في تحليله الشخصي ما خلاصته : ان السحب المرتفعة عب رعنها بجبال الثلج ، في الايـــة الـــتـــي وقعت موردا للبحث ، لان العلما في تحليقاتهم الجوية اصطدموا بسحب متكونة من ابر ثـــلـــجـــية ، يصدق عليها عنوان (جبال من الثلج) واقعا ، ومن الغريب هو ما ذكره بصددها احد العلما الروس اثنا شرحه لبعض (السحب المحملة بالامطار) بانها جبال من الثلج ، او جبال من السحب .

هذا كله من جهة ومن جهة اخرى ذهب علما معاصرون في صدد كيفية نشؤالبرد في السما الى القول : بان قطرات المطر تنفصل عن السحاب وتصطدم بالمناطق العليا الباردة للجو ووتنجمد ، ولكونها صـــغـــيرة جدا تقذفها الى الاعلى من جديد تيارات هوائية شديدة مسلطة على تلك المنطقة فتنفذ تلك الـــحـــبـــيـــبـــات داخـــل الـــســـحب مرة اخرى لتستقر مقابلها صفحة جديدة من الما ، تنجمد مرة ثانية حـــيـــنماتنفصل عن السحاب ، ويحدث احيانا ان يتكرر هذا الامر عدة مرات حتى يصبح حجم البرد كـــبـــيرا ، ولا تقوى التيارات الهوائية على دفعه الى الاعلى او ان تهدا تلك التيارات بصورة مؤقتة ، فـــحينئذ يشق طريقه الى الارض ويسقط باتجاهها بدون اي مانع ، ويحدث ان يكون كبيرا ثقيلا في بعض الاحيان فيلحق اضرارا بالمزارع والبساتين والحيوانات وحتى افراد البشر ايضا.

مـــن هـــنا يتبين ان وجود برد كبير الحجم ثقيل الوزن ممكن عندما تتراكم الحبيبات المنجمدة فوق قمم السحب الجبلية الى ان تظهر رياح شديدة فتقذفهاوسط السحب ، وتجمع مقدارا اكثر من الما ، فتصبح ثقيلة الوزن .

وعـــلى هذا الاساس تعتبر السحب الجبلية منبعا مهما لتكو ن برد كبيرا الحجم ،سبقت الاشارة اليه في الاية .

وتـــتـــضـــح الـــمـــســـالـــة اكـــثر فيما لو قلنا : ان هذه الجبال هي الاكوام المتكونة من الذرات الثلجية نفسها ((٢٢٣)) .

والسؤال الوحيد الذي يبقى هنا هو : لماذا وجه القرآن الكريم الخطاب الى النبي (ص) بقوله : (الم تـــر) فـــي حـــيـــن اننا نعلم ان هذه المسالة لا تقبل الرؤية على الاطلاق ، وانما تمكن ملاحظاتها في عصرنا فقط من خلال التحليق بالطائرة ؟.

والـــجـــواب عـــلى هذا السؤال واضح ، ذلك ان (الم تر) والجمل المشابهة لها يرادمنها (الم تعلم) ، ولـــهـــذا يـــقـــول القرآن مخاطبا النبي (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) ((٢٢٤)) ، بالرغم من ولادته (ص) في عام الفيل (العام الذي هجم فيه ابرهة على مكة) وعدم حضوره تلك الواقعة .

١٤.

القرآن وعلاقة الرعد والبرق والمطر. ورد الحديث عن الرعد والبرق في القرآن الكريم مرارا ثم وردت الاشارة الى تساقط الامطار بعد ذلك مباشرة .

نقرا قوله تعالى في الاية (٢٤) من سورة الروم : (ومن آياته يريكم البرق خوفاوطمعا وينزل من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون).

ونـــقـــرا في الاية (١٢) من سورة الرعد : (هو ال ذي يريكم البرق خوفا وطمعاوينشي الس حاب الثقال).

وفي الماضي لم يكن احد يعرف بدقة منشا (الرعد) و (البرق) ، ولذا كان كل شخص يختلق لنفسه فـــرضـــيـــة معينة ، ويضفي عليها احيانا طابع الاساطيروالخرافات ، اما اليوم فقد اضحى مسلما ان حـــدوث الـــرعـــد والبرق يرتبط بالتفريغ الكهربائي بين سحابتين لهما شحنتان كهربائيتان مختلفتان (احدهما موجبة والاخرى سالبة).

وفي الواقع مثلما يتصل سلكان كهربائيان احدهما بالاخر فتحدث شرارة كهربائية تصحبها الصوت والـــحـــرارة مـــعـــا ، كـــذلـــك يحدث هذا الامر بين السحب (فالبرق) هو الشرارة الكهربائية الهائلة و(الرعد) هو صوت تلك الشرارة .

وقد يحدث هذا التفريغ الكهربائي بين قطع السحاب التي لها شحنات كهربائية موجبة وبين الارض ولـــهـــا شـــحنة كهربائية سالبة عادة فتقذف شرارة نارية الى سطحهايطلقون عليها اسم (الصاعقة) والتي تسبب الحرائق الكبيرة في الصحاري والغابات وحتى في المباني

والعمارات في بعض الاحيان .

ويـــمـــكـــنها ان تحول قطيعا كبيرا من الغنم الى رماد في لحظة واحدة واذا ما ضربت جبلا ما فسوف يـــتـــلاشـــى وينهار ، او اذا اصابت سطح البحر قضت على كل ذي روح يعيش في ذلك الموضع منه ، ويـــعـــزى ذلـــك كـــله الى ان الحرارة الناجمة من تلك الشرارة النارية هائلة جدا ، (تصل الى حدود خـــمسة عشر الف سانتيكراد ، اي ضعف حرارة سطح الشمس تقريبا) ، فتحيل كل الاشيا الى دخان ورماد.

واذا ما كان البرق والرعد من المظاهر المرعبة لعالم الطبيعة الا انهما بالرغم من ذلك يشتملان على فوائد ومعطيات كثيرة ايضا.

فـــمـــن احـــدى اثارهما المهمة هي نزول الامطار الغزيرة ، وذلك لان الحرارة المتولدة من البرق ، تـــسخن مقادير كثيرة من الهوا المحيط بها ، فيقل ضغطه ، ومن المعلوم ان السحب ستفرغ ما فيها من امطار على اثر قلة الضغط ولهذا السبب ستظهر امطار غزيرة بعد حصول الرعد والبرق .

ومما يجدر ذكره : عندما تقترب السحب المتراكمة من الارض لتظللها ويصبح الجو مظلما ، ويسمع صـــوت الـــرعـــد الـــمخيف وتترای انوار البرق ، في الوقت ذاته تؤثر العواصف العاتية على السحب فتجعلها محملة لقطرات كبيرة غزيرة وتؤدي الى تزايد وزنها ((٢٢٥)) ، وهذا هو عين ما قرناه فـــي الايـــات الـــســـابقة التي تحدثت عن السحب الثقيلة بعد ان اشارت الى مسالة البرق ، اضافة الى ان الحرارة الشديدة للبرق تؤدي الى ان تتركب قطرات المطر من مقادير اكثر من الاوكسجين ، فينتج). ب ٢ ت من ذلك مامؤكسد ويسمونه بالما الثقيل ايضا (٢ ولهذا الما الثقيل تاثير كبير في القضا على كثير من الميكروبات والافات النباتية ، ولذا ذهب العلما الى القول بتكاثر الافات النباتية في السنة التي يقل فيهاالرعد والبرق (وهذا تفسير آخر في صدد السحب الثقيلة).

واضـــافة الى ذلك فان قطرات المطر الممتزجة بكاربون الجو وبواسطة الحرارة الشديدة للبرق ، تـــنـــتـــج حـــامض الكربونيك الذي ينتشر على الارض ويتفاعل مع مواداخرى لينتج مركبات تعد من افـــضـــل الاســـمدة لنمو الاعشاب ، حتى ذهب العلما الى القول : ان مقدار الاسمدة الناشئة من الرعد والبرق في الكرة الارضية تصل الى حدود العشرة ملايين طن في جميع انحا الكرة الارضية ، وهو رقم كبير جدا.

وتـــتـــوضح عظمة القرآن العلمية بالمقارنة بين هذه الاكتشافات والايات الانفة الذكر ، خصوصا اذا اخذ بنظر الاعتبار عدم وجود ادنى اثر لهذه العلوم في ذلك العصر وفي بيئة الجزيرة العربية .

.١٥

القرآن واسلوب تحديده لهوية الانسان . نـــقرا في الاية (٣) و (٤) من سورة القيامة قوله عز

من قائل : (ايحسب الانسان الن نجمع عظامه بلى قادرين على ان نسوي بنانه).
جا في الروايات ، ان احد مشركي العرب ويدعى (عدي بن ربيعة) وكان رجلامعاندا ومتعصبا جدا ، اتـــى الى النبي (ص) وساله عن يوم القيامة وكيفية وزمان تحققه ، وقال : انني لا اصدقك ولا اومن بـــك وان رايت ذلك اليوم بام عيني ، كيف يمكن التصديق بان اللّه تعالى يجمع هذه العظام النخرة ، هذا ممالا يقبل التصديق فنزلت الاية ((٢٢٦)) .
(بـــنـــان) في اللغة بمعنى الاصابع ، وقد ورد احيانا (بمعنى رؤوس الاصابع) ،وهو ماخوذ من مادة (بن) بمعنى الاقامة .
وبـــنـــا عـــلـــى كـــون الاصـــابـــع ، اداة لاصـــلاح احـــوال اقـــامـــة الانسان في العالم ، اطلق عليه هذا الاسم ((٢٢٧)) .
ان للاصابع دورا مهما جدا في حياة الانسان ، وتعد من عجائب الخلقة ، وان غفلنا عن اسرارها لانها تـــحـــت تصرفنا دائما ، ولو قطعت اصابع يد احد ما ، فانه سوف لا يستطيع ان ينجز عملا دقيقا باي شـــكـــل مـــن الاشـــكـــال ، وستستحيل عليه الكتابة ، وتصفح اوراق الكتاب ، وتناول الطعام بسهولة ، والاتصال بالهاتف ، وفتح الابواب بالمفاتيح وانواع الصناعات الدقيقة وتستحيل عليه بقية الصناعات الاخـــرى كانواع الاعمال المتعلقة بالسيارات ، وحتى اخذ الاشيا الثقيلة باليد ايضا بل ويمكن لنقص احـــد الاصـــابـــع ان يوجه ضربة عنيفة لكثير من الاعمال اليومية التي يقوم بها الانسان ولهذا السبب تنجز الحيوانات ذوات الاربع كثيرا من اعمالها بفمهااو راسها.
ويـــمـــكـــن الـــقـــول بـــعـــبارة اخرى : ان وجود الاصابع لدى الانسان يعتبر من العوامل المهمة للتقدم الـــحـــضـــاري لـــه ، والـــتـــعبير بـــ ((البنان)) الماخوذ من مادة الاقامة والدوام ،اشارة لطيفة الى هذه الحقيقة نفسها ، وذلك لصعوبة وجوده في العالم بدونها.
تـــقـــول الايـــة الانفة الذكر ان بامكاننا ان نعيد العظام الصغيرة الدقيقة في يوم القيامة ايضا فضلا عن العظام الكبيرة .
واحـــتـــمـــل جماعة من المفسرين ايضا ان المقصود من تسوية البنان هو وصالها مع بعضها واخراجها بصورة حافر حيوان من ذوات الاربع وليس لهذا التفسير تناسب مع آيات السورة .
من الامور التي يمكن استفادتها من هذه الاية هو هذا الاكتشاف المهم ، فقداصبح من الثابت ان معرفة هوية احد ما يتم بوسيلة رؤوس اصابعه وهي اوثق وادق من كل امضا ولايستطيع احد تزويره ، في حـــيـــن ان الـــتـــزويـــر قـــادر على التسرب الى اعقد الامضاات ، ولهذا السبب اصبحت مسالة ((اخذ الـــبـــصمات)) من الحقائق العلمية في عصرنا الحاضر واستحدثت لاجلها دائرة خاصة في المراكز الامـــنـــيـــة ، مـــن خـــلالـــهـــا يكشف النقاب عن كثير من المجرمين ، فيكفي ان يضع احد السراق يده على مقبض الباب ، او زجاج الغرفة ، او على القفل والصندوق والكرسي عند دخوله لاحد الغرف او الـــمـــنـــازل ومن ثم يبقى اثرها على تلك

الاشيا ، او يتم العثور على سلاح في قضية قتل عليه بصمات احـد الاشخاص ، يكفي لاخذ نماذج فورية لهاويطابقونها على بصمات الاشخاص المشكوك بهم في تـلـك الـحادثة ، ــ اضافة لمالديهم من معلومات عن المجرمين والسراق ــ ومن ثم يلقون القبض على الجاني .
اذا تقول الاية بنا على هذا التفسير : اننا لسنا قادرين على ان نجمع العظام الكبيرة والصغيرة فحسب ، بـل ان في مقدورنا ايضا ان نعيد الاصابع وبصماتهابجميع مزاياها ، التي هي من ادق ما في البدن من خصوصيات الى حالتهاالاولى .
وبـعـبـارة اخـرى ان مفهوم تسوية البنان (ومعناها التنظيم والترتيب) ، شامل لجميع الخصوصيات والجزئيات ، من جملتها بصمات الاصابع .
ومـن الـجـدير بالذكر هو ما نجده من توافق بين هذا المعنى وبين مسالة القيامة ،المحكمة الكبرى للعدل الالهي ، التي يجب التحقيق فيها مع المجرمين والمذنبين ،ذلك ان هذه المسالة يستفاد منها ايضا في محاكم الدنيا ، قبل اي مكان آخر.
١٦.
القرآن يكشف الستار عن عظمة خلق السماوات . نقرا في الاية (٥٧) من سورة المؤمن قوله تعالى : (لخلق الس موات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الن اس لايعلمون).
صحيح ان اغلب المفسرين اعتبر هذه الاية ردا على جدال المشركين في (المعاد) ((٢٢٨)) ، اي انكم تشكون في بعث الانسان من جديد ، في حين ان خلق الانسان ليس باعظم من خلق السماوات ، بل ان خـلـق الـسماوات والارض اهم من ذلك واعظم بيد ان جملة (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) هي اشارة الى حقيقة ان عظمة السماوات كانت مجهولة لدى معظم الناس سابقا.
وبالرغم مما اكتشفه العلم الحديث من اسرار عظيمة ومهمة جدا عن وجودالبشر لم يكن واحد من الالف منه معروفا في العصور السابقة ، الا ان الاكتشافات التي تحققت بصدد عظمة السماوات ، تدل على ان خلقها والارض يفوق بمراتب خلق البشرية بكل ما تنطوي عليه من عجائب .
ان آخـر مـا تـوصل اليه العلما بصدد السماوات وبالاخص المجرات يقول ان ه قد اكتشف الى اليوم اكثر من مليارد مجرة بواسطة المراصد الفلكية الكبيرة ومنظومتناالشمسية ما هي الا جز ضئيل من احـدى الـمـجرات التي تسمى بـ ((درب التبانة)) ،ففي مجرتنا فقط اكثر من مائة مليارد كوكب والشمس بعظمتها هي احدى النجوم المتوسطة في هذا الجيش الجر ار للنجوم .
الـفـضا واسع جدا بحيث ان سبر اغواره يستحيل بالمركبات الفضائية البشرية فحسب ، بل اننا لو ركـبنا ذرات الضؤ ــ التي تسير بسرعة فائقة تصل الى ثلاثمائة الف كيلو متر في الثانية الواحدة ــ لاسـتغرقت رحلتنا هذه ملياردات السنين الضوئية ايضاحتى يمكننا ان نقطع

المساحة المكتشفة في هذا العالم .
وكلما كان حجم المراصد الفلكية اكبر وادق ، كلما كشفت لنا الحجب عن عوالم جديدة اخرى . بـــالـــرغـــم من ذلك فانه لا يعلم اية عوالم ورا مانعرفه ونشاهده ولعل ما اكتشف باكبر المراصد هو زاوية صغيرة وتافهة من هذا العالم العريض .
حـــسب قول احد العلما : ان كل هذا العالم الواسع الذي نشاهده ليس الا ذرة صغيرة ، وجز لا حدود له من عالم اكثر عظمة ((٢٢٩)) .
ومن هنا نقف على عمق الاية الانفة الذكر التي تقول : (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ولكن اكثر الناس لايعلمون).
ونتسال الا يعد بيان مثل هذه الامور من قبل فرد امي في عصر نزول القرآن وفي بقعة من اكثر بقاع العالم تاخرا ، معجزة ؟.
وبهذا النحو نصل الى نهاية بحث الاعجاز العلمي للقرآن ، وان كانت لا تزال هناك ملاحظات كثيرة لم نتطرق اليها.
ونعتقد ان البحث في النماذج الستة عشر السابقة اثبت بشكل منصف ولكل انسان واع حقيقة استحالة ان يكون هذا الكتاب العظيم اي القرآن من صنع عقل البشر.
.٤
الاعجاز القرآني من الناحية التاريخية . ٤.
الاعجاز القرآني من الناحية التاريخية . دور التاريخ في المسائل التربوية .
مـــما لا يقبل الشك ان القرآن ليس كتابا تاريخيا ، لكنه يضم بحوثا تاريخية متنوعة لاسباب مختلفة ، ذلـــك ان الـــمـــســـائل التربوية وبالاخص الاجتماعية لا يمكنها ان تنفصل عن المباحث المرتبطة بـــ (تـــاريـــخ القدما) لان التاريخ من اكبر معلمي الحياة وهو معيار جيد لتحديد وتبيين مزايا وخصائص المبادي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وفصل الحقائق عن الاوهام والمثاليات عن ما يناقضها.
ان الـــخـــلاقية الكبرى للتاريخ تتمثل باظهارها المسائل الفكرية والعقلائية في قالب محسوس تؤدي خـــدمة كبيرة لفهم المسائل الانسانية بصورة صحيحة فمن جملة المسائل التي تستنبط من التاريخ : الى اين تؤول عاقبة الظلم والجوروالاستبداد ، وماهي نتيجة الاختلاف والتشرذم ، وماهي خاتمة التعصب والعنادوالانانية ، عدم الاعتنا بالحقائق الواقعية ؟.
ولـــهـــذا الـــســـبب يمكن القول : ان التاريخ هو ما الحياة الذي يمد الانسان بالعمرالطويل ، فمن خلال مـــطـــالـــعـــة تـــاريخ القدما تستحصل من صفحات مركزة عصارة آلاف السنين من التجارب الانسانية وتوضع بين يدي جيل الحاضروالمستقبل .
واشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة المهمة بجملة مختصرة اذ يقول :.
(لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه

وتفصيل كل شي وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ((٢٣٠)) .

والجدير بالذكر هنا ان القرآن بى ن هذا المفهوم بعد قصة النبي يوسف ٧ المليئة بالحوادث والعبر التي يستفادمنها في الابعاد المختلفة للمسائل التربوية .

وفـــي مـــوضـــع آخـــر يـــعـــتبر القرآن قصص وتاريخ القدما وسيلة لايقاظ الافكار والعقول فيقول : (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) ((٢٣١)) .

وفي آيات اخرى يعد تاريخ الانبيا الاوائل وسيلة ناجحة ل(تثبيت قلب) نبي الاسلام (ص) وتقوية ارادتـــه ولتوعية المؤمنين وايقاظهم ، فيقول عز من قائل : (وكلا نقص عليك من انبا الرسل مانثبت به فؤادك وجاك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) ((٢٣٢)) .

ويـــقـــول تعالى في صدد التعريف بقصة نوح : (ولقد تركناها آية فهل من مدكر) ((٢٣٣)) ، يذكر الاثار المتبقية للقدما بتعبير حي جميل ، فيقول : (افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فان ها لا تعمى الابصارولكن تعمى القلوب التي في الصدور) ((٢٣٤)) .

وعـــلى هذا ، فالاحداث التاريخية المفصلة والاثار التاريخية الغابرة للقدماتساهم في انارة البصائر وتفتح آفاق جديدة رحبة .

ومن خلال هذه الاشارة الى فلسفة تاريخ القدما نعود الى القرآن مرة ثانية لنلقي نظرة على الاعجاز التاريخي للقرآن .

###.

الخطوط العريضة للتاريخ في القرآن . ســـبـــق القول الى ان مقطعا مهما من المباحث التربوية والمواعظ والنصائح والبشائر والنذر والعهود والامال القرآنية بينت بصفتها مسائل تاريخية شيقة معبرة ومؤثرة تجذب السامع تلقائيا نحو الاهداف الـــعـــلـــيـــا ، ولايستطاع الوقوف على عظمة البحوث التاريخية المعجزة في القرآن مالم يطالع بدقة سورة يوسف ، والانبيا ،وطه ، والقصص ، ومريم ، وآل عمران ، وامثالها.

تنطوي البحوث التاريخية على الخصوصيات الاساسية التالية :.

١ ــ الاستناد الى المقاطع الحساسة والقا نظرة فاحصة ونافذة على المسائل التربوية المهمة .

٢ ــ خلوها من اي شكل من اشكال الزوائد والاضافات .

٣ ــ خلوها من حالات التضاد والتناقض وعدم الترابط والانسجام .

٤ ــ خـــلافـــا لاســـلوب كتابة التاريخ المتعارف عليه في ذلك الزمان (وحتى في القرون التي تلته) ، حيث طرح التاريخ فيها كمادة مسلية ، ووسيلة للاطلاع على اوضاع الماضين ، فلم يشتمل على اية نظرة فاحصة محللة تشكل فلسفة التاريخ والدروس والعبر المستلهمة من حياة القدما.

بـــينما اهتم القرآن المجيد في تواريخه باصول المسائل وبظواهرها ايضا بشكل يبعث حب

الاطلاع في نفس القارئ والمتلقي ويحفز ذهنهما على التفكير الدقيق في الحوادث .
ومن الجدير بالذكر : انه يحذف الحوادث التافهة التي لا هدف لها سوى اطالة الكلام واتلاف الوقت من كل اياته .
٥ ــ اولـــى الـــقرآن اهتماما بالغا وبشكل دقيق الى فصل الحقائق التاريخية عن الاساطير ، وهي من الـــمـــســـائل الـــمـــعقدة احيانا ، لان هناك عوامل مزجت التاريخ بالاساطير الكاذبة دائما من جملتها : الـــترفيه وارضا العواطف الطفولية ، ادارة الخيال وايجاد الروابط المفتعلة ، بحيث يمكن القول : ان الاساطير والخرافات تستاثربمقطع مهم من تواريخ القدما وتشكل احدا اركانها الاساسية .
فـــبنا على ذلك لو فرضنا انفسنا في زمن نزول القرآن واجوا حياة نبي الاسلام (ص) لشاهدنا مدى امتزاج تواريخ ذلك الزمان بخرافات تتناقل على الالسنة وتعد في قائمة المسلمات بحيث لايستطيع المتعلمون الفصل بينهما ، فضلاعن احد الاميين .
وقـــد كان علما ذلك العصر من الربانيين و (احبار) اليهود والنصارى ومشركي العرب يدافعون عن هـــذه الاســـاطـــير والخرافات ومن الطبيعي ان من يعيش في مثل تلك البيئة ويصل سنه الى الاربعين تنسج افكاره بهذه الاساطير والخرافات ويستحيل الفصل بينها عادة ترى هل يستطيع احد ان يطهر الـــتـــاريـــخ فـــي تلك البيئة المظلمة ويفصل الحقائق عن الاوهام والخرافات ؟ ان احدا من المحققين ،والـــمـــطـــلعين على التاريخ في يومنا هذا لا يتمكن من القيام بمثل هذا العمل الا بشق الانفس ، فكيف يمكن توقع ذلك من شخص امي لم يؤت حظا من القراة في ذلك العصر ؟.
والان نتوقف عند بعض الامثلة في القرآن وبشي من المقارنة يتضح ماقلناه سابقا :.
كيفية خلق ((آدم)) في القرآن وفي العهدين . ١.
بى ن القرآن الكريم (خلقة) الانسان في سورة البقرة من آية (٣٠ الى آية ٣٧)بالشكل التالي :.
(واذ قـــال ربـــك للملائكة انـــي جاعل في الارض خليفة قالوا اتجعل فيهامن يفسد فيها ويسفك الدما ونـــحـــن نـــسبح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم مالا تعلمون # وعلم آدم الاسما كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسما هـــؤلا ان كنتم صادقين # قالوا سبحانك لا علم لنا الا ماعلمتنا ان ك انت الـــعـــلـــيـــم الـــحـــكـــيم # قال ياآدم انبئهم باسمائهم فلم ا انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب الـــسموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون # واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابـــليس ابى واستكبر وكان من الكافرين # وقلنا ياآدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منهارغدا حيث شـــئتـــمـــا ولاتقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين # فازلهماالشيطان عنها فاخرجهما مم ا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين # فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان ه هو التو اب

الرحيم) ((٢٣٥)) .

وقد اشير الى هذا المعنى ايضا في سور قرآنية اخرى كالاعراف وطه .

ويستفاد من الاية (١٢) من سورة طه بشكل واضح ، بان الشيطان خدع آدم من خلال قوله له : ان هذه الشجرة ، شجرة الحياة الابدية ، في حين ان آدم تلقى انذارامسبقا من ذي قبل يقضي بان الشيطان عدو لك فلا تغتر باقواله .

وكذلك يستفاد من الاية (٢٦ و ٢٧) من سورة الاعراف و (١٢١) من سورة طه هذا المعنى ايضا بان آدم وزوجته كانا يرتديان الاثواب في الجنة لكن عندما تناولامن تلك الشجرة المحرمة عليهم ، خلعت عنهما اثواب الجنة .

وصنعوا لانفسهما لباسا من اوراق اشجار الجنة ، واستنادا الى الايات السابقة نستنتج مايلي :.

اولا : ان اعلى نقاط القوة في آدم هو وصوله الى مقام الخلافة الالهية وسجودالملائكة له ، وهي نفس حالة اطلاعه على ((علم الاسما)) وعلمه بالحقائق والاسرارالكونية .

ثانيا : السبب ورا خروج آدم من الجنة ، هو تناوله من تلك الشجرة التي حظرت عليه من قبل وان كان القرآن لم يذكر اسما لهذه الشجرة ، لكن الظاهر في الامر انهاتمتلك فاكهة طيبة وجيدة والغاية من الامر بتركها هو اختيار آدم (ع) وامتحانه من اجل غربلة ايمانه وصقل ارادته في مقابل الوساوس النفسانية والشيطانية .

ويتضح من عبارة ((وازلهما الشيطان)) هذا المعنى بان التناول من تلك الشجرة المحظورة لايعدو ان يكون مخاضا من المخاضات وليس هو من نوع ارتكاب الذنب والطغيان امام قدرة اللّه وانتهاك حرمة العبودية .

والان نعرج على التوراة لنرى كيف امتزجت هذه الحادثة التاريخية بانواع الخرافات والمسائل غير المنطقية والصبيانية ؟.

جا في الفصل الثاني من (سفر التكوين ٧ ــ ٢٥) مايلي :.

٧ ــ ثم صور اللّه تعالى آدم من صعيد الارض ونفخ في انفه نسمة الحياة ، فاخذروح آدم ينبض بالحياة ٨ ــ وغرس اللّه تعالى بستانا في الجانب الشرقي من عدن ،وانزل الانسان الذي صوره هناك ٩ ــ وانبت اللّه تعالى كل شجرة بديعة ولذيذة المطعم ، وانبت شجرة الحياة وسط البستان وشجرة المعرفة (بالحسن والقبح) ١٥ــواخذ اللّه تعالى آدم وانزله في بستان عدن ليرعاه ويحرسه ١٦ ــ وامر اللّه تعالى آدم وقال انك مخير بان تاكل من كل اشجار البستان ١٧ ــ ولكن لا تاكل من شجرة المعرفة ، لانك ستستحق الموت حين تناولك منها ٢٥ ــ وكان آدم وزوجته كلاهماعاريين ولا يستحيان .

ووردت تتمة هذه الواقعة في الفصل الثالث من (سفر التكوين) نفسه على النحوالتالي :.

١ ــ خلق اللّه الافعى (الشيطان) امكر من كل ذي روح يدب على وجه الصحرا ،فقالت للمراة : هل قال اللّه حقا لا تاكلا من جميع اشجار البستان ٢ ــ وقالت المراة للافعى باننا ناكل من

فاكهة اشجار البستان ٣ ــ الا ان اللّه تعالى امرنا بان لا ناكل من ثمار الشجرة التي في وسط البستان ولا نلمسها حتى لا نموت ٤ ــ وقالت الافعى للمراة وبالطبع لاتموتان ٥ ــ الحقيقة ان اللّه يعلم انكما يوم تاكلان منها تتنوربصيرتكما ، وتصبحان كالالهة (الملائكة) الذين يعلمون الحسن والقبح ٦ ــ فرات المراة ان من الصلاح ان تاكل من الشجرة التي تبدو رائعة المنظر ، جذابة لمن يعشق المعرفة فوظفت من ثمارها واكلت واعطت لزوجها ايضا فاكل ٧ ــ حينئذ تنورت بصيرتهما ، وعلما انهما عاريان فحاكا من اوراق شجرة التين ازارا لهما ٨ ــ وسمعاصوت اللّه تعالى حينما كان يتبختر صباحا في البستان ، فاختفى آدم وزوجته بعيداعن حضرة اللّه بين الاشجار ٩ ــ ونادى اللّه آدم وقال له اين انت ؟ ١٠ ــ فاجابه انني سمعت نداك في البستان واصابني الهلع ، لانني عار من اللباس ولهذا اختفيت ١١ــفقال اللّه من قال لك انك عار ؟ هل تناولت من الشجرة التي امرتك ان لاتاكل منها ؟ ١٢ــ وقال آدم ان المراة التي منحتها لي لتكون معي هي التي اعطتني من تلك الشجرة فاكلت ١٣ ــ وقال اللّه تعالى للمراة ماهذا الذي فعلت ؟ قالت المراة لقداغوتني الافعى فاكلت ١٤ ــ وقال اللّه تعالى للافعى ، لانك فعلت ذلك فانت ملعونة من بين كل البهائم ، والحيوانات الصحراوية ستمشين على بطنك وستاكلين التراب طيلة ايام حياتك ٢٢ ــ وقال اللّه تعالى نظرا لان آدم اصبح واحدا من ا لعلمه بالحسن والقبح ، فلا ينبغي ان يمد يده الى شجرة الحياة ايضا فياكل منها ويعيش عيشاابديا.

٢٣ ــ اذا لهذا السبب ابعده اللّه تعالى من بستان عدن ، ليشتغل بزراعة الارض التي نشا منها.

٢٤ ــ وابعد آدم واسكن الكروبيين (الملائكة) في الجانب الشرقي من ((بستان عدن)) وكانوا يطوفون حول شجرة الحياة بالسيف البتار ليحرسونها.

وخلاصة ما جا في التوراة بصدد تاريخ خلق آدم وخروجه من الجنة على النحو التالي :.

خلق اللّه آدم ، واسكنه بستانا في الجانب الشرقي من عدن ،ليرعاه ، وختم هذاالبستان بين اشجاره شجرتين .

احداهما : (شجرة العلم بالحسن والقبح) وهي شجرة يحصل من ياكل من ثمارها على العقل والذكا ، ولان آدم لم يكن قد تناول منها شيئا ، فلم يدرك معنى الحسن والقبح ولهذا السبب لم يستح من عريه هو وزوجته قط ، والاخرى : كانت (شجرة الحياة) ومن اكل منها حظي بالعمر الخالد.

وامر اللّه تعالى آدم ان لا يتناول شيئا من شجرة العلم المعرفة والحسن والقبح على الاطلاق والا فسيموت ، وسرعان ما القى الشيطان وسواسه في روع زوجة آدم (حوا) وقال لها : لم لا تاكلين من (شجرة العلم ، والمعرفة) لانك لو اكلت لانيرت بصيرتك ولاطلعت على الحسن والقبح كالملائكة ، وكان منظر تلك الشجرة جذابا جميلا ، ومن ثم اكلت منها حوا واعطت

منها ولادم ايضا فتفتحت عـيـناهما ،واطلعا على الحسن والقبح ، وادركا قبح العري فصنعا من الورق العريض لشجرة التين سـتـرا لـهـما وربطوه حولهما ، حينما كان اللّه تعالى يتمشى في الجنة عمد آدم الى اخفا نفسه بين اشجارها ، فلم يشاهده اللّه تعالى وناداه اين انت ؟ فاجاب اللّه تعالى اني هنا بين الاشجار وقد اخفيت نـفـسـي لانـني عار فساله اللّه تعالى : من اين علمت انك عار ؟ لعلك تناولت شيئا من شجرة الحسن والقبح (شجرة العلم والمعرفة) ،فالقى التبعة على عاتق زوجته ، لما عوتبت حوا القت التبعة على عـاتـق الافعى (الشيطان) ، هنا عاقب اللّه الافعى ، بان تزحف على بطنها ، وتاكل من تراب الارض طيلة حياتها.

من ناحية اخرى ، بعد ان تناول آدم من (شجرة العلم والمعرفة) واصبح كاحدالالهة ، احترس اللّه تـعـالـى مـن ان يتناول من (شجرة الحياة) ايضا ويحظى بالعمرالخالد ولذلك اصدر اللّه تعالى امرا باخراجه من الجنة وامر الملائكة ، ان يحرسواشجرة الحياة بالسيف البتار لئلا يقترب منها آدم .

ولا يـخـفى علينا ان هذا هو التوراة نفسه الذي يعد اليوم (الكتاب المقدس)لجميع يهود ومسيحيي العالم ، ويؤمن جميعهم بمحتواه ويعتقدون انه الكتاب عينه الذي كان في ايدي اليهود والنصارى في عصر نزول القرآن .

وبـطـبـيـعـة الحال اننا لا نعتقد بوجود مثل هذا النوع من الخرافات الصبيانية المبتذلة في الكتاب الـسـمـاوي لموسى (ع) ، او ان الانبيا بعده دافعوا عنه ولكن على اي حال احتوت هذه الاسطورة الغريبة على امور جارحة في حق اللّه تعالى ،بحيث ان كل واحدة منها اشنع من الاخرى ومن جملتها :.

١ ــ نـسـبة الكذب الى اللّه تعالى استنادا الى مانقلوه من قوله انكما لو تناولتماشيئا من شجرة (العلم والمعرفة) فستموتان .

٢ ــ نـسـبـة البخل اليه جل وعلا بمانقلوه من انه لم يوافق على ان ياكل آدم وحوامن شجرة العلم والمعرفة ، فيحظيا على العقل والادراك وكان يريد لهما البقا على جهلهم وعدم معرفتهم .

٣ ــ ان اللّه تعالى لم يمنحهما العقل والعلم الكافيين ليدركا قبح كونهما عاريين ،بل وكان تعالى كثيرا ما يرتضي لهما هذه الحالة .

٤ ــ الـقـول بـان له جسما وانه يتمشي على قدميه في البستان ، وفي الوقت نفسه يغفل ولا يعلم بما يـدور حوله ، بحيث يمكن لادم وحوا ان يتواريا عن نظره وكل واحد من تلك الامور يعد كفرا ولا ينسجم مع مقام الالوهية اطلاقا.

٥ ــ ان الـشـيـطان (نعوذ باللّه) اشد حرصا من اللّه تعالى على آدم وحوا لانه ارشدهما الى معرفة الـحـسن والقبح ، وهو لم يكف عن اضلاله فحسب بل دعاهماالى طريق التكامل ،

بينما الحقيقة هي اننا ندين الشيطان في علومنا ومعارفنا.

٦ ــ ان الجنة منزل الجهال والاغبيا لان اللّه اخرج آدم وحوا من الجنة بجريرة حصولهما على العلم .

٧ ــ ان الــشيطان انما لعن وطرد من ساحة الرحمة الالهية ، لانه كان يطلب الخيرلادم ، فعوقب من دون ان يرتكب ذنبا معينا.

وكــذلــك فيما يخص الخرافات الاخرى ، كالعلم والمعرفة والحياة ، وثمار اشجارالبستان ، او ان غذا الافعى هو التراب دائما ، وامثال ذلك .

والان يمكننا اجرا مقارنة بسيطة بين ما بينه القرآن في صدد تاريخ نشؤ آدم وصراعه مع الشيطان ، وبين ماقراناه في العبارات السابقة ، لنعلم ايهما هو الكتاب السماوي وايهما نتاج عقل انسان جاهل ؟.

لقا ابراهيم (ع) بالملائكة . ٢.

يــبــى ن الــقرآن الكريم قصة مجي الملائكة الى ابراهيم في حالة مسيرتهم الى قوم (لوط) لانزال العقاب بحقهم في الاية (٦٩ الى ٧٦) من سورة هود ، على النحوالتالي :.

(ولقد جات رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جابعجل حنيذ فلم ا رآ ايديهم لا تــصــل الــيــه نــكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لاتخف ان ا ارسلنا الى قوم لوط # وامراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق يعقوب # قالت ياويلتي الد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هــذالشي عجيب # قالوا اتعجبين من امر اللّه رحمت اللّه وبركاته عليكم اهل البيت ان ه حميد مجيد # فــلــم ا ذهب عن ابراهيم الروع وجائته البشرى يجادلنا في قوم لوط # ان ابراهيم لحليم اواه منيب # ياابراهيم اعرض عن هذا ان ه قد جا امرربك ان هم آتيهم عذاب غير مردود) ((٢٣٦)) .

في هذا المقطع التاريخي لانواجه شيئا غريبا ومعقدا ومملا او غير منطقي مطلقا ، فالقصة واضحة الــمــعالم بكل تفاصيلها : امر الملائكة بمعاقبة قوم لوط ، وقبل ذلك جاؤا الى ابراهيم يبشرونه بانه ســيرزق ولدا ، فقرر ان يستضعفهم ، وسرعان ماطلع على حقيقة الامر واراد ان يتشفع لهم ، غير ان الامــر قــد انتهى فقوم لوط لايستحقون الشفاعة ، ثم يبشرونه وزوجته بولادة ابن لهما وتنتهي فصول هذه القصة .

ولــكــن لنرى ماذا نسج هذا الكتاب المقدس (كما يسمونه ، وهو مورد قبول)اليهود والنصارى من اساطير في هذا المجال ومالذي طرحه من مسائل غيرمنطقية ؟.

نقرا في الفصل الثامن عشر من سفر التكوين مايلي :.

((وظهر اللّه تعالى في معبر يسمى ((بلوطستان)) بينما كان (ابراهيم) جالسا على باب الخيمة في يوم قائظ ، وما ان فتح عينيه حتى راى ثلاثة اشخاص واقفين امامه وحينما رآه اخذ يعدو من الخيمة لاستقباله وانحنى الى الارض وقال سيدي الان وقد حزت على التفاتة منك ارجوك

الا ترحل قبل ان اتـــيـــك بـــقـــليل من المالاغسل رجليك ، وتستريح تحت هذه الشجرة وساجلب بعض الخبز لتقوي به قلبك وبعد ذلك ارحل لانهم سيقولون لقد عمل كما امره عندما عبر بالقرب مني .

ثم هرع ابراهيم الى (سارة) في الخيمة ، وقال : عجلي في ثلاثة مكاييل من .

الحنطة اعجينيها واخبزيها اقراصا بالتنور ، ثم اسرع ابراهيم الى قطيع الابقار واخذ عجلا ذكرا يافعا واعطاه لشاب فاعده وحضره بسرعة ثم حمل الزبد والحليب مع العجل الذي احضره ووضعه امامه ووقف بالقرب منه تحت تلك الشجرة ليتناول طعامه

ثــم قــال لــه اين امراتك سارة فقال : هاهي في الخيمة ، وقال اخر : ساعيدلك عمرك وهذه امراتك ســارة سيكون لها ولد ، وكانت سارة عند باب الخيمة وراه تسمع ذلك وهي وابراهيم كانا عجوزين طاعنين في السن ، وانقطعت عن سارة عادة النسا ضحكت سارة من دون قصد، وقالت : بعد ان هرمت اناوزوجي هل يمكن ان اكون مسرورة ؟ ثــم قــال اللّه تعالى لابراهيم لماذا ضحكت سارة ؟ قالت : هل سالد حقابعدما اصبحت عجوزا ، وهل يــصــعــب عــلــى اللّه امر ما ، والحال ساعيد لك عمرك في الوقت الموعود ، وسيكون لسارة ولد ، وانكرت سارة قالت : لم اضحك ، لانها ذعرت فقال : ليس كذلك بل ضحكت حقا ونهض هذا الشخص من هناك واتجه الى سدوم وشايعه ابراهيم ليسلك الطريق .

وقــال اللّه : لا اخفي على ابراهيم الامر الذي افعله ، لان ابراهيم سيكون حقا قوما عظيما وكبيرا وتتبرك به كافة طوائف الارض .

وقــال اللّه تــعــالى حيث ان صيحة (سدوم) و(عموراه) وعالية ذنوبهم عظيمة فساهبط لارى هل قــاموا بهذه الصيحة كما اخبرت ، واذا لم يكن كذلك فساطلع على الامر ، وتوجه هؤلا الاشخاص من هناك وتحركوا باتجاه (سدوم) والحال ان ابراهيم لازال واقفا امام اللّه ، ثم اخذ ابراهيم يتقرب وقــال : هــل ستقوم باهلاك الصالح مع الطالح حقا؟ من الممكن ان يوجد ٥٠ فردا صالحا ، في اعماق الــمدينة ، هل يمكن ان تهلك المكان ولاتنقذه بسبب مايوجد في الاعماق من ٥٠ فرد صالح ، حاشا لك ان تــقوم بهذا العمل وتهلك الصالحين ،مع الطالحين فيكون الصالح مساويا للطالح حاشا لك ، هل يمكن لمن يحكم الارض باجمعها ان لا يكون عادلا؟.

ثــم قال اللّه تعالى اذا وجدت ٥٠ فردا صالحا في وسط مدينة سدوم فساخلص كافة اهل ذلك المكان بــســبــبهم ، وقال ابراهيم في الجواب : الان وقدشرعت في الكلام من التراب والرماد ، اطلب من ســيــدي ، لــو انــقــصــنا خمسة افراد من مجموع ٥٠ فرد صالح هل يمكن ان تهلك كل اهل المدينة بسبب اولئك الخمسة افراد؟ فقال اللّه : لو وجدت ٤٥ فردا لما هلكتها.

وتــحــدث مــعــه مرة اخرى ، قال لو وجد فيها ٤٠ شخصا ، فقال هو : لا اقوم بهذا الامر بسبب ٤٠ شخصا ، وقال ابراهيم ارجو ان لا يغضب سيدي حتى اتكلم بل وجد فيها ٣٠ شخصا ، قال لو وجدت فيها ٣٠ شخصا لما فعلت ذلك .

وقــال اخــرى والان وقــد منح لي ان اتكلم مع سيدي ، بل وجد هناك ٢٠شخص ، قال هو لا اهلكها بسبب ٢٠ شخص ، وقال تارة اخرى ، ارجو ان لايغضب سيدي حتى اتكلم مرة اخرى بل وجد هناك ١٠ اشــخــاص ، فــقال هوسوف لا اهلكلهم بسبب ١٠ اشخاص وعندما قضى اللّه الكلام مع ابراهيم بداالمسير وعاد ابراهيم الى مكانه)) ((٢٣٧)) .

اســتنادا الى هذه المخطوطة في التوراة اطلع اللّه تعالى وثلاثة من الملائكة على ابراهيم في معبر يدعى ((بلوطستان)) في احد الايام الحارة ، ويقوم ابراهيم باستقبال الملائكة الثلاثة

استقبالا حارا ، وهـم بدورهم يتناولون من طعامه (وفهم البعض من هذه العبارة ان اللّه تعالى اكل من طعامه هـؤلا الـنـفـرالثلاثة كانوا من المظاهر الثلاثية للّه وفقا لعقيدة التثليث) وعلى كل حال حمل اللّه الـبـشـارة الـى ((سـارة)) بانها سترزق ولدا ، الا ان سارة ضحكت وعاتب اللّه سارة بالقول لماذا ضحكت فانكرت ذلك بانها لم تضحك الا ان اللّه اكد عليهابانك ضحكت .

ثم ان هؤلا عزموا على الرحيل واخذ ابراهيم يشايعهم ، وفي منتصف الطريق يحدث اللّه نفسه بانه لـمـاذا لا يخبر ابراهيم بالقرار الذي يريد ان يتخذه في حق قوم لوط ، لذلك قال له : سمعت ضجة كـبـيـرة من بلاد قوم لوط وقد نقل عنهم ارتكابهم لمعاصي كثيرة ، فهبطت من السما لاحقق النظر فيما اخبرت به هل كان صحيحا او لا ، واذا كان صحيحا فسابيدهم عن اخرهم ، ثم ان هؤلاالثلاثة تـحركوا تجاه ((سدوم)) غير ان ابراهيم لم يزل واقفا امام اللّه تعالى ، وبدابالمحاورة والمجادلة او بالاصطلاح (الرد والبدل) فقال : ليس من العدالة بمكان ان تهلك هذه البلاد لو وجد فيها ٥٠ فردا صالحا ، فطمانه اللّه تعالى على انه لووجد فيها ذلك لما اهلكهم ، ثم يبدا ابراهيم بالعد التنازلي بشي من الحيطة والحذر ، وفي كل مرة يشرع في حديثه يطلب العفو والمسامحة لئلا يغضب اللّه تعالى ، حتى انه قال مرتين بصراحة : (ارجو ان لايسبب ذلك في ازعاجك وغضبك) الى ان وصل العدد الى عـشـرة ، ويبدو ان ابراهيم لم يجرا على التنزل اكثر من ذلك ، لذا في هذه الحالة اختار السكوت عـلـى مـواصـلـة الحديث ، ولماوصلت المحاورة الى طريق مسدود ، انتهى كلام اللّه مع ابراهيم وتحرك اللّه تعالى باتجاه (سدوم) وعاد ابراهيم الى مقره الاصلي ، وانطلاقا من ان المقصودمن اللّه عـز وجل في هذه الايات (او بالاصح ، الجمل) هو نفس باري هذا الكون يمكن ان نستنتج المطالب التالية .

ا ــ نسبة الجسمانية الى اللّه تعالى ونقع على هذا المطلب في موارد متعددة من هذه العبارات .

ب ــ نسبة الجهل الى اللّه تعالى ذلك انه يقول هبطت الى الارض ، لاحقق النظر في شان قوم لوط.

ج ــ التعصب والتشدد الالهي من اجل النزول بحالة الغلظة والحدة الالهية ازاعباده الى ادنى مستوى ممكن د ــ الملائكة يتناولون الطعام ه ــ (سارة) تلك المراة المؤمنة العارفة ضحكت على اثر بشارة اللّه ثم بعد ذلك انكرت ايضا.

هـذه من نقاط الضعف الواضحة لهذه الاسطورة الكاذبة في التوراة المحرف التي نسبت الى اللّه عز وجـل ولكن عندما نطالع اصل الواقعة في القرآن ، لانشاهد اي واحدة من هذه الاشتباهات والنسب الشنيعة ، فمن خلال هذه المقارنة تتبين حقائق كثيرة في هذا المضمار.

منشا اختلاف اللغات . ٣.

مـــن الـــمـــســـائل المثيرة التي كانت تقع دائما في قائمة الاولويات الاساسية هي مسالة اختلاف لغات شـــعـــوب الـــعـــالم بالرغم من تولدهم جميعا من واب واحدوام واحدة ، يقول القرآن الكريم في هذا الـــصـــدد : (مـــن آيـــاتـــه خـــلق السمـــــوات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لايات للعالمين) الروم ــ ٢٢.

انـــنـــا اليوم نعلم ان منشا اختلاف اللغات في الواقع يكمن في شيئين ، اولا :وجود قدرة (الابتكار) والـــخـــلاقية في ذهن البشر فهم يعمدون الى خلق لغات جديدة وصياغة جمل جديدة في سبيل تامين حاجاتهم الذاتية .

وثـــانـــيا : الفواصل القائمة بين الملل والشعوب ، ففي العصور السابقة عندماكانت الاقوام والشعوب تـــتـــباعد عن احداهما الاخرى ، كانت تتحقق تغيرات وتحولات في الفاظهم وعباراتهم القائمة شيئا فشيئا ، وذلك لعدم وجود وسائل الاتصال الجمعي واخذت هذه التغيرات تتضاعف عبر الاف السنين فبدات اللغات والالسنة تنفصل احداهاعن الاخرى فكان ذلك سببا لبداية نشؤالاختلافات في الالسنة واللغات .

وانـــطـــلاقـــا مـــن كون اختلاف اللغات هي احد دعائم التعرف على الاقوام المختلفة واعتبر ذلك من العوامل المساعدة والمؤثرة في مسالة التعرف على المجتمع البشري نفسها واذا كان القرآن الكريم يعد اختلاف اللغات الى جانب اختلاف الالوان من آياته وعلائمه فهي اشارة الى هذه الحكمة نفسها ، لان كـــلامـــن اخـــتـــلاف الالـــوان اللغات وسيلة واداة للتعرف ، غاية ما في الامر ان الاول خارج عن اختيار البشر والثاني له ارتباط واضح بالابتكار والابداع البشري .

والان لننظر الى مايقوله (التوراة) الفعلي المحرف على صعيد اختلاف اللغات .

فقد ورد في الفصل الحادي عشر من سفر التكوين مايلي :.

(وكـــان الـــلـــســـان والكلام واحد في جميع انحا الارض ــ وحدث عندماأخذوا بالرحيل من الجانب الشرقي ((اشارة الى ابنا نوح وقبائلهم)) ان وجدواواديا في ارض شنعار ((الاسم القديم لبابل)) وســـكـــنـــوا فـــيه ــ وقال بعضهم الاخرهلموا لنصنع الاجر ونحرقه بالنار ، وكان الاجر بدلا عن الحجر ، والطين المدهون بدلا عن الاسمنت ــ وقالوا هلموا لنبني لنا بلدة وبرجا يناطح راسه السما ، ولـــنـــختار لنا اسما لئلا نتفرق على وجه الارض كلها ــ ولان اللّه تعالى اراد ان يرى مايصنعه بنو الـــبـــشـــر مـــن بلدة وبرج نزل ــ وقال : ان هؤلا القوم مجموعة واحدة وهم على حد سوا في اللسان وشرعوا بالقيام بهذا العمل ،ولاشي يمنعهم عما يريدون ــ بناه ــ تعال لننزل الى الاسفل وهناك نقوم بـــخلطالسنتهم حتى لايفهم احدهم لسان الاخر ــ ومن هناك عمد اللّه الى تفريقهم على وجه الارض باكملها ، وحال دون اتمام بنا البلدة وصار سببا لتسميتهابابل ، لان اللّه خلط كل الارض فيها ، ومن هناك فرقهم على جميع وجه الارض) ((٢٣٨)) .

ووفــقا لهذه الرواية الموجودة في التوراة ، كانت اللغة مشتركة بين جميع الناس على وجه الارض في البداية الى ان اجتمع ابنا نوح وقبائلهم في (شغارا) بابل ، وصمموا على عمل مهم ، وهو بنا بلدة كبيرة وبرجا عاليا ، ولم يكن هذا العمل مرضيا عند اللّه تعالى ، فكان قلقا من تحركهم ومايؤول ذلك مــن نــتــائج لــذا قــال لــبــعض الملائكة هيا لننزل الى الارض نخلط السنتهم حتى يتفرقوا(فاوجد الاختلاف بينهم حتى افرض هيمنتي الالهية) ووقع هذا الامر ، ونظرالعدم فهم احدهم للغة الاخر انتشروا في البقاع المختلفة ، وحال دون اتمام بناالبرج العظيم .

اشير في كتاب (اعلام القرآن) الى وجه تسمية ((بابل)) بهذا الاسم فيقول :.

(رواة الــقصة ظنوا ان لفظة ((بابل)) ماخوذة من بلبل وقالوا ان الناس اجتمعوافي هذه المدينة بعد طــوفــان نــوح وشــيــدوا فيها برجا لتصبح علامة على مركزيتهم وشكلوا فيها المجاميع الرسمية ولــكــنهم عندما ناموا في الليل واستيقظوا في الصباح اختلفت السنتهم واخذ يتكلم كل منهم بلغة ما ، وعــلــى اثــر عــدم حــصــول الــتــفــاهم بينهم افترقوا في انحا العالم ونشا من كل واحد منهم شعب من الشعوب ((٢٣٩)) .

هــذه الاســطورة تنطبق تماما مع مانقلناه سابقا في متن التوراة التي دلت على ان الاختلاف في اللغات تحقق من قبل اللّه تعالى من اجل مقارعة قدرة المجتمع البابلي .

الا ان الــسيد ((هاكس)) مؤلف كتاب ((القاموس المقدس)) له كلام آخر وتوجيه جمل التوراة اذ يقول : ((كانت الدنيا باجمعها تمتلك لهجة ولغة واحدة الى حدود الالفين عام تقريبا لكن بعد مائة سنة من الطوفان ، اي في زمن عصيان الكوشيون ((٢٤٠)) في بابل ، اوجد اللّه تعالى بشكل خارق للعادة الــخــلــط فــي لــغــاتــهــم ، وبــســط ولايــتــه عــلــى وجــه الارض مــع هــذه الاقــوام الــمختلفة والالسنة المتنوعة)) ((٢٤١)) .

وفي موضع آخر يقول :.

((بــنــا على عدم كون هذه المسالة وهي (بنا البرج العالي) موافقة للارادة الالهية اوجد اللّه تعالى الاخــتــلاف في السنتهم بحيث لم يكن بمقدور احدهم ان يفهم كلام الاخر ولهذا السبب انتشروا في جميع بقاع المعمورة وتحققت على اثر ذلك امنية اللّه تعالى وتعمرت الارض)) ((٢٤٢)) .

هــذه الــتــعــابير توحي الى ان الغاية الالهية من ايجاد هذا التبعثر في لغة مجتمع بابل ، هي العمران والتشييد ، والحال ان التوراة في العبارة التي نقلناها تقول : بصراحة ان الهدف من ذلك لم يكن سوى اضــعــاف مــجــتــمــع بــابل وكسرقدرتهم ووحدتهم وشوكتهم ، الا اننا نعلم على كل حال بان منشا اخــتــلاف الــلــغات لم يكن مثل هذا الامر على الاطلاق ، وان العامل الاساسي لهذا الامر هومرور الزمان وتباعد الاقوام فيما بينهم ، ولازال الحديث في المطلب متواصلايضا.

عباده العجل من قبل بني اسرائيل . ٤.

وردت الاشـــارة الـــى قـــصـــة عجل السامري في سورة طه (الاية ٨٤ الى ٩٦)من القرآن الكريم فـــبـــعـــدمـــا جـــا موسى الى ملتقى الوعد الالهي (جبل طور)ليتسلم آيات الوحي وجه اللّه تعالى اليه الخطاب بالقول :.

(قال فان ا قد فتن ا قومك من بعدك واضلهم الس امري # فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال ياقوم الـــم يـــعـــدكـــم ربكم وعدا حسنا افطال عليكم العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم مـــوعـــدي # قـــالـــوامـــا اخـــلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم فقذفناهافكذلك القى الـــســـامري # فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذاالـــهكم واله موسى فنسي # افلا يرون الا يـــرجـــع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا # ولقد قال لهم هارون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الر حمـــــن فاتبعوني واطيعوا امري # قالوا لن نبرح عليه عاكفين حت ى يرجع الينا موسى # قال يـــا هارون ما منعك اذ رايتهم ضل وا # الا تتبعن افعصيت امري # قال يابنؤم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي انـــي خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي # قال فما خطبك ياسامري # قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي).

يـــســـتـــفاد من مجموع هذه الايات ان بني اسرائيل في غياب موسى قد غرربهم ((السامري)) ذلك الـــرجل المنحرف والذي يقال ان له خبرة في صياغة الذهب ، فصنع من حليه وزينته عجلا من ذهب وانـــبـــرى هـــارون الـــى مـــنـــازلـــتهم الى ان يقول القرآن في مقام اعتذار هارون من موسى (ان القوم استضعفوني وكادوايقتلونني) ((اف ــ ١٥)) .

واخيرا انزعج موسى (ع) كثيرا من هذه القضية ، والقى باللائمة على اخوانه ، وعاتب السامري ، واحـــرق صـــنـــمه بالنار ، وذر رماده في البحر ، ووجه عقابا صارما الى بني اسرائيل ، والان لنلقي نظرة على مايقوله التوراة في هذاالمجال :.

جا في الفصل الثاني من سفر الخروج في التوراة مايلي :.

(ولـــمـــا راى الـــقوم ان موسى (ع) يتريث في هبوطه من الجبل ، اجتمع اولئك القوم عند هارون) ، وقـــالـــوا لـــه انهض واصنع لنا الهة تسير امامنا ، لاننا لانعلم ماحل بذلك الرجل الذي اخرجنا من ملك مـــصـــر ــ وقال لهم هارون اخرجواالاقراط الذهبية من آذان نساكم وصبيانكم عندي ــ فاخرج جميع القوم الاقراط الذهبية التي كانت في آذانهم وجاؤا بها الى هارون ،فاخذها من ايـــديـــهـــم ، فـــصـــورهـــا بشكل بارز ، وصبت على شكل عجل وقالواياسرائيل هذه هي الهتك التي اخرجتك من ارض مصر.

وعـــنـــدمـــا راى هارون ذلك اقام مذبحة مقابل ذلك ، ونادى هارون وقال غداسيكون عيدا نعقده لهذا الالـــه ــ وقـــامـــوا فـــي وقـــت السحر وقربوا القرابين المحترقة وقذفوا الهدايا بالقرب منها للحفظ والـــسلامة وجلسوا للاكل والشرب وقاموا من فورهم لل عب ــ وقال اللّه

تعالى لموسى (ع) انزل الـــى قـــومـــك ، لان الـــقوم الذين اخرجتهم من ارض مصر قد فسدوا ــ بل انهم انحرفوا بسرعة عن المسلك الذي امرتهم به ، وصنعوا لانفسهم عجلا اعدوه من قبل وسجدوا له وقدموا له قرباناايضا ، وقـــالوا لاسرائيل هاهي الهتك التي اخرجتك من ارض مصر ، لكن موسى طلب من ربه وقال : لماذا تصب غضبك على القوم الذين اخرجتهم من ارض مصر بحولك العظيم لكي لا يتكلم يتكلم اهل مصر بانك اخرجتهم لقصدسى ، حتى تقضي عليهم في وسط الجبال ولتبيدهم من على وجه الارض ،تنازل مـــن شـــدة ســـخـــطك واسرائيل ، لانهم اقسموا بذاتك من اجلهم ، قلت لهم :بان سابارك في ذريتكم واكثرهم بعدد النجوم .

ووقع الامر بالفعل ، فعندما اقترب من المخيم شاهد العجل والمهرولين وثارت ثائرة موسى ، فالقى الالـــواح مـــن يـــده ، وكسرها تحت الجبل ، واخذالعجل الذي صنعوه واحرقه بالنار وسحقه الى ان اصبح ترابا ثم نثره في الما ،وسقى بني اسرائيل منه حـــتى اقدمت على ارتكاب هذا الذنب العظيم ، فقال هارون : لاتثر ثائرة سيدي لانك تعلم انهم يميلون الى الخطايا ، وقالوا لي اصنع لنا الهة نقتدي بهم ونمضي خلفهم ، لان موسى الرجل الذي اخرجنا من ارض مصر ، لانعلم ماذا حل به ،وانا قلت لهم : ليخرج كل من كان لديه قطع ذهبية ، ثم اعطوني اى اها والقيتهافي نار حامية فخرج هذا العجل .

ورجـــع موسى الى ربه ، وقال واسفي على ماارتكب هؤلا القوم من ذنب عظيم لانهم صنعوا لانفسهم الـــهـــة مـــن ذهـــب ، والان لو رفعت عنهم وزرهم والا التمس منك ان تمحوا اسمي من الكتاب الذي عهدته لي (مقام النبوة) وقال اللّه تعالى لموسى : كل من اقام على الذنب امحو اسمه من كتابه ،فاذن تحرك الان وارشد هؤلا القوم الى المكان الذي اوصيتك به ((٢٤٣)) .

ويستفاد من العبارات السابقة المنقولة عينا من كتاب العهد القديم عدة نكات :.

١ ــ ان الامـــر بصنع الصنم وعبادته صدر من هارون ، كما ان الامر تحقق بمعونته ايضا وهو فضلا عن عدم نهيه عن هذا العمل كان مروجا له ومرسيالدعائمه ، ولم يات الحديث عن السامري في هذا الفصل مطلقا ، ترى هل يمكن تحقق هذا العمل من قبل شخص يقوم مقام موسى ، بصفته وزيرامساعدا ومـــلازمـــا ورئيسا لكهنة بني اسرائيل ــ بشهادة التوراة ــ كيف يصدق العقل والمنطق ان تسبب هذه النسبة القبيحة والمخجلة الى هارون ((٢٤٤)) ؟.

٢ ــ ان اللّه تعالى اشتد غضبه على اثر هذا القضية بحيث اراد ان يبيد قوم موسى لكن موسى نوه اللّه تـــعـــالـــى على نكتين (خصوصا انه يخاطب اللّه تعالى بجملة واحدة ويقول لايعزب عن بالك ليهدا من فـــورة غـــضـــبـــه وســـخـــطه ، الاولى :انك اذا قمت بهذا العمل فان اهل مصر سيقولوا : الهذه الغاية اخـــرجـــت بـــنـــي اســـرائيـــل مـــن مصر ، كي تقتلهم في وسط الجبال وتبيدهم من على وجه الارض ،والاخـــرى ، هـــي انـــك اعـــطـــيـــت موثقا باني سازيد

من نسل ابناكم بعدد نجوم السما ، وهذا العمل لاينسجم مع هذا القول والقسم المصرح به في التوراة .

٣ــ ان موسى بعد ان احرق العجل بالنار ، نثر رماده في الما واعطى هذاالما لبني اسرائيل كي يشربوا منه فهل كانت هناك خصوصية في الرماد المتبقي من العجل حتى يشربوا من مائه ؟ ٤ ــ حينما اعترض موسى على هارون ، قال هارون بهدوء تام له : انت تعلم مدى ميل هؤلا القوم نحو الخطايا وهم طلبوا مني وانا لبيت طلبهم (ياله من عذر؟ (فياله من مصلح متقاعس).

٥ ــ وفي نهاية المطاف ذهب موسى الى محضر القدس الالهي ، وهدد اللّه بالاستقالة من مقام النبوة قائلا : اذا غفرت لهؤلا العاصين فهو الاحسن والافامحو اسمي من الكتاب الذي دونته بهذه المهمة الشاقة الى شخص آخر).

لاحظوا جيدا الى مارسمته التوراة عن اللّه ، والنبي ، والقائم مقامه ، ثم قارنوا بعد ذلك بين هذا الفصل التاريخي وبين ماورد في القرآن قصة النبي داود(ع) وزوجة اوريا. ٥.

من المقاطع التاريخية الاخرى للقران الكريم ، هي مسالة ((قضا داود))النبي (ع) التي دارت بين اخوين متخاصمين .

ويفصل القرآن القول في هذه القصة في سورة (ص) ضمن الايات ٢١ الى٢٦ بالنحو التالي :.

(وهل اتاك نبؤ الخصم اذ تسوروا المحراب # اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتشطط واهدنا الى سوا الصراط # ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب # قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب # ياداود ان ا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الن اس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل اللّه ان الذين يضلون عن سبيل اللّه لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب).

في هذا المقطع التاريخى من حياة داود (ع) ، لانقع على اي مفهوم سلبي سوى انه تسرع شيئا ما في اصدار الحكم فحينما طرح احد هذين الاخوين ادعاه ، اعرب عن قوله ومن دون ان يستمع الى ادعات الاخ الثاني : ان اخاك قد ظلمك وانه لاينبغي ان ينازعك في صدد نعجة واحدة مع ماكل مايمتلكه من المال والثروة ، وان كان هذا لايمثل الحكم النهائي لداود (ع) ، الا ان نفس هذا المقدار من التسرع في اصدار الحكم لايصلح لمقام القضا العادل بصورة عامة ، وقضا النبي داود بصورة خاصة ، ولعل هذا هو السبب في توبته واستغفاره وسجود.

ولاجل هذه الدقة في مسالة القضا والتماس المغفرة والمسامحة من هذه الزلة اعطاه اللّه المقام المحمود.

والشاهد على هذا التوجيه للايات السابقة هي الاية التي وردت مباشرة بعد هذه الايات وذلك عندما يـــقـــول : (يـــاداود ان ا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل اللّه).

هـــذه الايـــة تدل بوضوح ان المخالفة ، او بعبارة اصح ترك الاولى الذي صدرمن النبي داود (ع) لم يكن يتضمن في حقيقته بعض الامور التي هي من قبيل الغرام والتعلق بزوجة احد قواد جيشه الذي يـــدعـــى بـــاســـم (اوريا) وامثال ذلك من المفاهيم التي نسجتها ذهنية اهل الاساطير استنادا الى ماجا في التوراة .

والان نعود الى التوراة الفعلي المحرف لننظر الى مايقوله في هذاالمجال :.

نطالع في الكتاب الثاني لاشموئيل هذه الحادثة :.

ووقـــع عـــند الغروب عندما نهض من فراشه وطاف حول سطح بيت الملك ،وراى من السطح امراة تـــغـــســـل نـــفسها وكانت هذه المراة غاية في حسن الوجه والرشاقة ، واخذ داود يستفسر عن هذه المراة ، وقال شخص اليست ((بث شبع)) ((٢٤٥)) (وهذا اسمها) هي بنت ((اليعام)) ((٢٤٦)) زوجة ((اورياه حت ي)) ((٢٤٧)) ؟.

وارســـل داود الـــيـــجيان فامسكها وجي بها اليه ، فاضطجع معها وبعد التطهيرمن النجاسة ذهبت الى بـــيـــتها وحملت المراة ، وارسلت الى داود من يخبره انهاحاملة وارسل داود الى ((يوآب)) (قائد جـــيـــش داود) ان ابعث الي ((اورياه حت ي)) وبعث يواب اورياه اليه وقدم عليه ، فساله داود عن سلامة يوآب وسلامة القوم وعن استقرار اوضاع الحرب .

وقـــال داود لاوريـــاه انـــزل الـــى بيتك واغسل رجليك ، وخرج اورياه من قصرالملك وخرجت من ورائه مـــقدار من الطعام من الملك ، الا ان اورياه نام مع سائرعبيد سيده في رحبة القصر ولم ينزل في بيته فحينما خبروا داود ان اورياه لم ينزل في بيته ، فقال داوه لاورياه الم تاتي من السفر فلم لم تـــنـــزل فـــي بـــيـــتـــك ؟واعـــرب اوريـــاه لـــداود بـــالـــقول ان الصندوق واسرائيل ويهوداه يسكنون تـــحت المظلات ويجلس سيدي يوآب وعبيده في خيمة وسط الصحرا ، فهل يجوزلي ان اذهب الى الـــبـــيت لاقضي وطري من الطعام والشراب والنوم مع زوجتي ،اقسم بحياتك ان لا اقوم بهذا العمل قط.

وتـــحـــقق الامر بالفعل بان كتب في الصباح رسالة الى ((يوآب)) وبعثها بيداورياه ، وكتب الرسالة بهذا المضمون القوا باورياه في اتون حرب ضارية ثم انسجوا من ورائه ، حتى يصاب ويموت ((اي يـــقتل)) وتحقق الامر بالفعل بعدماالقى يوآب نظرته على المدينة ، ووضع اورياه في الموضع الذي علم بوجودالرجال الشجعان فيه وخرج رجال المدينة ، وقاتلوا ضد يوآب ، وسقط البعض من القوم عبيد داود ومات ((اورياه حت ي)) ايضا وعلمت زوجة اورياه ان زوجها قد مات واقامت العزا في حق زوجها وبعد انتها العزا ارسل على اثرها داود (ع) واتى بها الى بيته واصبحت زوجته ((٢٤٨)). خـــلاصـــة الـــقـــصة ان داود عندما كان

في ((اورشليم)) فصعد في يوم من الايام الى سطح القصر ، فـوقعت عينيه على البيت المجاور له ، فشاهد امراة عارية في فوقع حبها في قلبه وجلبت بعنف الى قصره واضطجع معها فحملت منه وكان زوج هذه المراة من الضباط المرموقين لجيش داود وكان رجلامجبولا على الصفا ونقا الطبع بـحـيـث انـه عـنـدما عاد من ميدان القتال لم تطاوعه نفسه ان يذهب الى بيته ويضطجع مع زوجته ويـسـتـمـتع بالاطعمة الممتازة مواساة منه لاترابه المقاتلين الذين لازالوا في ميدان القتال يعيشون في الخيمة ، بالرغم من ذلك اصدر داود قرارا مجحفا جدا ، فكتب رسالة الى قائدعسكره (يوآب) واعـطاها بيد (اورياه) نفسه ليوصلها بدوره الى قائد العسكر ،وقد كتب في هذه الرسالة انه لابد مـن تـحديد مسؤوليته في احدى المواضع الخطرة لساحة القتال ، ثم تخلية اطرافه كي يقضى عليه بـسـيـف الاعـدا ، ونـفـذهـذا الـقرار الاجرامي المشؤوم ، وقتل على اثره اورياه الطاهر القلب والنقي والشجاع واستاثر بزوجته موردا لرضا وقبول الحق تعالى)) والان نعود الى تتمة الحكاية ، فقد ورد في الفصل الاتي من التوراة مايلي :.

(وبعث اللّه تعالى ((ناثان)) ((٢٤٩)) الى داود فجا اليه ، وقال له : كان في احدى المدن شخصان احـدهما غني والاخر فقير ، كان الغني يمتلك غنما وبقرا كثيراجدا ، ولم يكن الفقير يمتلك سوى انثى واحدة من الغنم ، اشتراها ورباهاوتعاهدها مع اولاده بالرعاية تاكل من طعامه وتشرب من اناه وتنام في احضانه وكانت كاحد بناته .

وقـدم مـسافر الى هذا الغني وال على نفسه ان ياخذ من اغنامه وابقاره حتى يعده للمسافر الذي قدم عليه واخذ نعجة ذلك الرجل الفقير وذبحها على شرف الرجل المسافر الذي قدم عليه .

وثـارت ثائرة داود وقال لـ(ناثان) اقسم باللّه الحي القيوم ، ان الرجل الذي فعل ذلك يستحق القتل وبسبب فعله هذا وعدم اعتنائه يجب ان يؤخذمنه حـيـنـئذ قـال نـاثان لداود : ان ذلك الرجل هو انت ، يقول اللّه تعالى رب اسرائيل : انا الذي جعلتك سـلـطـانـا عـلى اسرائيل وانقذتك من ربقة ((شاوول)) ((٢٥٠)) لماذا استهنت بامر اللّه تعالى ، وارتكبت عملا قبيحا لديه فضربت ، (اورياه حت ي) بالسيف ، وفعلت مع زوجته فعلا قبيحا ، انك قـتـلـتـه بسيف ((بني عمون)) ((٢٥١)) ، والان لن يفارق بيتك السيف ابدا ، والسبب في ذلك هو تحقيرك لي ، اخذت امراة (اورياه حتى)) لتكون زوجتك ، واللّه تعالى يقول ساشعل فتيل البلا عليك من قصرك وساخذ زوجاتك من امام عينيك واعطيهالصاحبك لانك قمت بهذا العمل سراما انا فسانفذ العقاب في وضح النهار بمراى ومسمع بني اسرائيل .

وقـال داود لـ((ناثان)) : اني خالفت امر اللّه تعالى بارتكابي الذنب ، وقال ((ناثان)) لداود ايضا : ان اللّه قد عفى عن ذنبك ولن تموت .

وقـدم داود الـتعازي الى زوجته ((بث شبع)) وقاربها ، نام معها فانجبت ولداسماه (سليمان

) وقد احبه اللّه تعالى ((٢٥٢)) .

تظهر في هذا المقطع من القصة بعض الملاحظات التي ينبغي التدقيق فيها :.

ا ــ لم يات الى داود من يطالب باجرا العدالة وانما جا اليه احد انبيا بني اسرائيل في ذلك العصر وقد كــان مــســتــشارا لداود وذكر له على سبيل المثال احدالقصص للموعظة والنصيحة ، ولم يتطرق الــحــديــث فــي هــذه الــقصة الى الاخوين ، وانما اتجه البحث الى الرجل الغني والفقير والذي كان احــدهــمــا يــملك قطيعا كبيرا من الابقار والاغنام والاخر لا يملك سوى نعجة واحدة ، كمانه لم يــتــطــرق الحديث في هذا الموضع ايضا الى مسالة استدعا الشخص الاول من الثاني ، بل غاية مافي الامر انه حينما قدم ضيف الى الرجل الغني ذبح النعجة التي ترعرعت على يد الرجل الثاني واعدها طعاما للضيف .

ب ــ ذهــب داود الى الاعتقاد بان مثل هذا الظالم يستحق القتل (ولماذايتوجه القتل من اجل اغتصاب نعجة واحدة ؟ ج ــ حكم داود باعطا اربع نعجات عوضا عن نعجة واحدة (فلماذا اربع مقابل واحدة د ــ اعترف داود بذنبه وعمله القبيح في صدد خيانته بزوجة ((اورياه)).

هــ وعفى اللّه تعالى عن داود (بهذه البساطة ؟ و ــ وقدر اللّه تعالى لداود جزا دنيويا واحدا وهو ان تقع نساه في ايدي اصحابه فيمارسون بهن هذا العمل في وضح النهار وبمراى من بني اسرائيل ز ــ وبالنتيجة اصبحت احد هذه النسا امالــ(سليمان) وولد منها سليمان وكان اللّه تعالى يحبه ايضا؟ اذا اعتقدنا بنبوة داود من قبل اللّه تعالى ، كما يقر بذلك جميع المسلمين ويؤيدها مقاطع من عبارات الــتــوراة ، فليست هناك ادنى حاجة للبحث والمناقشة في منافاة هذه الاعمال لمقام النبوة ولا يقتصر هذا الامر على عدم انسجامه مع مقام النبوة بل يعتبر من احد الاعمال الاجرامية الكبرى .

والــذي يعد حدوثه من قبل شخص عادي امرا شاذا وغريبا من نوعه ويستحق العقاب ، فكيف يمكن الــتصديق بان اللّه تعالى يعفو ويتسامح بهذه البساطة عن انسان قاتل عرض احد ضباطه للقتل عمدا ، واقترف الزنابالمحصنة ، ثم استولى على زوجته بعد ذلك ؟ واذا اعتبرناه ملكا من ملوك بني اسرائيل فقط ــ كما وردت احواله في كتاب الملوك والسلاطين من الــتــوراة ــ لايــقــبل منه ذلك ايضا على الاطلاق لانه ــ اولا ــلم يكن ملكا عاديا فالتوراة افصح عن عظمة داود ومقامه الشامخ في فصوله المختلفة ، وانه هو الذي وضع الحجر الاساس للمعبد الكبير لــبني اسرائيل والذي لم يكتمل بناؤه في زمانه بسبب الحروب الكثيرة والقيت مسؤولية اكماله على ابــنــه ســليمان ، ترى هل يمكن صدور هذا العمل من قائد يمتلك مقامامعنويا محمودا ويكون مسددا ومؤيدا من قبل اللّه تعالى ؟ ثانيا ــ من الكتب المعروفة للتوراة كتاب ((مزامير داود)) واناشيده الاعتقادية ومناجاته فهل يمكن ان تقع مناجاة ودعوات ((قاتل ارتكب الزنا بالمحصنة)) في ضمن الكتب السماوية .

الا انــنــا عندما نعود الى القرآن ، نجد انه لا اثر عن اي حديث عن عشق داودواجرامه

واقترافه لـــلـــذنـــب ولا عـــلى سائر فقرات هذه القصة الكاذبة ، وانما وردالحديث عن حكاية لاحد المحاكم العادلة ــ وذلك بشكل جدي لا على شكل مثال ــ والذي سبق شرحه من قبل ، ومما تجدر الاشارة اليه هـــو خـــلـــو الـــقـــرآن مـــن هـــذه الـــتهم ، والنكتة التي ينبغي ذكرها في هذا الموضع ايضا هي ان من الـــمـــؤســـف وقـــوع بـــعض المؤرخين اوالمفسرين الاسلاميين تحت تاثير الاساطير الكاذبة للتوراة ونـــقـــلهم اى اها في كتبهم ، ومن البديهي ان احاديث هذا النمط من الافرادلا تمتلك اي قيمة علمية وتاريخية وتفسيرية ، وذلك لعدم وجود ادنى دليل على مقالاتهم في المنابع الاسلامية المعتبرة .

والجدير بالذكر هو مانقل عن الامام علي (ع) قوله : ((لا اوتي برجل يزعم ان داود تزوج امراة اوريا الا جلدته حدا للنبوة وحدا للاسلام)) ((٢٥٣)) .

هل ان سليمان بنى معبدا للاصنام ؟. ٦.

ورد الـــتعريف بشخصية سليمان في القرآن الكريم على كونه نبيا كبيرا وقائدامقتدرا امتلك سلطة عـــريـــضة وفريدة من نوعها ، واشيد بعظمته وصلاحه في سور مختلفة من جملتها سورة البقرة ، الـــنـــســـا ، الانبيا ، النمل ، سبا وص ، فعلى سبيل المثال نقرا قوله تعالى في سورة (ص الاية ٣٠) : (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه او اب).

القرآن في حكايته المفصلة نوعا ما التي اوردها في السور المتقدمة الذكرعن هذا النبي الكبير ليس فقط لا ينسب له نسبة عبادة الصنم وصناعته مطلقاوانما يعد كافة جوانب حياته نزيهة من اي لون من الوان التلوث بالشرك والمعصية .

يكفي في هذا المجال مراجعة سورة الانبيا (الايات ٢٨ الى ٨٢) وسورة النمل (الاية ١٥ الى ٤٤) وسورة ص (الاية ٣٠ الى ٤٠) وعلى الخصوص قصة هداية (ملكة سبا) وانقاذها من براثن الشرك ودعـــوتها الى التوحيد الخالص ،وخاصة عندما يقول : (وصدها ما كانت تعبد من دون اللّه انها كانت من قوم كافرين) واساسا يستفاد من الايات الموجودة في نفس السورة ان الهدف الرئيسي لسليمان في واقعة الملكة سبا يكمن في محاربة الشرك والوثنية وانقاذها وقومهامن وطاة هذا الانحراف ، والان نـــعـــود الى التوراة الفعلي المحرف لننظر الى مايقوله في شان سليمان ومايخلقه من صورة بشعة عن هذا النبي ،صورة لرجل مفتون بالاهوا بحيث ساقه هوسه وهواه الى حد الشرك والوثنية وحتى بنا معبد الصنم .

جا في الكتاب الاول للملوك والسلاطين مايلي : ((واحب الملك سليمان نسا اجنبيات كثيرة من الامم الـــتي قال الرب لبني اسرائيل في شانها : لاتذهبواواليهن ولايذهبن اليكم فانهن يستميلون قلوبكم الى اتـــبـــاع الـــهـــتهن ، فتعلق بهن سليمان حبا لهن ، وكان له سبع مائة زوجة وثلاث مائة جارية فازاغت نساؤه قلبه ،وفي زمن شيخوخة سليمان تمكن ازواجه من امالة قلبه الى اتباع الهة اخرى ، فلم يكن قـــلـــبه مخلصا للرب الهه ، كما كان قبل داود ابيه فتبع سليمان عشتروت الهة الصيدونيين ، وملكوم بني عمون ووضع الشر في عيني الرب ولم يتبع

الرب اتباعاتاما مثل ابيه داود.

حـــينئذ بنى سليمان مشرفا لكاموش صنم قبيلة موآب في الجبل المقابل لاورشليم ولمولك صنم بني عـــمـــون ، وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يحرقن البخور ويذبحن لالهتهن ، فغضب الـــرب عـــلـــى ســـليمان ، لان قلبه مال عن الرب اله اسرائيل الذي تراى له مرتين وامره في ذلك ان لايـــتـــبـــع الهة اخرى ، فلم يحفظ ماامره الرب به ، فقال الرب لسليمان : بما ان امرك هذا ، وانت لم تـــحـــفظعهدي وفرائضي التي امرتك بها ، فسانتزع الملك عنك واسلمه الى عبدك ، الا اني لا افعل ذلك في ايامك نظرا لداود ابيك ، بل انتزعه من يد ابنك)) ((٢٥٤)) .

يستخلص من مجموع القصة الكاذبة للتوراة مايلي :.

ا ــ كـــان لسليمان علاقات كثيرة بنسا الطوائف المشركة ، وقد استولى على قسم كبير منهن خلافا لامـــر اللّه ثـــم اخـــذ يميل الى معتقداههن شيئا فشيئا ،وبالرغم من كونه شخصا ميالا للنسا فقد حاز عـــلـــى ٧٠٠ امـــراة بـــالعقد الدائم و٣٠٠ امراة بالعقد المنقطع ابتعاده عن طريق اللّه تعالى ب ــ اصـــدر سليمان قرارا معلنا ببنا معبد للاصنام ، وبنى على الجبل المطل على ((اورشيلم)) تلك الـــبقعة المقدسة لاسرائيل ، معبدا لصنم كموش ـــالصنم المعروف لطائفة الموابيان ــ وصنم مولك ــ الـــصنم المختص بطائفة بني عمون ــ وبرزت في نفسه علاقة خاصة بصنم ((عشتروت)) الصنم المنسوب الى الصيدونيان ، وقد تحقق ذلك كله في عهد شيخوخته ج ــ ووجـــه اللّه تعالى له عقابا على هذا الانحراف والذنب العظيم ، وتبلورهذا العقاب في ان يسلب مـــنه مملكته وسلطانه ولكن لا يسلبه من يده شخصاوانما يسلبه من يد ابنه ((رحبعام)) فـــرصة البقا في الحكم متى شا ،وهذا الاجل كونه من عباد اللّه المقربين ، لقد كان والد سليمان هو داود ، ذلـــك الـــعـــبد المقرب عند اللّه والذي اقدم على قتل النفس والزنا بالمحصنة ، واستولى على زوجة الضابط الرشيد والخادم في جيشه هل يمكن لاحد الاشخاص ان ينسب هذه التهم الفظيعة الى ساحة انسان مقدس كالنبي سليمان ؟ اذا اعـــتـــقدنا بنبوة سليمان (ع) ــ كما صرح به القرآن ــ فالامر واضح واذاعددناه في قائمة ملوك بني اسرائيل ، فكذلك لايمكن ان تصدق في حقه مثل هذه النسب ايضا.

ولـــو اننا انكرنا نبوته فمن المسلم انه كان تاليا للنبي من بعده ، لان من الكتب التي اشتملت على اقوال هـــذا الـــرجـــل الالـــهـــي الـــكبير هو كتابين من كتب العهدالقديم احدهما يقع تحت عنوان ((مواعظ سليمان)) او ((حكم سليمان)) والاخرتحت عنوان ((نشيد سليمان)) بالاضافة الى ان التوراة في الـــفـــصـــل الـــثـــالـــث مـــن الكتاب الاول لتاريخ الملوك ((الجمل من ٥ الى الاخير)) يقول بصراحة : ((لـــقدتجلى اللّه تعالى لسليمان في المنام ليلا ، وخاطبه بالقول ، اطلب مني ماتشاونظرا لصغر سنه وقـــلـــة تجربته طلب سليمان من اللّه الحكمة ، واستجاب اللّه دعاه واعطاه الفهم والحكمة وقال : ان هذا الفهم والحكمة التي اعطيته اليك لم اعطه لاحد من

قبلك ولا من بعدك)).

هل يعقل ان يتلقى احد الاشخاص هذه النوع الفريد من العلم والحكمة من اللّه تعالى في ايام شبابه ثم يقدم على بنا معبد للاصنام ارضا لرغبات زوجاته في عهد كبره ونضج عقله واكتمال مداركه ؟ مـــما لايقبل الشك ان هذه الاساطير الكاذبة كانت من صنع الادمغة العاجزة في السابق ، ومن المؤسف حـــقـــا ان عـــدة مـــن الافـــراد الجهلا وضعوها في سلسلة الكتب السماوية بعد ذلك ، وعد هذا الكلام ((الـــلا مقدس)) بعنوان ((الكتاب المقدس)) الا انه هل تشاهد اي واحدة من هذه النسب السيئة في الوقائع والحوادث التي ينقلها القرآن ؟ الدقة والبحث ينفيان هذا الامر.

المباراة العجيبة بين يعقوب واخيه عيسو. ٧.

القرآن الكريم يسدي احتراما بالغا الى ((ابراهيم)) (ع) وابنه ((اسحاق))وحفيده ((يعقوب)) ويشيد بعظمتهم واخلاصهم ، فنقرا في سورة (ص الايات ٤٥ الى ٤٧) قوله تعالى : (واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ، وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار).

وفي موضع اخر من سورة الانبيا (الايات ٧٢ و٧٣) يقول في شان هذه العائلة : (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين # وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانوا لناعابدين).

هذه التعبيرات ان دلت على شي فانما تدل على ان هؤلا رجال موحدون ، على جانب كبير من الايمان وصفا السريرة وعلى اطلاع ولياقة عالية في قيادة البشرية ، ولذا فهم مطهرون ومنزهون عن كل رجس ودنس ،لكن عندما يقع تاريخ حياة هؤلا في ايدي اصحاب الخرافات يرسمون عنهم صورة قبيحة جدا تنزل بهم الى مستوى الاشخاص الانتهازيين والجشعين والمتحللين الذين لايدخرون وسعا في سبيل التوصل الى منافعهم اللامشروعة ، ولاثبات حقيقة هذا الكلام نلتجي الى التوراة المحرف لنرى الى مااختلقه من ملامح ومعالم رهيبة عن ((اسحاق)) و((يعقوب)) والاخ الاكبرليعقوب ((عيسو)) :.

((وحدث لما شاخ اسحاق وكلت عيناه عن النظر فدعا عيسو ابنه الاكبر وقال له : يابني ، فقال هاانذا ، فقال : انني قد شخت ولا اعرف يوم وفاتي فالان خذعدتك ، واسلحتك وقوسك واخرج الى البرية وتصيد لي صيدا واصنع لي اطعمة كما احب ، وائتني بها لاكل حتى تباركك نفسي قبل ان اموت .

وكانت ربقاه سامعة لكلام اسحق مع عيسو ابنه ، فذهب عيسو الى البرية كي يصطاد صيدا لياتي به ، واما ربقاه فكلمت يعقوب ابنها قائلة : اني قد سمعت اباك يكلم عيسو اخاك قائلا : ائتني بصيد واصنع لي اطعمة لاكل واباركك امام الرب قبل وفاتي ، فالان يابني اسمع لقولي في ما امرك به ، اذهب الى الغنم وخذ لي من هناك نعجتين جيدتين ، فاصنعهما اطعمة لابيك كما يحب وحضرها اليه لياكل حتى يباركك قبل وفاته فقال يعقوب لربقاه امه :هو ذا عيسو اخي رجل اشعر ، وانا رجل املس ربمايجسني ابي فاكون في عينيه كمتهاون واجلب على نفسي لعنة لابركة ، فقالت له امه : لعنتك علي يابني ، اسمع لقولي فقط واذهب فذهب واحضر لامه فصنعت منهااطعمة كما كان ابوه يحب واخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الاكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت والبست يعقوب ابنها الاصغر ، والبست يديه وملابسه عنقه جلودجديي المعزى واعطت الاطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها فدخل الى ابيه وقال : يابي ، ها انذا من انت يابني ؟ فقال يعقوب لابيه انا عيسو بكرك ، قدفعلت كما كلمتني ، قم واجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك .

فقال اسحق لابنه : ما اسرع ما اصطدت يابني ؟ فقال : ان الرب الهك قد يسرلي فقال اسحق

ليعقوب : تقدم لاحسك يابني ، اانت هو ابني عيسو ام لا؟ فتقدم يعقوب الى اسحق ابيه ؟، فجسه وقال : الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو ، ولم يعرفه لان يديه كانتا مشعرتين كيدي عيسو اخيه فباركه ، وقال : هل انت ابني عيسو ، فقال : انا هو ، فقال قدم لي لاكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي ، فقدم له فاكل واحضر له خمرا فشرب ، فقال له اسحق ابوه : تقدم وقبلني يابني ، فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه وقال : انظر ، رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب .

فليعطك اللّه من ندى السما ومن دسم الارض وكثرة الحنطة والخمر ،ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، كن سيدا لاخوتك وليسجد لك بنو امك ،ليكن لاعنوك ملعونين ومباركوك مباركين ، وحدث عندما فرغ اسحق من بركة يعقوب وفي حين خروج يعقوب من عند ابيه فاذا بعيسو اخاه قد اتى بصيده ، فصنع هو اطعمة ودخل بها الى ابيه ، وقال لابيه : ليقم ابي وياكل من صيد ابنه حتى تباركني نفسك فقال له اسحق ابوه : من انت ؟ فقال ؟: انا ابنك ، بكرك عيسو فارتعداسحق ارتعادا عظيما ، وقال : فمن هو الذي اصطاد صيدا واتى به الي فاكلت منه قبل ان تجي وباركته ؟ فعندما سمع عيسو كلام ابيه صرخ صرخة عظيمة وقال لابيه : باركني انا ايضا يابي ، فقال : قد جا اخوك بمكر واخذ بركتك)) ((٢٥٥)) .

ونطالع في الفصل الاتي هذا المعنى :.

((ثم ان اسحاق استدعى يعقوب ودعى له بالخير والبركة ، واوصاه ايضابوصية وقال لا تتزوج بامراة من بنات كنعان وان اللّه القادر المطلق سيبارك لك وسيحيطك برعايته وعنايته لكي تصبح قى ما على جماعة الامم ، وليمدك اللّه ولك ولنسلك ببركة ابراهيم حتى ترث الارض التي اعطاها اللّه لابراهيم ليسافرفيها)) ((٢٥٦)) .

خلاصة الحكاية تقع في ان اسحاق كان له ولدان الاكبر يسم ى ((عيسو))والاصغر يسم ى ((يعقوب)) ، في اواخر ايام حياته حينما فقد بصره قرر على ان يجعل ولده الاكبر وصى ا ونائبا عنه من بعده ويبارك له (تستفاد من القرائن ان المقصود من هذه البركة هو نفس مقام النبوة والروح الرسالى ة وقيادة الامة) الا ان يعقوب توس ل بالحيلة وادثر بثوب اخيه الاكبر بامر من ام ه التي كانت متعل قة به وتفض ل له ان يقوم مقام اسحاق ، ثم ربط على يده وعنقه قطعة من جلدالغنم لان بدن اخيه كان مكتسيا بالشعر ، مما قد يفضي به ذلك الى افشا سره لدى ابيه ــ الانسان الذي يكسوه الشعر الى هذا الحد بحيث يكون بدنه كالغنم غريب في بابه واقعا ــ وبالتالي شغل مكان اخيه الاكبر بالحيلة والكذب والشعوذة والخداع ، واقتنع والده العجوز بلمس يده المكس وة بالصوف فقطمع انه قد عرف صوته في الوهلة الاولى ثم ا ن ه دعا في حقه وبارك له في عمله واعد ه وصى ا ونائبا عنه وقى ما على اهله واسرته ، وحينما اطلع اخوه الاكبرعلى القضية بكى بكا مر ا ، الا ان الامر قد

انقضى ، فحينما طلب من ابيه ان ينزل البركة عليه ايضا ، سمع جوابا يقضي بانتها البركة وان ماكان منها استاثره اخوه يعقوب به ولم يعد هناك فرصة لاعادة النظر والـغـريب في الامر هو ماذهب اليه اله اسحاق من تاييده هذا العمل ايضا ،وتسليم مقام النبوة لرجل مـحـتـال وكـذاب ومـزيف ، وعلى حد قول التوراة انه انشاه وتعاهده وطاف به كثيرا وجعله مالكا للجماعة والامم ووارثا لملك ومثرنبيه (ابراهيم) العظيم ، وليس فقط اسرة اسحاق مامورة باتباعه فحسب ، بل ان سائر الناس مامورون باتباعه والخضوع له تعظيما واجلالا له .

كيف يمكن اعتبار هذه الاسطورة الكاذبة والمضحكة على انها وحي سماوي ؟ لـو ان شـخصا استولى على مقام بسيط بالحيلة والكذب ــ كان يرتدي على سبيل المثال زيا عسكريا مـتـواضـعـا ــ فانه بعد الكشف عن حقيقته ليس فقطيسلبون منه ذلك ، ويخلعون عنه هذا اللباس بل يـعـاقـبـونه على هذا العمل ايضا ، لكن كيف يمكن الاستيلا على مقام النبوة والحصول على البركة الالـهـيـة وقـيـادة الـمـجـتمع بالخداع والمكر ، ثم الابقا عليه واستدامته بعد الكشف عن حقيقته المخزية ؟ نسبة صنع الخمر الى النبي المسيح (ع). ٨.

اولى القرآن الكريم احتراما بالغا للسيد المسيح (ع) وتحدث عنه في سورمتعددة (من قبيل سورة الـبقرة وآل عمران والمائدة وبعض السور الاخرى) ،واشار به بعنوان كونه احد انبيا اولو العزم (صاحب شريعة وكتاب سماوي)الذي له معجزات كثيرة ، نقرا في الاية (٤٨ و٤٩ من سورة آل عـمـران) قوله تعالى : (ويعل مه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ــ ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم ان ي اخلق لكم من الطين كهيئة الط يرفانفخ فيه فيكون طيرا باذن اللّه وابـري الاكمه والابرص واحـيي الموتى باذن اللّه وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين).

وبـنـا عـلـى ذلك تشكل المعاجز الاربع من (خلق الطير) و(شفا المرضى المايوس من معالجتهم) و(احـيـا الاموات) و(الاخبار عن الغيب) (التي كانت تتحقق باذن اللّه) معاجز السيد المسيح (ع) (وفقا لبيان القرآن).

وفـي مـوضـع اخر يعد نزول المائدة السماوية (طعام الجنة) احدى معاجزالمسيح (ع) وذلك في (سـورة المائدة آية ١١٥) نظرا الى اعتبار المسائل المعقولة والمقبولة من المعاجز بصورة عامة ، والان لـنـقـلي نظرة على ماتقوله (الاناجيل) في هذا المجال في الباب الثاني من ((انجيل يوحنا)) الانجيل الرابع من الاناجيل الاربعة هذا المعنى :.

(وفـي الـيـوم الـثالث كان في قاناي الجليل (احد مدن بيت المقدس) عرس ،وكانت ام يسوع هناك فـدعـي يسوع وتلاميذه الى العرس ونفدت الخمر ، فقالت له امه : ((مابقي عندهم خمر)) فاجابها :((ومالي ولك يا امراة ماجات ساعتي بعد)) ،فقالت امه للخدم : ((اعملوا مايامركم به)).

وكـــان هـــنـــاك ســـتـــة جرات من حجر يتطهر اليهود بمائها على عادتهم ، يسع كل واحد منها مقدار مـــكـــيـــالـــين اوثلاثة ، فقال يسوع للخدم : ((املاوا الجرات بالما))فملاوها حتى فاضت فقال لهم : ((اســـتقوا الان وناولوا رئيس الوليمة)) فناولوه فلماذاق الما الذي صار خمرا ، وكان لايعرف من اين جات الخمر ، لكن الخدم الذين استقوا منه كانوا يعرفون ، دعا العريس وقال له : ((جميع الناس يـــقـــدمون الخمر الجيداولا ، حتى اذا سكر الضيوف ، قدموا اليهم الخمر الردي ، اما انت فاخرت الخمرالجيد الى الان))) ((٢٥٧)) .

يستشف من هذ القصة النكات التالية :.

١ ــ لما دخل السيد المسيح مع امه مريم الى محفل العرس ونفذت المشروبات الخمرية اقدم وبايعاز من امه على خلق المعجزة ، وابدل ست جرات ممتلئة بالما الى خمور صافية ، بحيث ان الطعم اللذيد لها استهوى على افئدة الحاضرين .

٢ ــ هذه هي المعجزة الاولى من نوعها للمسيح (ع) والتي تحققت بايعازمن امه .

٣ ــ عظم شان السيد المسيح وجل قدره من خلال هذه المعجزة (تبديل الما الى خمر) مما ادى ذلك الى ايمان تلامذته به .

والـــطـــريـــف هـــنـا ان اهالي مدينة قاناي الجليل ، لم يبرحوا يصنعون جرات المياه ويبيعوها للزوار والسياح احتفا بذكر جرات الخمر التي حدثت باعجازالسيد المسيح (ع).

مـــمـــا لاشـــك فـــيه ان هذه هي من احد الاساطير المفتعلة والكاذبة المنسوبة الى هذا النبي العظيم ، ولايـــخـــفـــى عـــلى احد ماللخمر من قبح واضرار غير قابلة للحصر ، وقد منعت وحرمت في كافة الاديـــان السماوية ، حتى انه سبق التصريح بها في نفس الكتب المقدسة لليهود والنصارى ، كما ورد ذم الخمر بلهجة شديدة في كتاب ((امثال سليمان)) اذ يقول هناك :.

((لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين ، لـــلـــذين يدمنون الخمر الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج ، لاتنتظر الى الخمر اذا احمرات حـــيـــن تـــظـــهـــر حـــبـــابـــهـــا فـــي الـــكـــاس وســـاعـــت مـــرقـــوقـــة وفي الاخر تلسع كالحية وتلدغ كالاقحوان)) ((٢٥٨)) .

يـــفـــهـــم من هذه العبارة جيدا ان مفاسد الخمرة كثيرة جدا فهي السبب الاساسي لكل الالام الجسدية والهموم النفسية والفكرية والمنازعات والمصادمات والاختلافات الاجتماعية ، وهي من عوامل شقا الانـــســـان وبـــؤســـه ، وتـــفـــعـــل فعلها في وجود البشر كسم الحية وهي مبرر كاف على انعدام العفة والـــســـقوط في وحل الانحرافات الجنسية السيئة والوقوع في شرك انواع التخيلات والابتلات التي طرحت في هذه العبارات شكل واضح جدا.

ونـــقـــرا فـــي مـــوضع اخر من كتاب ((امثال سليمان)) هذه العبارة : الخمرة المستهزئة (وهي التي تدعو الانسان الى ان يقوم بحركات ويتحدث بكلمات تفضي الى الاستهزا والسخرية

) والمسكرات الصاخبة (وهي التي تسبب المنازعات والمخاصمات) وكل من يقع في اسره لايصبح حكيما ((٢٥٩)) .

كما ونقرا في الفصل ٢٨ من كتاب اشعيا هذه العبارة ايضا : ((اما هؤلا(اشارة الى مجموعة من المنحرفين) فقد ضلوا طريقهم وفقدوا صوابهم بفعل الخمروالمسكرات ايضا)).

وجا في موضع اخر من نفس الكتاب هذا المعنى : ((الويل لاولئك الذين استعانوا بشرب الخمرة على الغلبة وبمزج المسكرات على القوة)) ((٢٦٠)) اي ان قواهم تتحرك من خلال شرب الخمرة وتستعد للمقاتلة .

وجا في كتاب هوشيع (من التوراة) : (ان الزنا والخمر وعصير العنب ((بصورته المسكرة)) كل منهم يؤدي الى ضعف القلب) ((٢٦١)) .

يتضح من هذه العبارات جيدا ان المعو ل في حرمة الخمر ليس كونها من المشروبات العادية انما لكونها من المائعات المسكرة التي تلحق الضرر بالجسم والروح الانسانية وتؤدي الى الضياع والشقا .

بنا على هذا اليس من المخجل ان يقال ان المعجزة الاولى للسيدالمسيح (ع) التي ظهرت في مدينة قاناي الجليل تبلورت في التحول الذي طرابيركته على عدة ظروف كبيرة ممتلئة بالما الى خمور صافية ، وعندما نقارن ذلك مع المعاجز القرانية للسيد المسيح يتضح لنا مدى الفاصلة بين التواريخ المختلفة في ذهن البشر وبين التاريخ الواقعي الناشي من طريق الوحي .

المسيح (ع) ودعوى الالوهية . ٩.

القرآن يبري ساحة السيد المسيح (ع) من اي لون من الوان الادعاالمزيف على صعيد الالوهية ، ويقول بصراحة : (واذ قال اللّه ياعيسى بن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي من دون اللّه # قال سبحانك مايكون لي ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافي نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك انت علام الغيوب ، ماقلت لهم الا مامرتني به ان اعبدوا اللّه ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شي شهيد)((المائدة ١١٦ ــ ١١٧)).

والان لننظر الى ماتقوله الاناجيل في صدد المسيح (ع).

نقرا في انجيل يوحنا هذا المعنى :.

(وجا عيد التجديد في اورشليم ، وذلك في الشتا وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان فتجمع اليهود حوله وقالوا له : ((الى متى تبقينا حائرين ؟قل لنا بصراحة : هل انت مسيح ؟.

فاجابهم يسوع : ((قلت لكم ، ولكنكم لاتصدقون ، الاعمال التي اعملها باسم ابي تشهد لي ، وكيف تصدقون ومانتم من خرافي ، خرافي تسمع صوتي واناعرفها وهي تتبعني اعطيها

الحياة الابدية فــلا تهلك ابدا ولايخطفها احد مني الاب الذي وهبها لي هو اعظم من كل موجود ، وما من احد يقدر ان يخطف من يد الاب شيئا ، انا والاب واحد)).

وجا اليهود بحجارة ليرجموه فقال لهم يسوع : ((اريتكم كثيرا من الاعمال الصالحة من عند الاب ، فلاي عمل منها ترجموني .

اجابه اليهود : لانرجمك لاي عمل صالح عملت بل لتجديفك فما انت الانسان ، لكنك جعلت نفسك الها .

فقال لهم يسوع : ((اما جا في شريعتكم ان اللّه قال : انتم الهة ؟ ماذا كان الذين تكلموا بوحي من اللّه يــدعــوهــم اللّه الهة ، على حد قول الشريعة التي لا ينفضهااحد ، فكيف تقولون لي ، انا الذي قدسه الاب وارســلــه الــى الــعــالــم : انت تجدف لابي قلت : انا ابن اللّه ؟ اذا كنت لا اعمل اعمال ابي فلا تصدقوني واذا كنت اعملهافصدقوا هذه الاعمال ان كنتم لاتصدقوني حتى تعرفوا وتؤمنوا ان الاب في وانا في الاب) ((٢٦٢)) .

يتضح من خلال هذه العبارات عدة نكات :.

١ ــ اتهم اليهود عيسى من ذي قبل على انه ادعى الالوهية واصدروا حكمابتكفيره ورميه بالحصى .

٢ ــ يــقــول المسيح تارة في صدد الدفاع عن نفسه : انا الذي قلت اني ابن اللّه ، وان ابي اللّه ، وتارة اخــرى يــقــول : انــا اقــوم باعمال الهية ، ولو لم انجز ذلك فلا تصدقوا كلامي ، ولو انجزت ذلك فصدقوا اني حال في اللّه واللّه حال في نفسي .

ان التعبير بالاب والابن والقيام باعمال الهية ، والقول بحلول الانسان في اللّه واللّه في الانسان ، كلها تــعبيرات الحادية ، لاتلتئم مع كافة الموازين المنطقية ، ولا دليل على ان يدلي احد الانبيا بمثل هذه الــعــبــارات في حق نفسه وحق اللّه تعالى ، ولو بصورة مجازية ، لان ذلك يؤدي الى وقوع البسطا فــي دوامة الاشتباه والالتباس ، ويساهم في ان يجد الاعدا الذريعة المناسبة لان يرموه بالحصى متى ماشاؤا.

هذا في الوقت الذي يقول القرآن في الايات التي تلوناها سابقا بصراحة تامة ان المسيح (ع) لم يصدر مــن قــبله اي ادعا سوى العبودية للّه ودعوى النبوة والرسالة وكان في غاية الخضوع والتذلل في مجال العبودية والتسليم لامر اللّه تعالى .

وفــي ايــات اخــرى يقول ايضا : ان كل ما انجزه من معاجز كان جميعه باذن اللّه ، فقرا في (سورة الــمــائدة الاية ١١٠) قوله تعالى : (واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبري الاكمه والابرص باذني واذتخرج الموتى باذني).

ان الــمــقــارنــة بين هذا النوع من المسائل التاريخية في القرآن وبين ماورد منهافي الانجيل ليضع الــحــدود الفاصلة بينهما ويبين ايهما هو الصادر من قبل اللّه حقا ، وايهما هو المحرف والمختلق من الذهن البشري .

حضور المراة العاصية في مجلس السيد المسيح (ع). لـم تـظـهر في الايات المختلفة للقران التي وردت في حق السيد المسيح حتى الحد الادنى من ترك الاولـى ، وقـد وصـفت الايات التي وردت في شان امه مريم قداستها في اجلى صورها ، بحيث انها ذعـرت بشدة والتجات الى اللّه حينما شاهدت ملك الوحي الذي جاها من قبل اللّه ليهبها ولدا ، (لانه ظـهـرامـامها على هيئة شاب جميل مجهول) حتى انها لما قاست من الام وضع الحمل ، وجسدت في مخيلتها مستقبل حياتها ، بان من الممكن ان ينسب لهاالاعدا والبسطا النسب القبيحة ،قالت : (ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيامنسيا) ((يم ــ ٢٣)) .

غير ان نبيا بهذه القداسة بحيث ينطلق لسانه بامر من اللّه في المهد ،ويبرهن عمليا على طهارة امه ، ويـتـحدث عن الصلاة والزكاة ، وكل مظهر من مظاهر التقوى من تلك اللحظة ، مثل هذا النبي يرد وصفه في بعض الاناجيل باوصاف تبعث كل قارئ على الدهشة والاستغراب .

والان لـنـسـتمع وننظر الى مابينه ((انجيل لوقا)) عن حكاية المراة السيئة الصيت التي جات الى المسيح (ع) وتابت : (ودعا احد الفريسيين (احدى فرق اليهود ، والفريس بمعنى العزلة) الى الطعام عنده فدخل بيت الفريسي وجلس الى المائدة وكان في المدينة امراة خاطئة فعلمت ان يسوع ياكل في بـيت الفريسي وجات ومعها قارورة طيب ، ووقفت من خلف عند قدميه وهي تبكي واخذت تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعرها ، وتقبلهما وتدهنهما بالطيب فلما راى الفريسي صاحب الدعوة ماجرى ، قـال فـي نـفـسـه : ((لـو كـان هذا الرجل نبيا لعرف من هي هذه المراة التي تلمسه وماحالها فهي خـاطئة يسوع : ((كان لمدين دين على رجلين : خمسمئة دينار على احدهما وخمسون على الاخر وعجز الرجلان عن ايفائه دينه ، فاعفاهما منه فايهما يكون اكثر حبا له ؟)).

فاجابه شمعون :((اظن الذي اعفاه من الاكثر)) فقال له يسوع : ((اصبت)) والتفت الى المراة وقال لشمعون ((٢٦٣)) : ((اترى هذه المراة ؟ انا دخلت بيتك فما سكبت على قدمي ما واما هي فغسلتهما بـدموعها ومسحتهما بشعرها انت ماقبلتني قبلة واماهي فما توقفت منذ دخولي عن تقبيل قدمي ، انت مـادهنت راسي بزيت ، واما هي فبالطيب دهنت قدمي ، لذلك اقول : غفرت لها خطاياها الكثيرة لانها احـبـتـنـي كـثـيـراوامـا الـذي يـغـفـر له القليل فهو يحب قليلا)) ثم قال للمراة : ((مغفورة لك خطاياك ((٢٦٤)) .

مـلـخـص هذه الحكاية تقع في ان السيد المسيح ينزل في بيت لاحدالفريسيين وهم كانوا طائفة من الـيـهـود ، ولايـبـدي لـه صـاحـب الـبـيـت احـتـرامـا بـالـغـا ،وما ان اط لعت المراة العاهرة والـمـنـحرفة ((٢٦٥)) التي تسكن ذلك البلد على حضوره حتى توجهت الى بيت اليهودي وكانت الـعـادة الـجارية في ذلك العصرعلى غسل رجل الضيف

اكراما له ، وطلي شعره بالدهن احيانا لان الـــنـــاس كـــانـــوايمشون حفاة غالبا ، ونظرا لعدم امتلاكهم وسيلة للتغطية والحفظ في الاسفاركانت شعور وقشور ابدانهم تصاب بالجفاف على اثر هبوب الرياح .

ووفقا لهذه الحكاية المفتعلة قامت المراة العاهرة بغسل رجلا المسيح (ع)عوضا عن الما ، وجففته بـــشـــعرها الطويل عوضا عن المنشفة ، وقبلته بشفتيهابحرارة ، بحيث ادى هذا المشهد المثير الى اســـتـــيـــا الرجل اليهودي صاحب البيت وقلقه ، وقال في نفسه ان كان هذا نبيا وواقفا على سيرة هذه الـــمـــراة لردع عن هذا العمل على الاقل ، المسيح بفراسته علم بذلك ، واقنعه بذلك من خلال المثال الـــذي ضربه في صدد الشخصين المديونين واعرب له : انني كنت ضيفك الا انك لم تقم بما قامت به الـــمراة المنحرفة من حسن الضيافة ، فانت لم تغسل رجلي بالما وهي غسلته بدموع عينيها وانت لم تقبلني وهي قبلت رجلي بلا انقطاع ، ولم تدلك راسي بالدهن وهي دلكت رجلي بالعطر.

والان لنبدا قليلا بتحليل هذه القصة ، لنرى هل من المناسب لهذا النبي العظيم وحتى لمؤمن عادي ان يضع نفسه تحت تصرف امراة عاهرة كي تعامله بمثل هذه المعاملة .

اولا : ان السيد المسيح (ع) كان شابا يناهز عمره الثلاثين عاما في ذلك العصر ، ولابد ان تكون تلك الـــمـــراة الـــعـــاهـــرة شابة وجميلة ايضا ، ولا يعقل ان تكون قبيحة المنظر منهوكة القوى في الاعم الاغـــلب فكيف يتاتى لنبي عظيم بعث لتهذيب الاخلاق ونشر مظاهر التقوى ان يسمح لامراة فاجرة بـــان تـــمـــســـح بـــرجليه مرات متعددة ثم تغسله بدموع عينيها وتجففه بشعرها الناعم وتدهنه بيديها الظريفتين وتطبع عليه قبلات حارة فهل يعقل هذا ؟.

وعـــلـــى فرض انها ارادت التوبة من ورا ذلك فان للتوبة حدودا وقيوداايضا ، وهل سبق لاحد الى يـــومنا هذا ان يتعامل مع احد الروحانيين او الرهبان العادين بمثل هذه المعاملة ، حتى تصل الى نبي من انبيا اللّه ؟.

وعـــلـــى كـــل حال فالاثار الخرافية لهذه الرواية ظاهرة من بين ثناياها بصورة كاملة ، فضلا عن ان ماذكره السيد المسيح (ع) من المثال لايعتبر جوابا على استفسار اليهودي على الاطلاق .

فـــاشـــكـــال اليهودي لم يقع على عظم محبة هذه المراة حتى ياتي الجواب على ان عظم محبتها وشدة تـــعلقها ناتج عن كثرة ذنوبها ، وانما وقع للاستفسارعن السبب في سماح نبي من انبيا اللّه بان تمسح امـــراة عاهرة وسيئة السمعة برجليه الى هذه الدرجة ثم تغسلهما بدموع عينيها ، وتجففهما بشعرها ،وتدلكه بالعطر والدهن ، فمما لا شك فيه ان كثرة الذنوب وقلتها لا صلة له بهذاالعمل من قريب او بعيد.

وعليه فما جا في تواريخ القرآن من وقائع وحوادث عن السيدالمسيح (ع) تنزهه وتبر ساحته

من مثل هذه النسب .

نتيجة البحث . يستنتج مما ذكر سابقا ضمن هذه النقاط العشر ومن خلال مااجريناه من مقارنة واضحة بين تواريخ العهدين (الكتب المقدسة لليهود والنصارى) هي نفس الكتب التي عدت من اهم المصادر التاريخية للاديان في عصر نزول القرآن ــ على ان القرآن لايمكن ان يكون وليد الفكر الانساني اطلاقا ، لان ذلك يستلزم ان يتاثر بها وقابلية التاثر هذه تترك اثرها في نقل وقائع هذه القصص ،فدلت نزاهة التواريخ التي ينقلها القرآن من هذه الخرافات والنسب القبيحة خصوصا فيما يتعلق بشرح وقائع الانبيا على انه صادر من منبع العلم الرباني وانه معجزة خالدة على مر الدهور.

٥.

الاعجاز القرآني في سن القوانين . ٥.

الاعجاز القرآني في سن القوانين . من المعلوم انه قد ورد في القرآن الكريم بالاضافة الى المعارف والتعاليم المرتبطة بالمبدا والمعاد والمسائل الاخلاقية والتاريخية والتشريعات المتعلقة بالعبادات ، مجموعة من القوانين الاجتماعية ايضا ، والتي ترسم معالم القانون الاساسي للاسلام وبعض القوانين المدنية الحقوقية والجزائية المتعلقة به .

اي اعمال الدقة والتامل في هذا المقطع القرآني يكفي لوحده في اظهارمعجزة القرآن استنادا الى ان ظهور وبروز هذه القوانين الحكيمة جدا والتي ستاتي امثلتها فيما بعد في محيط تحكمه شريعة الغاب او بعبارة اخرى في جويضج بالفوضى والتسيب بامكانها ان تحمل كل فرد منصف على التسليم والاذعان ، لذا نحن لسنا ملزمين بان نفتش عن عظمة هذا الكتاب السماوي واعجازه في المسائل المرتبطة بالفصاحة والبلاغة ، او المعارف والعلوم والجوانب التاريخية فقط ، بل ان الاقتصار على البحث في مجموعة المقررات القرآنية يفتح نافذة بوجه هذا العالم الكبير.

وهنا ينبغي وقبل كل شي ان نقدم مقدمة قصيرة حول بيان معنى القانون الصالح وحقيقته ، وذلك من اجل تدعيم اساس هذا البحث .

ماهي افضل القوانين ؟. من الصعوبة الجواب على هذا السؤال ولكن اذا وقفنا على الحكمة الواقعية من ورا وضع القوانين في المجتمعات الانسانية فان معالم الطريق ستصبح واضحة .

المسالة تكمن في ان الانسان يتمتع بروح ويعود الفضل في كافة مكتسباته وانجازاته الى هذا العيش المشترك ، ان هذا التعايش الاجتماعي المتبادل هوالذي يؤدي الى تازر وتعاضد افكار المفكرين وعلوم العلما والابتكارات والابداعات في سائر انحا المجتمع البشري وانتقاله من جيل الى اخر ، ومن ثم نشاهد التطورات والانجازات المهمة على صعيد العلوم والمعارف الانسانية المتمدنة يوما بعد اخر.

وايا كان الدافع من ورا الاهتمام بهذا التعايش المشترك فان له موضوعامستقلا للبحث ،

ولكن مما لاشك فيه اذا كانت حياة الناس متبعثرة ومتشتة كسائر الحيوانات الاخرى لم يكن هناك اي فرق بين انسان اليوم وانسان العصرالحجري ، ولم يكن يوجد معنى للعلم والتحدث والاختراع والاكتشاف ولاالصناعات والفنون ولا اللغة والاداب ولا لاي شي اخر ، الا ان لهذه الحياة الاجتماعية طواري ومشاكل اذا لم يتم الوقاية منها بشكل صحيح فانها تؤدي الى حدوث النكبات والويلات التي تردي بحياة النسل الانساني فضلا عمايترتب على ذلك من توقف لعجلة التكامل والرقي .

ان هذه الافرازات عبارة عن : الصراعات التي تنشا من تصادم المنافع وتزاحم الحقوق وطلب الاستعلا ، وحب الاستئثار ، والانانيات والمنافع الشخصية والتي تؤدي بدورها الى حدوث الاصطدامات والنزاعات والمناوشات الفردية او الجماعية ونشوب الحروب الاقليمية ، او الدولية ،ولهذا ادركت المجاميع الانسانية منذ تلك اللحظة هذه الحقيقة وهي انه لو لم توضع المقررات اللازمة لتعيين حدود اختيارات الافراد وحقوقهم واسلوب حل المنازعات والمصادمات والمشاجرات ، لانقلبت الموازين الاجتماعية راسا على عقب وادت الى حدوث كارثة كبرى .

واساسا انما ياخذ المجتمع الواقعي طريقه الى الوجود والظهور بعد ان تسودها حالة التعاون والتعاضد والتعاطف بين افراده ، ومثل هذا الامر لايتحقق الا في ظل وضع القوانين والمقررات ، وفي الواقع ليس هناك مفهوم للتعاون من دون تعهد اخلاقي ، وهذا التعهد بحد ذاته منشا حدوث القانون .

علاوة على ان من الخطا ان نعتبر وظيفة القانون منحصرة في نطاق الحدمن حدوث الاعتدات وانها الاصطدامات ــ وان كان هذا هو الهدف من وضع الكثير من القوانين ــ بل يقع على عاتق القانون قبل هذا مسؤولية تحكيم العلاقات الاجتماعية وايجاد الضمانات والتعامل معها بصدق وامانة وتامين الحرية اللازمة لتنوع الاستعدادات ونموها ، وتمركز القوى وتعبئة الامكانيات باتجاه معين من اجل توسيع رقعة التكامل .

والواقع ان القانون هو بمثابة الدم الجاري في عروق المجتمع البشري ،لهذا لابد من القول بصراحة : انه اذا انعدم القانون لم يكن لوجود المجتمع معنى ، ولم يتحقق التقدم والازدهار.

اذا لم يعد الجواب على هذا السؤال السابق متعسرا ، فالقانون الافضل هوالذي يمتلك صلاحية اكثر في تامين الامور التالية :.

١ ــ ان يجمع بين كافة القوى المتبعثرة للمجتمع الانساني تحت راية واحدة قوية ، ويحل الاختلافات الموجودة فيه كاختلاف الالوان والقوميات واللغات .

٢ ــ ان يهي الارضية المناسبة لنمو الاستعدادات الدفينة وتطوير القدرات الخلاقة .

٣ ــ ان يؤم ن الحرية الواقعية حتى يتمكن جميع الافراد من العمل على تنمية استعداداتهم في ظلها.

٤ ــ يحدد الحق المشروع لكل شخص من الاشخاص وكل فئة من الفئات كي يقف حاجزا دون حصول الاصطدامات والاعتداات .

٥ ــ ان يعمق في النفوس روح الاعتماد والاطمئنان من خلال تعيين نظام اجرائي صحيح مضمون .

٦ ــ القانون الصالح ليس كما يتصوره البعض بانه القانون الذي يحمل معه مجموعة من القوانين العريضة والموسعة والتي تشتمل على الاجهزة القضائية الواسعة وشرطة وسجون كثيرة ، بل ان هذا يدل على ضعف ذلك القانون وذلك المجتمع وعجزهما ، فالقانون الصحيح هو الذي يتخذ اجرات وقائية مناسبة من خلال وضع التعليمات الثقافية والمقررات الصحيحة حتى لاتدعو الحاجة الى التوسل بمثل هذه الامور.

ان الاجهزة القضائية والعقوبات والسجون بمثابة الطب العلاجي او بعبارة اصح بمثابة اجرا عملية جراحية للمريض ، بينما القوانين السليمة والمقررات الدقيقة بمثابة الطب الوقائي الذي يعتبر اقل مؤنة واسلم طريقة لخلوه من الطواري والاخطار.

بعد هذه المقدمة نعود الى القرآن مرة اخرى لندقق في قوانينه ونبحثها.

مزايا القوانين القرآنية . قبل كل شي نرى من اللازم ان نذكر هذه النكتة وهي ان جميع هذه القوانين انما خرجت في محيط الحجاز ذلك المحيط الذي لايعرف للقانون معنى تقريبا ، والامر الوحيد الذي حكم بشكل قانوني في اوساط قبائله هي الاداب والرسوم المحدودة والممتزجة بالخرافات ، لذا فان ظهور القوانين الاسلامية في مثل هذا المحيط يعد بحق ظاهرة عجيبة لا يتصور في حقه اي توجيه طبيعي سوى القبول والتسليم بان ذلك كله صادر من اللّه تعالى .

اولا :.

الشمولية والسعة . بالرغم من ان القرآن نزل في محيط مغلق من جهات مختلفة ، ومحدود في ارتباطه مع عالم ماورا شبه الجزيرة والطابع الذي يسود ارجاه هو طابع القومية والعنصرية والحياة القبلية فكان من الطبيعي حتما ان يصطبغ مثل هذاالمحيط بصبغة القومية العربية ، بل بصبغة التعصب القبلي مما يلفت النظر ان القوانين لم تصطبغ بهذه الصبغة باي شكل من الاشكال حتى انه لم يردالخطاب بيا ايها العرب ولا مرة واحدة في القرآن فالحديث يرد عامة الناس في كل المواضيع والخطابات وردت بصيغة ــ يا بني ادم ((٢٦٦)) ويا ايها الناس ((٢٦٧)) ويايها الذين امنوا ((٢٦٨)) ويا عبادي ((٢٦٩)) ويا ايها الانسان ((٢٧٠)) ــ فاذا المخاطبين في القرآن هم جميع اهل العالم وقوانينه ناظرة الى البشرية جمعا.

ومما يدل على هذا المدعى ايضا آية (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)وآية (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ((قان ــ ١)) وآية (ان هو الا

ذكر للعالمين) ((ف ــ ١٠٤)) ونظائرها.

لقد نبذ القرآن الامتيازات العنصرية ــ في ذلك المحيط العنصري ــ بحيث اولى اهتماما كبيرا وعناية فائقة بالاواصر الاخوية لجميع ابنا البشرية من خلال اطروحته الرائعة المتضمنة هذا المعنى ((انتم جميعا ابنا ادم وخلقتم من اب وام واحدة)) فانتم جميعا اخوة اسرة واحدة ، يقول عز من قائل في هذاالمضمار : (يا ايها الن اس ان ا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم) ((ات ــ ١٣)) .

وفي موضع اخر ينفي كافة الارتباطات المحدودة ويبلور العلاقة القائمة بين المؤمنين في اطار الاخوة والصداقة التي هي من اقرب العلائق التي تقوم على اساس المساواة والمواساة اذ يقول عز من قائل : (انما المؤمنون اخوة) ((ات ــ ١٠)) ومما يدعو الى الانتباه والالتفات في هذه الاية هو مجي كلمة ((ان ما)) التي تستعمل للحصر.

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى احاطت هذه القوانين بشموليتها سائرانحا الحياة البشرى ة بدا من اهم المسائل الاعتقادى ة (كالتوحيد) وانتهابابسط المسائل الاخلاقى ة والاجتماعية ، (كالرد على السلام وعلى اي لون من الوان التحية والاستقبال ، فعلى سبيل المثال يقول تعالى في احد المواضع :(واذا حيى يتم بتحية فحيوا باحسن منها او رد وها ان اللّه كان على كل شي حسيبا)((النسا ــ ٨٦)).

وقد ضم القرآن الكريم بين دفتيه اية تعد من اطول الايات القرآنية التي دارالحديث فيها حول كتابة الديون والحقوق ، فقد ذكر فيما يتعلق بهذه المسالة عشرين حكما الهيا ، وهي (الاية ٢٨٢ من سورة البقرة) وهذا ان دل على شي فانما يدل على ان تطرق القرآن للمسائل المرتبطة بالعقائد والمعارف الاسلامية لايتنافى بتاتا مع بيانه للاحكام الضرورية العملية ايضا ، ولا نقصد من ذلك انه قد تم بيان جميع جزئيات الاحكام والقوانين على صعيد الظواهر القرآنية ، لان مما لايقبل الشك ان حجمها يعادل اضعاف حجم القرآن ، وانما المقصود انه تعالى قد بين الاصول والقواعد الضرورية في كل مورد من الموارد القرآنية .

ولا يضير في هذا المجال ان نشير اشارات مختصرة الى مقتطفات من هذه الاصول :.

التوحيد الحجر الاساس في كل شي . ١.

استند القرآن في المسائل الاعتقادية قبل كل شي الى اصل التوحيد ، وقداشير الى هذه المسالة مئات المرات في الايات القرآنية ، بحيث رسم الخطوطالعريضة لادق المفاهيم التوحيدية الى ان يقول في صدد الحديث عن ماهية اللّه تعالى : (ليس كمثله شي) ((رى ــ ١١)) ، وكما انه بين صفاته الجلالية والجمالية في مئات الايات ويمكنك في هذا المجال مراجعة المجلد الثالث لهذا الكتاب (رسالة القرآن) ، ولايقف الامر عند تعريفه بوحدانية اللّه من كل جهة ، بل يعتبر نبوة الانبيا دعوة واحدة ايضا ، بحيث لا يرى وجود الاختلاف والتفرقة بينهم ، لذا يقول : (لا نفرق بين احد من رسله) ((ة ــ ٢٨٥)) ،

بالرغم من حمل كل واحد منهم مسؤولية خاصة به وفقا للمتطلبات الزمنية التي يعيش فيهاكل نبي ، الا ان حقيقة دعوتهم وجوهرها واحدة في كل المواقع .

بـــالاضـــافـــة الى ان مسالة التوحيد تفرض سيطرتها على مرافق المجتمع الانساني ايضا ، وكما قلنا سابقا : يعتبر افراد البشر اعضا لاسرة واحدة ، ويعب ر عنهم بالاخوة المولودين من اب واحد وام واحدة .

٢ ــ ((الـــعدالة الاجتماعية)) اذ يعتبرها من اهم تعاليم الانبيا ويقول : (لقدارسلنا رسلنا بالبى نات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الن اس بالقسط) ((يد ــ ٢٥)) .

وتعقيبا لهذه الغاية فقد حرض كافة المؤمنين على هذا الامر اعم من كونهم كبارا او صغارا ، شيبا او شـــبـــابا ، وبغض النظر عن انتمائهم العنصري او اللغوي ،فيقول : (يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهدا للّه ولو على انفسكم اوالوالدين والاقربين) ((ا ــ ١٣٥)) .

٣ ــ وامـــا عـــلـــى صعيد ((الروابط الاجتماعية)) والاتفاقيات وكل عهد وميثاق فيدعو الجميع الى الالـــتـــزام بـــهذا الاصل ، ويقول : (يايها الذين آمنوا اوفوابالعقود) ((ئدة ــ ١)) ، ويقول ايضا : (واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا) ((را ــ ٣٤)) .

ان امتداد وسعة هذه الايات شملت حتى المعاهدة والمفاوضة مع غيرالمسلمين ، وفرضت سيطرتها على العلاقات الاجتماعية والفردية والاتفاقيات الدولية ايضا.

٤ ــ وعـــلـــى صـــعيد ((الوقوف بوجه الاعتدات)) ، وتفادي الاحباطات ، يقول في عبارة مختصرة ودقيقة جدا : (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم وات قوا اللّه واعلموا ان اللّه مع المتقين) ((ة ــ ١٩٤)) .

٥ ــ وعلى صعيد ((الدفاع)) يقدم اطروحة اصيلة ومتينة عامة متجسدة بقوله تعالى : (واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللّه وعدوكم) ((ال ــ ٦٠)) .

وفي هذا الصدد يوصي ((باعداد القوة وتعبئة القوى بصورة عامة)) ، وتجهيزالقدرة الحربية لذلك العصر بصورة خاصة ((بعنوان احد المصاديق)) وذلك من اجل الحد من وقوع الحرب ، والارهاب ، والقا الرعب في قلوب الاعدا ،وهذا من الاهداف المنطقية الكبرى لتقوية البنية العسكرية .

٦ ــ واما من ناحية المناوشات الكلامية والنزاعات التي تقع بين اصحاب الذاهب والرقبا الاجتماعيين فـلـــه وصية اخرى يقول فيها : بدلا من المقابلة بالمثل واعداد القوى استخدموا اسلوب مقابلة الضد بـــالـــضـــد ، ورد وا الـــقبيح بالحسن كي تقتلع بذرة النفاق والعداوة من جذورها ، يقول عز من قائل : (ادفـــع بـــال تـــي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وما يلق ها الا الذين صبروا ومايلق اها الا ذو حظ عظيم) ((٣٤ ــ ٣٥)) .

٧ ــ وفـــي صـــدد ((المصير الانساني)) يقول بصراحة : ان مصير كل شخص بيده ، وموقوف على جهده وسعيه : (كل نفس بما كسبت رهينة) ((دثر ــ٣٨)) .

(وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى) ((٣٩ ــ ٤٠)) .

٨ ــ وحـــول ((حرية العقيدة)) وانه لايمكن النفوذ في الحيز الفكري لشخص معين الا عن طريق الاســـتـــدلال وتـــوضيح معالم الدين يقول : (لا اكراه في الد ين قد تبين الرشد من الغي) ((البقرة ــ ٢٥٦)) ، وفـــي مـــجال ((حرية الانسان)) يقول : ان احد الاهداف المهمة لبعثة نبي الاسلام (ص) ((تـــي كانت عليهم) سلب الحرية الانسانية .

٩ ــ وفي صدد ((عدم التدخل في الامور الشخصية للاخرين)) ، والمحافظة على كرامة الافراد ، وعـــدم هـــتـــك حـــرمـــتـــهـــم يـــقـــول : (يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرامن الظن ان بعض الظن اثم ولاتجسسوا ولايغتب بعضكم بعضا) ((: ــ ١٢)) .

١٠ ــ ومـــن الـــمـــبادي التي اكد عليها القرآن الكريم هو مبدا ((التعايش السلمي)) مع كافة الافراد الـــمسالمين الذين يعدونهم من اهل التفاهم والحوار في الاهداف المشتركة ، او على الاقل من الذين اتـــخـــذوا طـــريق الحياد والاعتدال ،لذا يقول : (لاينهيكم اللّه عن الذين لم يقاتلوكم في الد ين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبر وهم وتقسطوا اليهم ان اللّه يحب المقسطين) ، ثم يعقب على ذلك بقوله : (انما ينهاكم اللّه عن الذين قاتلوكم في الد ين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تول وهم ومن يتول هم فاولئك هم الظالمون) ((ة ٨ ــ ٩)) .

ثانيا :.

تقوية الروابط الاجتماعية . ان المجتمع البشري هو المنبع الاساسي لكافة التطورات والانجازات العلمية والاجتماعية ، وانما يـــســـتطيع ان يصل الى هدفه المطلوب عندماتحكمه روابط وثيقة ومتينة جدا ، والا فسوف يتحول الـــى جـــحـــيـــم لايـــطـــاق يـــحـــمل في طياته مسي وويلات المجتمع ، هذا فضلا عن عدم استثماره لمعطياته ومكتسباته الذاتية .

فــمن جانب يؤكد على الوحدة الشمولية للعالم البشري بصفتهم اعضالاسرة واحدة ، واخوة من اب وام واحدة ، كما جا ذلك في سورة الحجرات الاية ١٣ واشرنا اليه سابقا.

مــن جانب آخر يعتبر المؤمنين اعضا لكيان واحد بغض النظر عن التفاوت الحاصل بينهم من الناحية اللغوية والعنصرية ، لذا يقول : (بعضكم من بعض) ((ن ــ ١٩٥)) ، ويقول في موضع آخر : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليا بعض) ((بة ــ ٧١)) .

ولــم يــكــتــف بهذا الامر ايضا فبالاضافة الى الرابط الانساني والايماني اوصى واكد على الروابط الشخصية ايضا والتي تتحقق في نطاق اضيق واقرب .

ولــذا يعتبر نقض هذا العهد والحلف جريمة كبرى ، يقول في هذا الصدد :(الذين ينقضون عهد اللّه مــن بــعــد مــيــثاقه ويقطعون ما امر اللّه به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون) ((رة ــ ٢٧)) .

ونــقرا في سورة محمد (ص) الاية ٢٢ و٢٣ قوله تعالى : (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فري الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم اللّه فاصم هم واعمى ابصارهم).

وبــنــا على ذلك يرى ان قطع هذه الروابط مساوق للفساد في الارض ، ومن دواعي فقدان البصيرة والجمود الباطني .

وتنبثق اهمية هذه الروابط في الاسلام من ان كل مايساهم في تحكيم الارتباطات الاجتماعية يعتبر امرا ضروريا ، حتى ان الكذب الذي هو من ابشع الذنوب يعد جائزا لاجل اصلاح ذات البين ، وعلى الــعــكــس مــن ذلــك فــان كــل مــايــســاهــم في تضعيف هذه الارتباطات وتفككها يعتبر امرا منبوذا ومرفوضاتحت اي عنوان واسم كان .

ثالثا :.

احترام حقوق الانسان . ان الــقــانــون الــجيد والممتاز هو القانون الذي يبدي ــ بالاضافة الى امتيازاته الاخرى ــ اطروحة جــامــعــة ودقــيقة في مسالة حقوق الانسان ، تعويلا على هذه الحقيقة كلما القينا نظرة حول الايات القرآنية في هذا المجال تجلت عظمة هذه القوانين اكثر فاكثر.

القرآن حرص كثيرا على مسالة حفظ النفس والمال والنواميس البشرية ،بحيث وصل به الامر الى ان يقيم النفس الانسانية ويعتبرها كسائر النفوس البشرية ، لذلك يقول : (من قتل نفسا بغير نفس او فــســاد فــي الارض فــكانما قتل الن اس جميعا ومن احياها فكانما احيا الن اس جميعا) ((المائدة ــ ٣٢)).

ولانجد لهذا التعبير مثيلا في اي قانون آخر.

ويــذهب القرآن في صدد مسالة حقوق الانسان الى ان اصل العدالة يحتل مركز الصدارة على جميع الامــور في اجرا الحقوق ، ويحذر من ان تقضي النزاعات الشخصية او العلاقات الحميمة الى عدم اجرا العدالة والعمل بها.

يــقــول فــي احد المواضيع :(ولا يجرمن كم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلواهو اقرب للت قوى) ((ئدة ــ ٨)) .

وفــي مقابل ذلك بالنسبة الى تاثير الصداقة على اجرا العدالة يوجه هذاالانذار : (يايها الذين آمنوا كونوا قو امين بالقسط شهدا للّه ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيا او فقيرا فاللّه اولى بهما) ((ا ــ ١٣٥)) .

وتــتــضح هذه المسالة اكثر من خلال التاكيدات الكثيرة للقرآن على مسالة رعاية الايتام والمراقبة الــدقيقة لاوضاعهم ، والتعهد بكفالتهم الى ان يكبرواويبلغوا سن الرشد ، لذا يقول في هذا الصدد : (ان تقوموا لليتامى بالقسط) ((ا ــ ١٢٧)) .

والــجــديــر بــالذكر انه جعل مسالة الحماية والرعاية للايتام مرادفة للتوحيدوللمسائل الانسانية الاخــرى ، فــيــقــول عــز مــن قــائل : (لاتعبدون الا اللّه وبالوالدين احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للن اس حسنا واقيموا الصلاة وآتوا الز كاة) ((رة ــ ٨٣)) .

ومــن طريف القول : انه قرر خمسة قوانين انسانية مرتبطة بحقوق الانسان في ضمن شعيرتين من اهم الشعائر الاسلامية على صعيد الاعتقاد والعمل ، الا وهما ــ التوحيد والصلاة .

رابعا :.

الحرص على تامين الحرية والامن . مــن اهــم الامــور الــمستنبطة في قوانين القرآن هي : حرية العقيدة ، وحرية الانسان ، واستقرار الامن على كافة الاصعدة والمجالات ، والاية الكريمة : (لااكراه في الد ين قد تبين الرشد من الغي) تشير الى هذا المعنى ((رة ــ ٢٥)) .

وفــي احد المواضيع يعتبر تحطيم قيود الاسر من الاهداف المهمة لبعثة الرسول الاكرم (ص) اذ يــقــول : (ويــضع عنهم اصرهم والاغلال ال تي كانت عليهم) ((ف ــ ١٥٧)) ، وفي موضع آخر يخاطب المؤمنين بقوله : (ياعبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون) ((العنكبوت ــ ٥٦)).

ويــنــقــل الــقــرآن قــصة عجيبة عن ((اصحاب الاخدود)) ، اولئك الذين كانوايعذبون المؤمنين ويــلــقــونهم في حفر النيران لا لشي الا لانهم حملوا اعتقادات راسخة ، لذا يصفهم بالقول : ان هذه الــزمرة المتسلطة ما اقدمت على عملها هذاالا لاجل سلب حرية العقيدة والايمان ، ثم يبين لهم اشد الــعــقوبات الالهية النازلة بحقهم : (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) ((وج ــ ١٠)) .

وكــثــيــرا مــا يشيد القرآن الكريم بنعمة ((الامن)) بحيث يعتبره مقدما على اي شي آخر ، ولهذا الــسـبب حينما قدم ابراهيم الخليل (ع) على الارض القاحلة ،والمستعرة ، والخاوية لمكة ، وبنى بيت الكعبة ، فان اول حاجة طلبها من اللّه تعالى لساكني هذه الارض مستقبلا هي

نعمة الامن على حد قول القرآن : (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات) ((ة ــ ١٢٦)) .

وفـــي مـــوضـــوع آخـــر ينقل هذا الموضوع نفسه بعبارة اخرى ، فيقول : (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني ان نعبد الاصنام).

ففي الاية الاولى تقدم ذكر الامن على الامور الاقتصادية ، وفي الاية الثانية تقدم ذكرها على مسالة الـــتوحيد ، ولعله اشارة الى عدم تحقق الضمان الديني والدنيوي للمجتمع بدون انتشار الواقع الامني فـــي الـــمحيط القائم ، بالاضافة الى ان القرآن يصف حالة انعدام الامن بانها اسوا حالا من القتل وسفك الـــدمـــا ،فـــيـــقـــول : (الـــفـــتنة اشد من القتل) ((ة ــ ١٩١))

وبالرغم من ان للفتنة معاني كثيرة ،(كـــالـــشـــرك ، والـــتـــعـــذيب والتنكيل والفساد) ، ولكن لايستبعد ان يكون مفهوم الاية شاملا بحيث يستوعب كل هذه المعاني .

وعـــلـــيـــه فـــان ايجاد حالة من انعدام الامن والفساد تفوق بمراتب مسالة سفك الدما لانها بالاضافة الى كونها مصدرا لسفك الدما ، هي مصدر للمفاسدالاخرى ايضا.

وتـــجـــدرالاشارة الى هذه النكتة ايضا وهي : انه قد تقرر في الاسلام نوع خاص من ((الامن)) لم يـــســـبق له وجود في اي قانون من القوانين الدولية الا وهوالحفاظ على حيثية الافراد وكرامتهم ، حتى في دائرة افكار الاخرين .

وبـــتعبير ادق : ان الاسلام لايسمح لاي مسلم ان يحمل في نفسه الظن السي والتفكير الخاطي تجاه الاخرين فيعمد الى خدش كرامة الاخرين وحرمتهم في دائره التفكير الشخصي ، وقد تجسد هذا الـــمـــعـــنى في سورة الحجرات الاية ((١٢)) : (يايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولاتجس سوا).

ان الاســـلام يـــريـــد ان تـــسود حالة الامن والاطمئنان التام في المجتمع الاسلامي ، ليس على صعيد الـــنـــزاعات الشخصية بين الاخرين فحسب ، وانماعلى صعيد المناوشات الكلامية ، واكثر من ذلك على صعيد الاتجاهات الفكرية بين الافراد مع بعضهم البعض ، بحيث يشعر كل واحد منهم ان الاخر لايسدد باتجاهه سهام التهمة والافترا ، وهذه الحالة الامنية في اعلى مستوياتهالاتتحقق الا في ظل وجود المجتمع الايماني وسيادة القوانين الاسلامية .

والـــجـــدير بالذكر انه قد ورد النهي عن الكثير من الظنون ، ولكن في اثنا بيان العلة يقول : ان بعض الـــظنون اثم ، ولعل منشا التفاوت في التعبير عائد الى ان الظنون السيئة تجاه الاخرين تطابق الواقع احـــيـــانا ، ولاتطابقه احيانا اخرى ، وبناعلى ان النوع الثاني يعد ذنبا من الذنوب ، فلابد من الابتعاد عن كل الظنون السيئة الواقعة تحت عنوان ((كثيرا من الظن)).

النكتة الاخيرة في هذا البحث : هي ان الاسلام انطلاقا من اهتمامه الكبيربتحقيق الامن الداخلي في الـــمـــجـــتـــمـــعـــات الاسلامية اجاز التوس ل بالقوة والقدرة العسكرية لحل الاختلافات والمجابهات الـــداخـــلية في حالة فشل الاساليب والطرق السلمية ، ونطالع هذا المعنى في

سورة الحجرات الاية ((٩)) التي تقول :(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فـقـاتلوا ال تي تبغي حت ى تفي الى امر اللّه فان فات فاصلحوابينهما بالعدل واقسطوا ان اللّه يحب المقسطين).

ان مـن يـنـعم النظر جيدا في تعبير هذه الاية : يجد ان كل مقطع من المقاطع فيها يحكي عن تحديد صـورة لـمـنهج دقيق يقضي بانها اي شكل من اشكال الاضطراب والفتن الاجتماعية وذلك من خلال استخدام افضل السبل السلمية ، او اللجؤ الى القوة في نهاية المطاف اذا لم تثمر الاساليب الاخرى .

ومـن البديهي ان المقصودين بالخطاب في هذه الاية هم افراد المجتمع الاسلامي ، او بعبارة اخرى الحكومة الاسلامية .

خامسا :.

الضمانات الاجرائية القوية . ان وجود القوانين الدولية لا يمثل سوى خطوط سودا على صفحات بيضا ، وغاية ماتحمله من تاثير ذاتي انها تنقل النصيحة والموعظة لكن بدون الاستناد الى ذكر الدليل ، وبعبارة اخرى القوانين هي بـحـد ذاتها لاتنطوي الا على بعد ذهني وفكري ، وحتى تكتسب لنفسها قيمة اجتماعية تحتاج الى ان تـستند الى قاعدة معينة تلزم افراد المجتمع باتباعها والانصياع لها وهذه القاعدة هي التي يطلقون عليها عنوان ((الضامن الاجرائي)) او ((الضمانة الاجرائية)).

يـتـضـح جيدا من هذه المقدمة ان قيمة القانون وصلاحيته متوقفة على مدى قوة ضمانته الاجرائية وقدرتها ، فمتى ماكانت الضمانة الاجرائية لاحد القوانين اقوى وادق كانت قيمته الاجتماعية اعلى واكثر.

ان الـكثير من الضمانات الاجرائية للقوانين تنطوي على آثار سيئة للغاية ،وتخلق مشاكل ومساوي عـلـى صعيد المجتمع ، وتؤدي احيانا الى الاصطدام وانعدام الثقة ، وسؤ الظن بين الافراد ، او انها تعكس القانون بشكل صارم ورهيب وهذه بحد ذاتها تعتبر خسارة كبرى .

ولـو كـانت الضمانة الاجرائية تستند الى مجموعة من المباني الثقافية والاخلاقية والعاطفية ، لما اشتملت على اي من هذه المساوي .

ان العالم المعاصر في طريقه لاجرا القوانين واقع في دوامة قاتلة .

وهذه الدوامة ناشئة من عدم الحصول على مايؤيد الضمانة الاجرائية سوى العقوبات المادية التي هي اعـم مـن كونها عقوبة جسدية او غرامة مالية من جهة ، ومن عدم تقريره للعقوبات الحد ية كعقوبة الاعدام مثلا حتى في مقابل ابشع الجرائم والجنايات من جهة اخرى .

لـقـد ادى الابـتعاد عن الضمانة الاجرائية النفسية والعاطفية وضعف وعجزالضمانات الاجرائية الـخـارجـيـة الـى اتساع هذه المخالفة القانونية ، والانحراف عن المقررات وعدم الاعتنا بها على المستوى العالمي يوما بعد آخر ، والدليل على ذلك هو الاتساع المط رد

للاروقة القضائية ، وكذلك السجون في دول مختلفة من العالم ، وهذا الوضع هو الذي يمكن ان يطلق عليه عنوان ((ازمة الضمانة الاجرائية)) ، وله نتائج وعواقب غير محمودة مما جعلت المجتمعات الانسانية باسرها تدفع ضرائب ثقيلة ، ويمكن الوقوف على شواهد من هذاالقبيل في ارقى الدول الصناعية في العالم .

ومن المساوي الاخرى للضمانات الاجرائية في القوانين الدولية المعاصرة ، هو الاقتصار على الاحكام الجزائية وفقدان الجانب الايجابي من الضمانة الاجرائية الا وهي المراهنة على عامل التشجيع والمكافاة .

ان الانسان خليط متقابل من ((القوة الجاذبة والدافعة)) او بعبارة اخرى :جلب المنافع ودفع المضار ، ولابد من الاستعانة بكلا الجانبين في اجراالقوانين ، في حين ان عالم اليوم يحصر جل اهتمامه على دفع المضار وفي دائرة محدودة ايضا ، والدليل على ذلك واضح ، لان العالم المادي ليس في جعبته شي ليجعله بعنوان مكافاة تقديرية ازا كل من يعمل ببنود القانون .

وعلى ضؤ هذه المقدمات نعود الى مسالة ((الضمانة الاجرائية في قوانين القرآن)) لنرى اشتماله على اقوى الضمانات الاجرائية واجمعها ، وهذا الامتيازينفرد به دون غيره .

وقد اخذت بعين الاعتبار ثلاثة انواع من الضمانات الاجرائية في القران :.

١ ــ الضمانة الاجرائية المستمدة من الدولة الاسلامية .

٢ ــ الضمانة الاجرائية المستندة الى الرقابة العامة .

٣ ــ الضمانة الذاتية الداخلية او بتعبير اخر ، الضمانة الناشئة من الايمان والاعتقاد بمبادي الاسلام والقيم الاخلاقية والعاطفية .

ففي المورد الاول يقع على عاتق الدولة الاسلامية مسؤولية الوقوف بصورة حدية بوجه اي شكل من اشكال المخالفة القانونية ، فالخطوة الاولى التي اقدم عليها نبي الاسلام (ص) بعد هجرته الى المدينة ، وبعد ازاحة المشاكل العالقة ، هي ارسا دعائم الدولة الاسلامية ، وبيان معالم القوانين الاسلامية ، وملاحقة اي نوع من انواع الانحراف والشذوذ باعتباره من الذنوب التي يعاقب عليها.

لقد اعتبر القوانين القرآنية حدودا الهية ، ووجه العقوبة الى كل من يتجاوزهذه الحدود.

فمن جهة يعرف المتخلفين بانهم ظالمون ويقول : (ومن يتعد حدود اللّه فاولئك هم الظالمون) ((ــ ٢٢٩)) ومن جهة اخرى يؤكد على محاربة الظالمين .

فحينما يذهب القرآن الى القول : (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الن اس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للن اس وليعلم اللّه من ينصره ورسله بالغيب ان اللّه قوي عزيز) ((يد ــ ٢٥)) ،فان معناه : ان شخص نبي الاسلام (ص) الذي هو خاتم الانبيا وسيدهم هوالذي تقع على كاهله هذه المسؤولية قبل اي شخص

آخر.

هـذا مـن جـانب ، ومن جانب آخر يدعو كل فرد من افراد الامة الاسلامية الى المراقبة في اجرا الـقـوانين الالهية ، ووفقا لمبدا ((الامر بالمعروف والنهي المنكر)) ، يلزم الجميع بان لا يتهاونوا ويتخاذلوا في الوقوف بوجه الانحراف عن القوانين الربانية .

لـذا يقول في احد المواضيع : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اوليا بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون اللّه ورسوله) ((بة ــ ٧١)) .

وتـتـجلى الاهمية القصوى لهاتين الوظيفتين في الاية الكريمة من خلال تقديم ذكرها على الصلاة والـزكـاة واطـاعـة اللّه والـرسـول ، والسر في ذلك يقع في ان اركان الصلاة والزكاة والطاعة لاتستقيم اعمدتها من دون هذه الرقابة العامة على اجرا القوانين .

وفـي مـوضـع آخر حينما يعمد الى طرح الصفات المختصة بالمجاهدين في سبيل اللّه اولئك الذين اشـتـروا الـجـنـة مـن اللّه باموالهم وانفسهم ، يقول بعد بيان ست صفات من الصفات المتعلقة بهم : (والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود اللّه) ((ة ــ ١١٢)) .

ومـمـا يلفت النظر : انه نظرا الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراحل مختلفة تبدا من الـنـصـيـحة والارشاد والمواعظ الاخوية ، وتشق طريقهاحتى تصل الى مرحلة التشدد والحزم العملي ، بنا على ذلك فقد قسمها القرآن الى قسمين ، جعل القسم الاول في متناول الجميع ، اما القسم الـثـاني فقد جعله في متناول جماعة خاصة تمارس اعمالها تحت نظارة الحكومة الالهية ، ولذايشير الى هذا التقسيم بقوله : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون).

من البديهي ان الامة التي تاخذ على عاتقها مسؤولية الرقابة ، على اجراالقوانين ويشاطرها في هذا الـشـعـور بـالـمسؤولية كافة افراد المجتمع ، سيكون القانون في اوساطها معززا مكرما وصالحا للتطبيق في الوقت المناسب .

حـيـنـمـا نـخرج من دائرة الرقابة العامة ياتي الكلام عن الرقابة الذاتية ،والروحية والاعتقادية والوجدانية للافراد على حسن اجرا القوانين وهكذارقابة تعتبر بحق افضل انواع الرقابات وذلك لوجود الرادع الذاتي للفرد.

((الايمان بالمبدا)) اي باللّه عز وجل الذي هو حاضر في كل حين وهو اقرب الى العباد من انفسهم : (ونـحـن اقـرب الـيـه مـن حبل الوريد) ((ق ــ ١٦)) ، اللّه الذي (يعلم خائنة الاعين وماتخفي الصدور) ((فر ــ ١٩)) .

واللّه الـذي جـعـل الارض والـزمـان وحـتى اعضا بدن الانسان رقيبا عليه وشاهدا وشهيدا على افعاله ((٢٧١)) .

و((الايـمان بمحكمة القيامة الكبرى)) بحيث لو كان في صحيفة اعمال الانسان مقدار ذرة من

عمل الــخير او الشر لاحضروها امامه ، ويلاقي حسابه وجزاه : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره # ومن يعمل مثقال ذرة شرايره) ((ة ٧ ــ ٨)) .

ولــيست الامثلة السابقة هي التي تعكس اثار الايمان بالمبدا والمعادفحسب ، بل لدينا مئات الامثلة من هذه الايات في القرآن الكريم يعد الاعتقادبها من افضل الضمانات الاجرائية للقوانين الالهية .

وما ابعد الفاصلة بين من يرى نفسه مراقبا من قبل القوى الامنية والعسكرية التي لاتتجاوز اعدادها الواحد بالالف مع ماتشتمل عليه من امكانيات محدودة ونواقص كثيرة عندما تكون رقيبة على اعمال الاخــريــن ، ومــع مــاتــراه لازمــا من اتخاذ الاستعدادات الكافية من اجل الدخول في الاماكن الهامة والمنازل العامة ، مابعد الهوة بين هذا الشخص وبين من يرى نفسه في كل الاحوال والامكنة وبدون استثنا خاضعا لرقابة اللّه المستمرة والملائكة ، ويعتقد ان الموجودات من حوله وحتى اعضا بدنه ستحتفظ باعماله وتعلن عنها في حينه .

هذه الضمانة الاجرائية لا معنى لوجودها في العالم المادي اطلاقا ، ولهذاالسبب لم تتمكن الضمانات الاجــرائية الاخرى باي شكل من الاشكال ان تقف حاجزا امام المخالفات الاخرى ، في حين تنحسر هذه المخالفات القانونية في ظل الاجوا الدينية الواقعية التي يكون هذا الضامن الاجرائي فيها فعالا ، كــمــاتحقق ذلك في زمن حياة النبي الاكرم (ص) ففي ذلك الزمان لم يكن لوجودالسجون معنى على الاطــلاق ، وقــلــمــا كــانــت تــعقد المحاكم القضائية فقد كانت شكاوى الناس تتلخص بمجي بعض الاشخاص احيانا الى محضر النبي (ص)في المسجد ويطرحون دعاواهم ، فيستمعون الى الاجوبة في المكان نفسه ويخرجون مقتنعين بالحلول العادلة .

وفي الوقت الحاضر ايضا تصل الجنايات والانحرافات الى الحد الادنى في المجتمعات الدينية خاصة في المناسبات االدينية (من جملتها مناسبة شهررمضان المبارك).

سادسا :.

احيا القيم المعنوية . بالرغم من ان الوجود الانساني مركب من مادة ومعنى اي من جسم وروح ،وحياة الانسان متكونة من جانبين ، جانب مادى وجانب معنوي ، الا ان جميع القوانين في العالم المادي ناظرة الى القيم المادية ، فــاي عــمل لايصطدم مع المسائل المادية للمجتمع يعتبر جائزا ومشروعا في نظرهم ، ويدخل في هــذاالــمــضمار تصويب الكثير من القوانين المخزية والتي يبعث ذكرها على الاشمئزازوالتقزز ، والحال ان هذا الفصل لايوجه ضربة الى الشخصية الانسانية المرموقة وينزلها الى مستوى الحيوان فــحــســب ، بــل يــعرض نفس القيم المادية للخطرايضا ، وذلك لعدم امكانية الفصل عمليا بين هذين الامرين .

وانــطــلاقا من كون القرآن منسجما مع الخلقة والفطرة الانسانية فهو ياخذبالاعتبار كلا من القيم الــمــاديــة والمعنوية معا ، فحينما يتطرق في حديثه الى اختيار الزوجة يقول : (الزاني

لاينكح الا زانية او مشركة والزانية لاينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) ((نور ــ ٣)) .

ويــقــول ايضا : (قل لايستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا اللّه يا اولي الالباب لعلكم تفلحون) ((ة ــ ١٠٠)) .

من الواضح ان ذكر الخبيث والطيب في هذه الاية اما ناظر الى الطهارة المعنوية وعدمها ، واما ناظر على الاقل الى العموم فيشمل المعنى المادي والمعنوي معا ، لذا فان تكاثر الاوبئة وانتشار الموبقات لايمكن ان يكون دليلاعلى مشروعيتهم وحقانيتهم .

وتــتــبلور هذه المسالة اكثر في القوانين والدساتير المرتبطة بالزواج خاصة لانه يحدث كثيرا ان يقع كل من الجمال الظاهري والمعنوي على طرفي نقيض ،فيقترن جمال الظاهر مع تلوث الباطن ، وحــســن الــبــاطــن مع عدم جمال الظاهر ففي هذه الحالة يرجح القرآن الكفة الثقيلة لجمال الباطن وجــاذبية الروح والاخلاق والايمان فيقول : (ولا تنكحوا المشركات حت ى يؤمن ولا مة خيرمن مــشــركــة ولــو اعــجبتكم ولا تنكحوا المشركين حت ى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى الن ار واللّه يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه) ((ة ــ ٢٢١)) .

مــن الــمؤسف حقا ان تجاهل القيم المعنوية في وضع القوانين والمقررات الاجتماعية في عالم اليوم اصــبح من العوامل المهمة للكثير من الماسي والويلات ، علاوة على ان هؤلا لايجدون الطريق الى هذه القيم في الواقع ، لان الاعتراف بهذه القيم لايتم بدون الاستناد الى رؤية معنوية للكون تقيم وزنا لــهــاوتــحتفظ بقيمتها ، لذا اصبح العالم المادي عاجزا عن الوصول اليها ، ومايشاهدحاليا في المتون الــقــانــونية لعالم اليوم من قبيل حقوق الانسان مثلا فهو الاخرعرضة للتفاسير المختلفة دائما ، او مــبــرر لــتــوجيه الابتزازات المادية ، وغطاللتستر على الاهداف اللامشروعة المنافية للاصول المنسجمة مع الانسانية في كل الحالات .

سابعا :.

الاصول الثابتة والمتغيرة . مــن الــمــعلوم لدينا ان مسلمي العالم يعتقدون من خلال ما استلهموه من القران والاحاديث الاسلامية الــمعتبرة ان نبي الاسلام هو خاتم الانبيا ، وان الدين الاسلامي هو الدين الخالد ، ومع التسليم بهذا الاعــتــقاد يبرز هذا السؤال وهو : كيف يمكن الحفاظ على بقا الاحكام والمقررات الثابتة والخالدة مــع حــدوث التغييرات المستمرة للحياة الاجتماعية للجنس البشري ، وكيف يتم حصول المتطلبات المتغيرة مع وجود قوانين ثابتة .

ان الــقوانين القرآنية عالجت هذه المشكلة وذلك من خلال تصنيف القرآن لهذه القوانين الى صنفين : الصنف الاول منها هي القوانين الكلية التي اصلهاثابت ومصداقها وموضوعها

الخارجي في تغير وتبدل مع مرور الزمان ،والصنف الثاني منها هي القوانين الخاصة والجزئية بالاصطلاح وهي غير قابلة للتغيير.

وتوضيح ذلك : يؤخذ من خلال ما خاطب به القرآن المؤمنين بقوله :(يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) ((٢٧٢)) .

هذه هي احدى الاصول الكلية السائدة في على مر القرون الازمنة ، وان كان موضوعها ومصداقها في حالة تغير وتبدل ، فمثلا ظهرت مع مرور الزمن سلسلة من الارتباطات الحقوقية الجديدة والاتفاقيات المستحدثة بين اوساطالناس لم يسبق لها وجود في عصر نزول القرآن ، فعلى سبيل المثال لم يكن يبدو للعيان شي اسمه ((التامين)) ، او انواع الشركات المختلفة في ذلك الزمن ،والتي تحققت في عصرنا هذا حسب حصول المتطلبات اليومية ، بيد ان القانون الكلي الانف الذكر قد شمل كل هذه الامور ، فاي شكل من اشكال الاتفاقية والمعاملة الجديدة والعقود والمواثيق الدولية ، التي تظهر على مسرح الوجودحسب المتطلبات الى نهاية العالم وتكون منسجمة مع الاتفاقيات الاسلامية يقع ضمن هذا الشمول ، ونجد قسطا وافرا من هذه القوانين في الاسلام بصورة عامة والقرآن بصورة خاصة .

نطالع في سورة الحج آية ٧٨ قوله عز من قائل : (وما جعل عليكم في الدين من حرج).

بنا على ذلك اذا تعذ ر ادا احدى التكاليف الاسلامية في ظروف خاصة فانها تخرج من دائرة الوجوب والالزام تلقائيا ، فيتبدل الوضؤ في ظروف قاسية الى التيمم ، والصلاة من وقوف الى الصلاة من جلوس ، والصلاة من جلوس الى الصلاة من الاضطجاع ، ويتبدل صوم الادا الى صوم القضا ، ويرتفع الحج في مثل هذه الظروف .

وردت اشارات الى ((قاعدة لاضرر)) في موارد خاصة من آيات قرآنية متعددة تدل على محظورية الامور التي تلحق الضرر والاذى بشكل او بخر ،ولذلك تحدد وتضيق دائرة الاحكام والمقررات التي بينت على شكل حكم عام حينما تصل الى موارد الضرر والحرج .

يقول القرآن في مورد النسا المطلقات : (ولا تضار وهن) ((طلاق ــ ٦)) ويقول في موضع آخر : (ولا تمسكوهن ضرارا) ((ة ــ ٢٣١)) ويقول في مورد الوصية :(من بعد وصى ة يوصى بها او دين غير مضار) ((سا ــ ١٢)) .

ويقول في مورد الشهود وكتاب السندات : (ولا يضار كاتب ولا شهيد) ((ة ــ ٢٨٢)) .

ان هذه القاعدة المطروحة بشكل اكثر تفصيلا في الروايات الاسلامية تعتبرمن القواعد المهمة التي تقوم بتطبيق الاحكام الاسلامية (من خلال التغيرات الطارئة على الموضوعات) ، على الاحتياجات والضروريات الواقعية لكل زمان ، وقد تم شرح ذلك في كتب ((القواعد الفقهية)) ، وعلى اي حال فان من الشواهد الاخرى لهذا المدعى هي : ((قاعدة العدل والانصاف)) ، وقاعدة : ((عدم تكليف مالا يطاق)) ، وقاعدة : ((المقابلة بالمثل

)) ، في المسائل المتعلقة بالجنايات والقصاص والاضرار المالية ، وكلها لها جذور قرآنية ، خلاصة الكلام :انطلاقا من ((خاتمية نبوة نبي الاسلام (ص) وفقا للاية ٤٠ من سورة الاحزاب))واستمرارية القرآن الكريم ، فان القوانين القرآنية طرحت من الدقة بمكان بحيث لم تسنح لظروف الزمان وتحولات الظروف والمتطلبات البشرية ان يعف عليهاالتراب ويغطيها غبار الزمن الغابر.

وفي الوقت التي كانت تسد الاحتياجات القانونية لعصر النبي (ص) الذي هو عصر نزول القرآن كانت ناظرة ايضا الى الازمنة والقرون الاتية ، ومن الامثلة الرائعة والجلية هو مانلاحظه في الاية المتضمنة لمفهوم (اعداد القوى) وتعبئتهاحفاظا على بيضة الاسلام والمسلمين : (واعد وا لهم ماستطعتم من قو ة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو اللّه وعدو كم) ((ال ــ ٦٠)) .

فمن جهة يضع بصماته على المستلزمات الضرورية لذلك العصر ويتحدث عن الخيول المجربة ، ولكن من جهة اخرى ينوه على اصل عام يتوافق مع ذلك العصر ، ومع كل عصر حتى قيام الساعة ، وهذا الاصل هو تهيئة شتى انواع القوى والقدرات التي تشمل كافة الوسائل القديمة والحالية والمستقبلية .

واروع ماقاله في هذه الاية هو هذا المعنى : ان الغاية من كل هذه الامور هوالقا الرعب في قلوب الاعدا ليقف ذلك حاجزا دون وقوع الاعتدا والحرب ،لا ان يؤدي ذلك الى مزيد من اراقة الدما.

٦.

الاعجاز القرآني من جهة الاخبار الغيبية . ٦.

الاعجاز القرآني من جهة الاخبار الغيبية . اشارة وتنبيه :.

بالرغم من وجود اصول وجذور للحوادث المستقبلية في الماضي والحاضر الا انه لن يستطيع احد ان يرفع الستار بدقة عن الحوادث المستقبلية ،وبالرغم من ارادة الانسان وعزمه المستمر في التعرف والاطلاع على الحوادث المستقبلية ، والمساعي الكثيرة التي بذلها في هذا الطريق ، الا انه لم يصل الى وسيلة ناجحة ترفع الحجب الكثيفة بينه وبين المستقبل .

ان هذا التعلق الانساني الشديد بالنسبة الى الاطلاع على الحوادث المستقبلية هو الذي بعث الحماس والحمية في سوق الكهان والمنجمين الخرافيين ، بل حتى الذين يقراون الطالع والفال ، وهؤلا بدورهم كانوايستثمرون حالة النهم والولع لدى الناس بالاستفادة من الاعيبهم وخدعهم الماكرة ، ويسلونهم بسلسلة من العبارات المبهمة او الاقاويل المملة التي كانت يتمكن كل شخص ان يطبقها على مراده ومقصوده بسهولة ، وكانوا يكسبون المنافع والارباح من هذا الطريق .

وفي يومنا هذا ايضا تحصل نبؤات كثيرة في عالم السياسة وغيره ترمي الوصول الى اهداف

خاصة غالبا ، وهي جز لايتجزا من المخطط السياسي للدول ، لكن الكثير منها لايتحقق في الخارج ويخالف ما هو عليه واقعا.

والجدير بالذكر ان هذه الاقاويل الخاطئة لاتقف مانعا امام التنبؤات المستقبلية في مثل هذا النوع من المسائل ايضا ، بيد ان الحقيقة التي لايمكن التعتيم عليها هي لو ان شخصا عمد الى بيان الامور المستقبلية بدقة وبكل تفاصيلها (لا بصورة طرح المعاني الكلية والبيانات المبهمة والعبارات المتضاربة) فهذا ان دل على شي فانما يدل على انه مطلع على اسرار الغيب بصورة اجمالية ، واذا تكرر وقوع هذا التنبؤ وكان متقارنا مع دعوى النبوة اوالامامة فحينئذ يمكن التعويل عليه بصفته احد البراهين والادلة .

من خلال هذه الاشارة نعود مرة اخرى لنبحث امثلة كثيرة من هذا القبيل في القرآن الكريم :.

١ ــ (الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم مرن بعدغلبهم سيغلبون # في بضع سنين للّه الامر من قبل ومن بعد ويومئذيفرح المؤمنون # بنصر اللّه ينصر من يشا وهو العزيزالرحيم # وعد اللّه لايخلف اللّه وعده ولكن اكثر الن اس لايعلمون) ((م ١ ــ ٦)) .

٢ ــ (لقد صدق اللّه رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شا اللّه آمنين محل قين رؤوسكم ومقص رين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) ((سورة الفتح ــ ٢٧)).

٣ ــ (وعدكم الل ه مغانم كثيرة تاخذونها فعج ل لكم هذه وكف ايدي الن اس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهدى كم صراطامستقيما #واخرى لم تقدروا عليها قد احاط الل ه بها وكان الل ه على كل شي قديرا) ((٢٠ ــ ٢١)) .

٤ ــ (ام يقولون نحن جميع منتصر # سيهزم الجمع ويول ون الدبر) ((٤٤ ــ ٤٥)) .

٥ ــ (واذ يعدكم الل ه احدى الطائفتين انها لكم وتود ون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد اللّه ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابرالكافرين # ليحق الحق ويبطل الباطل ولوكره المجرمون) ((ل ٧ ــ ٨)) .

٦ ــ (ان ال ذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) ((صص ــ ٨٥)) .

٧ ــ (تبت يدا ابي لهب وتب مااغنى عنه ماله وما كسب #سيصلى نارا ذات لهب))((سورة تبت ١ ــ ٣)).

٨ ــ (ان ا اعطيناك الكوثر # فصل لربك وانحر # ان شانئك هوالابتر) ((سورة الكوثر ١ ــ ٣)).

٩ ــ (لن يضر وكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبارثم لاينصرون) ((ن ــ ١١١)) .

١٠ ــ (ضربت عليهم الذل ة اين ماثقفوا الا بحبل من اللّه وحبل من الن اس) ((سورة آل عمران ــ ١١٢)).

الاخبار عن هزيمة الاعدا في اقل من عشر سنين . ١.

فـــي الايـــة الاولى اخبار عن هزيمة الروميين (غلبت الروم) ، ثم يتحدث بعدذلك عن محل وقوع هـــذه الـــحـــادثـــة فـــيقول : (في ادنى الارض) ، والمقصود منهااراضي الشام بحد ذاتهااي (المنطقة الواقعة بين بصرى واذرعات) ، وهي داخلة ضمن دائرة الروم الشرقية ، وكانت تعتبر من المناطق القريبة بالنسبة الى سكان الجزيرة العربية .

وقـــعت هذه الحرب على حد قول احد المؤرخين المعاصرين في عهد((خسرو برويز)) ، وكانت حـــرب طـــويـــلة الامد بين الايرانيين والروميين ، وحدثت في حدود سنة ٦١٧ م حينما هجم على حـــوزة الـــروم الـــشـــرقـــيـــة اثـــنـــان مـــن الـــقـــوادالايـــرانـــيين المعروفين يدعى احدهما ((شهر بـــراز)) ((٢٧٣)) والاخـــر ((شاهين))وهزموهم هزيمة نكرا ، بحيث اضحت منطقة الشامات ومـــصـــر الـــصـــغـــرى مـــسرحا لجولاتهم وصولاتهم ، واوصلوا امبراطورية الروم الشرقية التي وقـــعـــت ضحية لهزيمة ساحقة على اعتاب الانقراض والزوال ، ولذا تمكن الايرانيون من السيطرة على كافة مقدرات االروم في اسيا اضافة الى مصر حدثت هذه الواقعة في حدود السنة السابعة لبعثة النبي الاكرم (ص) في مكة .

وفـــرح اعدا الاسلام والمشركون في مكة بهذه الواقعة وتفالوا بها خيراواستدلوا على حقانية دين الشرك فقالوا : ان الايرانيين ((مجوس)) ومشركون ((وثنيون)) اما الروميون فهم مسيحيون اهل كـــتـــاب ، فـــكـــمـــا تـــغـــلب الايرانيون على الروميين ، سيكون النصر حليفنا ايضا نحن المشركين ، وستطوى صحيفة حياة محمد (ص) وتكون الغلبة لنا ولمعتقداتنا.

ان هـــذا الـــنـــوع من الاستنتاج والتفاؤل وان لم يستند الى اي قاعدة منطقية ،الا انه لم يخل من تاثير اعلامي في جو ذلك المحيط ، ولهذا السبب كان تاثيره شديد الوطاة على المسلمين .

ويضيف القرآن تعقيبا على الاية السابقة : اعلموا ان هذه الغلبة للفرس لاتدوم زمنا طويلا (وهم من بـــعد غلبهم سيغلبون) اي الروم ، ثم يشير الى الجزئيات بعد ذلك بقوله : (في بضع سنين للّه الامر من قبل ومن بعد ويومئذيفرح المؤمنون).

الا ان هـــذا الفرح والسرور ليس قائما على اساس التفاؤل بالخير بالنسبة لغلبة الاسلام على الشرك فحسب ، بل السبب الاساسي لغبطتهم هذه هوحصولهم على المدد الالهي (بالنصرة على مجموعة من الاعدا في محيطهم الداخلي) (بنصر اللّه ينصر من يشا وهو العزيز الرحيم).

ومـــن اجـــل تـــرســـيخ هذا المعنى اكثر ، وازالة اي لون من الوان الشك والتردد ،يقول : (وعد اللّه لايخلف اللّه وعده ولكن اكثر الن اس لايعلمون).

ان هـــذا الـــتـــنـــبؤ العجيب المشتمل على ذكر الجزئيات ، والذي يخبر عن احدالمسائل العسكرية والسياسية المهمة ، كيف يمكن له ان يتحقق بدون الاحاطة باسرار الغيب ؟.

فــمن جهة يخبر عن اصل وقوع الانتصار للروميين المندحرين الذين وصل بهم الاحباط والهزيمة الى حد الانقراض وفقدوا مساحة شاسعة من ارض بلادهم ، ولم يعد هناك امل بان يستعيدوا قواهم ويثبتوا كيانهم بهذه السهولة ،ومن جهة اخرى يصرح بان هذا الامر سيتحقق في بضعة اعوام .

ويــضــيف على ذلك بقوله : ان هذا سيقترن بنصر آخر للمسلمين على الكفار ، وفضلا عن ذلك كله يؤكد تاكيدا قاطعا على ان هذا الوعد الالهي حتمي الوقوع وان اللّه لن يخلف وعده .

ونــرى : ان هــذا الــوعد تحقق فعلا بكل جزئياته ، فقام ملك الروم ((هرقل))بالحاق الهزيمة تلو الــهــزيمة بمعسكر ((خسرو برويز)) في سنة ٦٢٦ م اي بعد ٩سنوات تقريبا حيث كانت نتائج هــذه الــحــروب لصالح الروميين الى سنة ٦١٧ م وحققوا النصر الكامل والشامل ، واصيب خسرو برويز بالفشل الذريع فازاحه الايرانيون من على دست الحكم واجلسوا مكانه ابنه ((شيرويه)).

خــلاصــة الكلام : ان هزيمة الروميين وقعت في سنة ٦١٧ م الموافق للسنة السابعة للبعثة النبوية الــشــريــفة ، واستعاد الروميون نصرهم من جديد في سنة٦٢٦ حينما الحقوا الهزيمة ((بالجيش الــســاســانــي)) ، ووصلت هذه الهزيمة الى اوجها في السنة القادمة اي (سنة ٦٢٧) ذلك ان هرقل زحف الى ((دستجرد))الواقعة على بعد عشرين فرسخا من ((تيسفون)) عاصمة ايران وموطن ((خــســروبــرويــز)) ، واندحر ((خسرو برويز)) ولاذ بالفرار ، وعزل على اثرها من مقام الــســلطة مما ادى ذلك الى قتله ، ونجد ان الفاصلة بين هذين لم تتجاوز التسع سنوات ،وهو مطابق تــمــامــا لــمــعــنى ((بضع سنين)) ، لان ((البضع)) في قاموس اللغة وعلى حدقول الراغب : في الــمــفــردات هو بمعنى حصة من العدد عشرة ، فكل مايقع بين الثلاثة والعشرة يقال له بضع ، وقال البعض : ان البضع يطلق على العدد الذي يكون اكثر من خمسة واقل من عشرة .

وجا في معجم مقاييس اللغة ايضا ان ((البضع)) هو العدد الذي يقع بين الثلاثة والعشرة .

ومــما تجدر الاشارة اليه ان هذه النبوءة اصبحت من الامور المتعارفة والمسلمة لدى المسلمين حتى كــان الــبــعــض منهم على استعداد لان يراهن على هذه المسالة مع المشركين في مكة ، وتحقق هذا الرهان بالفعل ، وفي بداية الامر وقع الرهان على خمس سنوات ، ولما لم يتغير من الامر شي جاؤا الــى الــنبي واخبروه بحقيقة الامر ، وما جرى عليهم مع المشركين ، فقال لهم : كان ينبغي عليكم ان تــحــاوروهم على اقل من عشر سنوات ، وهكذاحصل وتحقق النصر بعد الهزيمة في اقل من عشر سنوات .

ومــن الــنــكات المهمة الاخرى هي اقتران هذا النصر بانتصار المسلمين في ((معركة بدر)) لان مــعــركــة بــدر وقــعت في السنة الثانية للهجرة ، والمقطع الزمني الفاصل بين السنة السابعة للبعثة والــســنــة الــثانية للهجرة هو تسع سنوات ــ هذا اذاماخذنا في الاعتبار

نفس السنة السابعة ايضاــ وبدونها تكون الفاصلة بينهماثمان سنوات .
من هنا كان انتصار الروميين وانتصار المسلمين متقاربين ، وفي الواقع انمافرح المسلمون لامرين ، الاول : هــو الــذي حــققه اهل الكتاب اي الرومى ون على المجوسيين الذي كان احد مشاهد انتصار الــعــبــودية للّه تعالى على الشرك ،في الوقت الذي كانت هزيمة الروم مدعاة لارتياح مشركي مكة وغبطتهم ،والاخر : هو ماحققوه من انتصار كبير على المشركين في معركة بدر.
التنبؤ عن نصرين هامين آخرين . ٢.
تــكــشــف الايــة الثانية ــ في هذا البحث ــ الستار عن اثنين من الحوادث المهمة الاخرى المرتبطة بمستقبل المسلمين الحادثة الاولى تكشف عن هذه الحقيقة للمسلمين وهي : انكم ستدخلون المسجد الحرام وتقيمون هذه الشعائر الكبرى في منتهى الامن والامان في المستقبل القريب بالرغم ممايحمله الــمــشــركون من فض واعتراض على دخول المسلمين الى المسجدالحرام وادائهم لمناسك الحج والعمرة ، والاخرى تبين هذه الحقيقة لهم وهي :ان النصر الحقيقي سيكون حليفكم قبل ذلك .
يــقــول عز من قائل : (لقد صدق اللّه رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجدالحرام ان شا اللّه آمنين محلقين رؤوسكم ومقص رين لاتخافون فعلم مالم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا).
تــخبر هذه الاية عن ان النبي رآى في منامه رؤيا تعب ر عن ان المسلمين سيدخلون المسجد الحرام لادا مناسك الزيارة لبيت اللّه .
كان البعض يتصور ان هذه الرؤيا ستتحقق مباشرة في السنة نفسها ، فعندماتوجه المسلمون الى مكة للزيارة واعترض طريقهم مشركوا مكة في الحديبية (وهي القرية التي تقع مسافة ٢٠ كيلومتر عن مــكــة واشتق اسمها من البئر اوالشجرة الموجودة فيها) مما ادى ذلك الى التوقيع على اتفاق الصلح الــمــعــروف بــصلح الحديبية ، عندئذ اخذ البعض يراوده الشك والتردد في ان لاتكون لهذه الرؤيا مــصداقية ، على مستوى الواقع ، حتى انهم بدؤا يسالون النبي (ص) في هذا المجال عن السبب ورا عــدم تــحقق هذه الرؤية الرحمانية ؟ فاكد لهم النبي (ص) على انه لم يقل : ان ذلك يتحقق في هذه الــســنــة وانما قصد وقوعه في المستقبل القريب في هذه الاثنا نزلت الاية المذكورة واول ماكدت عليه هو صدق هذه الرؤيا ، ثم اشارت بعد ذلك الى الجزئيات وقالت : انكم ستدخلون المسجد الحرام قــريــبــا وتــؤدون مــناسك الحج بكل حرية واطمئنان ،كما ان النصر سيكون حليفكم قبل ادا هذه المناسك ، وتحققت هذه النبؤة وفقا لما ذكرها جميع المؤرخين ، واستطاع جمع غفير من المسلمين ان يــؤدوامــنــاســك الــعمرة في السنة التالية لواقعة ((الحديبية)) وهي (السنة السابعة للهجرة) ،وســمــيت هذه المناسك (عمرة القضا) لانها في الواقع قضا للعمرة التي ارادالجميع ان يؤديها في السنة الماضية .

نخرج من كل ماقيل سابقا لهذه النتيجة : انه قد تم الاعلان بقوة وحزم في هذا المقطع من الايات عن مسالة غير متوقعة الحدوث ، والتي كانت موردا من موارد مثار الاختلاف ونزاع شديد بين المسلمين والمشركين ، كما اشير فيها الى التفاصيل ايضا بالاضافة الى ماحصل فيه من تنبؤ عن اقتران ذلك بنصر آخرللمسلمين ، وهذا في حد ذاته بيان مضاعف فيما يرتبط بهذا التنب ؤالهام .

هناك بحث ونقاش بين المفسرين حول المقصود ((بالفتح القريب)) فقدتحقق للمسلمين على مقربة من هذه الواقعة ، احدهما هو صلح الحديبية الذي كان من دواعي الانفتاح ، والاخر هو ((فتح خيبر)) الذي تحقق في اوائل السنة السابعة للهجرة ، اي بعد واقعة الحديبية بعدة اشهر ، والظاهر ان ((الفتح القريب))هو اشارة الى الواقعة الثانية كما ذهب اليه الكثير من المحققين ، ذلك انه يقول في الاية ١٩ من سورة الفتح : (مغانم كثيرة ياخذونها وكان اللّه عزيزاحكيما).

صحيح ان للغنيمة مفهوما واسعا وشاملا لكل انواع الغنيمة المادية والمعنوية ، ولكن المتبادر في مثل هذه الموارد هو معنى الغنائم الظاهرية في الاعم الاغلب ، ومما نعلمه ان الغنائم الظاهرية كانت موجودة في ((فتح خيبر)) لافي صلح الحديبية .

اذا يمكن الخروج بهذه النتيجة بوضوح وهي : ان مثل هذه التنبؤات الدقيقة ، والصادرة بكل قاطعية وجدية ، وبدون ان يشوبها الاحتمال والتردد ،لايمكن ان تتاتى الا من خلال الارتباط بعالم الغيب .

الغنائم الكثيرة في المستقبل . ٣.

يخبر القرآن في الاية الثالثة ــ تعقيبا على قضية ((صلح الحديبية)) وما تنبا به من ((عمرة القضا)) و ((فتح خيبر)) ــ عن فتوحات اخرى متتالية وحائزة على غنائم وافرة فيقول : (وعدكم اللّه مغانم كثيرة تاخذونها فعج ل لكم هذه وكف ايدي الن اس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما).

ثم يضيف الى ذلك قائلا : (واخرى لم ت قدروا عليها قد احاط اللّه بهاوكان اللّه على كل شي قديرا).

في هذه الايات ورد الاخبار عن انتصارين على الاعدا مع الحصول على غنائم كثيرة ، احدهما قصير المدى والاخر بعيد المدى .

تلك الغنائم والفتوحات التي عجز عنها المسلمون بحسب الظاهر قدجعلها اللّه في اختيارهم وطوع ارادتهم بحوله وقوته الكاملين .

وثمة نقاش واختلاف بالراي بين المفسرين في تحديد نوعية الغنائم والفتوحات ، فقد ذهب الكثير منهم الى ان المقصود من الغنائم التي يحظى بهاالمسلمون في فترة قصيرة هي ((غنائم خيبر)) ، وان احتمل البعض انها اشارة الى ((الغنائم المعنوية لصلح الحديبية)) ، الا ان هذا

الاحتمال ضعيف كما قلناه سابقا.

واما في صدد الغنائم طويلة الامد فقد ذهب الكثير من المفسرين الى انهااشارة الى انها ((غنائم حرب حنين)) وقبيلة ((هوازن)) ((٢٧٤)) ((٢٧٥)) .

واحتمل البعض ايضا انها اشارة الى الفتوحات الكبيرة القادمة نظير فتح بلاد ايران والروم واليمن ، وبالرغم من ان فتح حنين والحصول على غنائم قبيلة هوازن لم يكن مستبعدا من قبل المسلمين ، الا ان التوصل الى فتح ((ايران والروم)) وماشابهها كان بالنسبة اليهم امرا شاقا وبعيد المنال ، ولهذا حينما اعطى النبي (ص) البشارة وفقا لرواية معروفة بفتح ايران والروم واليمن في حرب الخندق بدا المنافقون يسخرون من ذلك ، والسبب في ذلك يعود الى عدم امكان تحققه من ناحية الاسباب الظاهرية ، لكن اللّه تعالى القادر على كل شي هو الذي جعل الوصول الى هذه الفتوحات ، والحصول على الغنائم الثمينة قيدالامكان والتحقق ، فكشف الستار عنها قبل التوصل اليها بسنين طويلة ، وبى نهابشكل تنبؤ صادق في الايات المتقدمة ، فيا ترى هل يمكن حصول هذه التنبؤات بدون الارتباط بعالم الغيب ؟.

التنب ؤ بالهزيمة الساحقة للاعدا. ٤.

في المقطع الرابع نقف على صورة اخرى للتنبؤ.

نزلت هذه الايات في مكة عندما كان اعدا الاسلام يسرحون في اوج قدرتهم ، في حين يشكل المسلمون من الضعف وقلة العدد.

كان الاعدا يفتخرون بقدرتهم وشوكتهم ويقولون : نحن جماعة قوية ومتحدة وسننتقم من مناوئينا وننتصر عليهم : (ام يقولون نحن جميع منتصر) ،الا ان القرآن يعقب على ذلك مباشرة بقوله : (سيهزم الجمع ويولون الدبر).

ان من المسلم له هو عدم امكان حصول التوقع والحدس بالانتصار السريع للمسلمين وكسر شوكة اعدا الاسلام في ذلك الزمان ، الا انه لم تمر فترة قصيرة من الزمن حتى هاجر المسلمون وعظمت قدرتهم وشوكتهم بحيث انهم وجهواضربة قوية ومباغته الى نحور الاعدا في اول اصطدام من نوعه مع الاعدا في ساحة معركة بدر.

الجدير بالذكر ان النبي الاكرم (ص) في يوم بدر كما جا عن ابن عباس بدابالدعا في خيمته ومن ضمن ما يدعو به انه (ص) كان يقول : (اللهم اقسم عليك بالعهد الذي عاهدته معنا) ، ثم لما خرج بلامة الحرب من الخيمة ودخل ساحة القتال تلا هذه الاية : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) اي ان الوعد الالهي سيتحقق هذا اليوم ((٢٧٦)) .

وبطبيعة الحال فقد استمرت هزائم الاعدا ونكوصهم على اعقابهم مراراوتكرارا ، وما مرت بضعة اعوام اخرى حتى اذعنت كافة اقطار ((شبه الجزيرة العربية)) ــ فضلا عن كفار مكة ــ بالتسليم والانقياد للمسلمين .

ونقل في تفسير القرطبي عن بعض المفسرين : ان هذه الاية نزلت في ميدان معركة بدر ،

في حين ان الــمعروف والمشهور هو نزول سورة القمرباجمعها في مكة ، والظاهر ان منشا الاشتباه راجع الــى نفس ماتقدمت الاشارة اليه بان النبي الاكرم (ص) كرر هذه الاية في ساحة بدر ، فكانت اشارة واضــحة الى تحقق الوعد الالهي في ذلك اليوم ، لهذا ظن البعض ان الاية نزلت في ذلك المكان ، على كل حال فهذه هي احدى التنبؤات القاطعة للقرآن التي تحققت على حين غرة في فترة قصيرة .

نبؤة اخرى عن الانتصار في معركة بدر. ٥.

يــدور الــكلام في الاية الخامسة عن احد الوعود الصريحة بالنصر الذي منه اللّه على المؤمنين من قــبــل ، يقول عز من قائل : (واذ يعدكم اللّه احدى الطائفتين ان ها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد اللّه ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين).

ثم يضيف على ذلك بقوله : (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون).

وتوضيح ذلك ان ((ابو سفيان)) سيد مكة وزعيم المشركين كان في حال عودته من الشام على راس قــافــلــة كبيرة تحمل معها اموالا تجارية تربو على الخمسين الف دينار كانت تتعلق به وبجماعة من اساطين مكة واكابرها.

واصدر رسول الاسلام (ص) امرا الى اصحابه بان يعدوا انفسهم للهجوم على القافلة ، وذلك لتحطيم جز من القدرة الاقتصادية للاعدا عن طريق مصادرة اموالهم لانهم لم ينفكوا لحظة واحدة في اظهر العدا للمسلمين وايجادالعراقيل .

اطــلع اصحاب ((ابو سفيان)) في المدينة على هذه القضية مما حدا بهم الى ايصال الخبر الى مسامع ابي سفيان .

فــلــمــا عــلم بذلك اسرع في ارسال احد الاشخاص الى مكة ليطلعهم على الخطر الكبير الذي يهدد امــوالهم وممتلكاتهم ، ولم تمض الا فترة قصيرة حتى تحركت رجالات قريش وقواتها مع سبعمائة بــعــيــر ومائة راس من الخيل ، وكان يقود عسكرهم ابو جهل ، وقد حملت هذه المسالة على محمل كــبــيــر من الجدوالخطورة بحيث اخذ زعما مكة يهددون بهدم بيت كل من يستطيع الالتحاق بجبهة الحرب ثم يمتنع عن ذلك .

من جانب اخر سلك ابو سفيان طريقا آخر لينجو من قبضة المسلمين واخذ يسير في طريق مجهول لكي يبعد نفسه عن مواطن الخطر.

ووصل ((نبي الاسلام)) مع اصحابه البالغ عددهم ٣١٣ ــ مع عدة وعتادحربي بسيط ولكن بقلوب مــمــلؤة بالايمان والعزم والارادة ــ على مقربة من منطقة بدر احد المنازل القريبة الواقعة بين مكة والمدينة ، وجاه الخبر هناك بتحرك جيش قريش المسلح من مكة الى المدينة ، فبدا يشاور اصحابه فــي ذلــك الــمكان ومايرتاونه من ملاحقة القافلة التجارية او الوقوف بوجه معسكرالاعدا ، فوافق البعض على مواجهة الاعدا الا ان البعض الاخر كان يميل باطنيا الى ملاحقة القافلة والسبب في ذلك يعود الى انهم لايجدون في انفسهم الاستعداد الكافي

لمواجهة القدرة العسكرية الهائلة للاعدا.
لكن النبي الاكرم (ص) اختارالمسلك الصحيح واصدر امرا بالتحرك باتجاه العدو ، ووصل الجيش الاسلامي الى ناحية بدر (وبدر هم اسم لبئر في تلك المنطقة من الارض نسبة الى صاحبها الاصلي المسمى بهذا الاسم اطلق على جميع هذه الارض بعد ذلك).
ان الاية السابقة ناظرة الى هذه الواقعة حيث تقول : ان اللّه وعدكم ان تكون احدى الطائفتين (جيش قريش او قافلتهم التجارية) من نصيبكم ، الا انكم احببتم الحصول على الطائفة الغير مسلحة اي القافلة التجارية ، لكن اللّه يريداظهار الحق والقضا على الكافرين .
لذا خاطب النبي المسلمين في ذلك الموضع ان اللّه تعالى قد وعدنا ان تكون احدى الطائفتين لنا وسنتحرك باتجاه جيش الاعدا ، وسننتصر عليهم واننا سنشاهد باعيننا مصرع ((ابي جهل)) ومحل قتله .
وتحقق هذا الوعد كما اراده اللّه ورسوله حيث اصطدم الجيشان مع بعضهما البعض ، فبعد حرب طاحنة وتضحيات جسيمة وردت تفاصيلها في مجمل التواريخ الاسلامية ، انتصر المسلمون وهزم مشركو مكة هزيمة مر ة بحيث خل فوا وراهم سبعين قتيلا ، وسبعين اسيرا ، ولاذ الباقون بالفرار .
وقعت هذه الحرب في اليوم السابع عشر لشهر رمضان المبارك في السنة الثانية للهجرة ، وتركت تاثيرا بالغا جدا في مسيرة التاريخ الاسلامي ، بحيث ان مجاهدي بدر كانوا يعدونها دائما من امجادهم ومثرهم العظيمة .
٦ ــ هنا يطرح هذا التساؤل وهو : هل كان من المتوقع وفقا للمقايس الاعتيادية ان يتحقق مثل هذا النصر للمسلمين بشكل او بخر؟ والجواب على ذلك ، كلا لانه :.
اولا : لم يتحرك المسلمون بنية القتال ومن الطبيعي لم تكن في حوزتهم العدة والعتاد الكافي ، لانهم كانوا بهدف الاستيلا على القافلة فاذا بهم يباغتون بجيش جرار ومسلح من قريش (طبعا في مقياس ذلك الزمان).
ثانيا : من جهة الموازنة بين القوى فقط كان المسلمون يعيشون في وضع سي في الظاهر فقد كان عددافراد جيش العدو يفوق عدد افراد المسلمين بثلاثة اضعاف ، وكانت في حوزتهم الخيول والجمال الكثيرة والمستلزمات الحربية الكافية ، في حين كان المسلمون يمتلكون فارسين اثنين فقط ، وكانت عدتهم الاساسية تتكون من ٧٠ ناقة يركبها كل واحد منهم بالتناوب .
ثالثا : كان يوجد هناك افراد اقويا وشجعان بين صفوف جيش قريش ،وكان الوازع والدافع النفسي للحرب ناشئا من احساسهم بانهم لايرون ان اموالهم وثروتهم هي المعرضة للخطر فحسب ، بل كل شي يمتلكونه هومعرض للخطر ايضا.
لكن بالرغم من ذلك كله فان اللّه وعد المسلمين بالنصر وفقا للاية الصريحة التي تقدم ذكرها،

واكد النبي على ذلك تاكيدا بالغا ايضا.

والـــجـــديـــر بالذكر انه قد ظهر على مدار هذه الحادثة قضايا مختلفة عبرت عن وجود ((امدادات غيبية)) من جملتها ان المسلمين غطوا في نوم هادي في ليلة وقعة بدر بحيث اعدتهم وعبات قواهم لـــيـــوم الـــمـــنـــازلة ، كما هطل المطر من السما ليغتسلوا ويتطهروا مما هم عليه ، ثم لتصبح الارض الـــرخـــوة الـــتـــي يـــصـــعـــب التحرك عليها صلبة ومتماسكة وصالحة للنزال ، وهذا هو ماشارت اليه الايـــات اللاحقة بالقول : (اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينز ل عليكم من السما ماليطهر كم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به .

الاقدام) ((٢٧٧)) .

مـــلـــخـــص الـــكـــلام انه يتضح جيدا من مجموع الايات المتعلقة بملحمة بدر في القرآن الكريم مدى الاضـــطـــراب والـــتـــزلزل الروحي لدى بعض المسلمين من تزايدافراد العدو وقدراته العسكرية وتفوقهم على المسلمين ، لذلك كان من الطبيعي جداالتنبؤ بهزيمة المسلمين ، لكن على الرغم من كل هذه القرائن يقول القرآن : لقد وعداللّه المسلمين بالنصر من قبل وانتصروا في نهاية المطاف .

قـــد يـــقـــال : ان هـــذه الايات نزلت بعد الانتصار في بدر كما يعبر عنه لحنها وسياقها،وعليه لايمكن اعـــتبارها جز من التنبؤات القرآنية ، الا ان الاجابة على هذا الاشكال تتضح من خلال الدقة والتامل فـــي نـــفـــس هذه الايات ، لان القرآن يقول بصراحة : ان الوعد بالنصر قد جاكم من قبل ثم تحقق هذا الوعد بعد ذلك .

الوعد بالعودة . ٦.

الوعد بالنصر قد جاكم من قبل ثم تحقق هذا الوعد بعد ذلك في الاية السادسة وهي ــ الاية ٨٥ من ســـورة القصص ــ وعد اللّه تعالى نبيه بالعودة الى الحرم الالهي الامن ، وقد جا هذا الوعد في احلك ايام حياة النبي الاكرم ، اي في الوقت الذي اراد ان يكسر طوق حصار الاعدا الحاقدين ويخرج من ضيق خناقهم ويهاجر من مكة الى المدينة .

وقد قام بهذا العمل واتجه صوب المدينة ولما وصل الى منطقة الجحفة التي لاتبعد عن مكة الا قليلا تـــذكـــر مـــوطـــنـــه الحرم الالهي الامن ، وبدت على ملامح وجهه آثار هذا الشوق الممتزج بالحزن والاســـى ، وفـــي هذا الاثنا نزلت الاية الانفة الذكر ،وابلغ على هذا النحو : (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد).

ان الـــتـــنـــبـــؤ بـــعـــودة النبي الى مكة بصورة صريحة وقاطعة غير وارد في تلك الظروف الحرجة والعصيبة عادة خصوصا مع اقرانها بنزول القرآن وبان اللّه المنزل للقرآن سيقوم بهذا العمل قطعا ، لـــكـــنـــنـــا نـــعلم ان هذا الوعد الالهي تحقق في النهاية ،وعاد النبي مع جيشه القوي المقتدر الى مكة مـــنتصرابعد عدة سنين ، واخضع الحرم الالهي الامن تحت راية

الاسلام بدون اي قتل وقتال ، وهذه هي احدى النبوءات الاعجازية للقرآن التي اخبر فيها عن المستقبل بصورة صريحة وقاطعة ، وبدون اي قيد او شرط ، هذا في الوقت الذي لم تظهر فيها القرائن والعلائم على تحقق النصراطلاقا.

يقول المرحوم الطبرسي في مجمع البيان : في الاية دلالة على صحة النبوة لانه اخبر به من غير شرط ولا استثنا وجا المخبر مطابقا للخبر ((٢٧٨)) .

ويقول الفخر الرازي في تفسيره ايضا : قال اهل التحقيق : وهذا احد مايدل على نبوته (ص) لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر ((٢٧٩)) .

واحتمل البعض في هذا المقام ان المراد من ((المعاد)) هو معاد يوم القيامة ،وهذا الاحتمال ضعيف كما نقل المحققون القول عن المفسرين ، لان المعادلايختص بنبي الاسلام حتى يوجه الخطاب اليه فقط ، بالاضافة الى ان كلمة ((لرادك))لاتتناسب نوعا ما مع معاد يوم القيامة ، لان العودة الى مكان ما هي فرع الخروج منه .

كما ان الاستناد الى نزول القرآن في جملة : ((ان الذي فرض عليك القرآن)) التي وردت قبله ، وكذلك جملة : ((قل ربي اعلم من جا بالهدى ومن هو في ظلال مبين)) التي وردت بعده ، كلاهما قرينة على ان الحديث يدور حول حقانية نبي الاسلام والقرآن ، لا حول مسالة المعاد في يوم القيامة ، فضلا عن ان هذا التفسير لايلتئم مع شان نزول الاية ايضا.

بالاضافة الى لفظة ((المعاد)) على مانقله المرحوم الطبرسي عن القتيبي هو بلدالانسان ووطنه (معاد الرجل بلده) ، لانه اينما يذهب يعد من حيث ذهب .

وتجدر الاشارة الى ان كلمة ((المعاد)) وردت مرة واحدة في القرآن الكريم وذلك في هذا الموضع الذي هو بمعنى مسقط الراس والموطن .

لم يؤت الايمان قط. ٧.

يدور الحديث في الاية السابعة حول احد المشركين المعروفين وهو ((ابو لهب))عم النبي ، وابن عبد المطلب ، وهو الشخص الوحيد الذي ورد ذكره في القرآن من بين مشركي مكة ، واكد على انه من اهل النار وفيه اشارة واضحة الى انه لن يؤت الايمان ابدا ، يقول عز من قائل : (تبت يدا ابي لهب وتب # ماأغنى عنه ماله وماكسب # سيصلى نارا ذات لهب).

وبالرغم من ان ابا سفيان كان عدوا خطيرا لكنه آمن ايمانا ظاهريا في نهاية الامر ، وآمن الكثير من الافراد الخطرين والمجرمين ايمانا ظاهريا امثال ((وحشي))قاتل حمزة ان هذا التنبؤ القاطع عن مصير شخص كـ(ابو لهب) لم يكن يتاتى من الطرق العادية ، فهذه النبؤة القرآنية لاتتاتى الا من طريق الاعجاز.

ان الكثير من مشركي مكة آمنوا ايمانا واقعيا ، والبعض آمن ايمانا ظاهريا لكن من الذين لم يؤمنوا لا في الواقع ولا في الظاهر هو : ابو لهب وزوجته ((ام جميل))شقيقة ابي سفيان ، وقد صرح القرآن بوضوح انهما لن يؤمنا ابدا ، وهذه من الاخبارالغيبية للقرآن الكريم

.

كـــيـــف يـــتاتى للقرآن ان يتحدث عن جهنمية شخص ما يمكن له ان يقف الى جانب المسلمين في نهاية الامر ، او يتظاهر بالاسلام على الاقل اذا لم يكن صادرامن عند اللّه تعالى .

يدعى ابو لهب ((عبد العزى)) (وعزى هو اسم لاحد الاصنام الكبيرة للعرب) ،وكنيته : ابو لهب ولـــعـــل اخـــتـــياره لهذه الكنية عائد الى كونه ذا وجه يطفح بالحمرة والشرر ، ولا ريب في ان هذه الايـــات نـــزلت في زمن حياة ابي لهب ، ولذا يقول : (تبت يدا ابي لهب) ، وما نقله اغلب المفسرين عن شـــان الـــنـــزول يـــدل كـــذلك على ان هذه المسالة حدثت في حياته ، وذلك حينما امر النبي بان يدعو عشيرته الاقربين الى الاسلام ويحذرهم من الكفر والشرك ، في تلك الاثنا صعد النبي الى قمة جبل مـــن جبال مكة يدعى بـــ(جبل صفا) ونادى : ياصياحا (هذه الجملة لاتستخدم الا حين الهجوم المباغت للعدو) فظن اهل مكة ان هناك هجوما عدوانيا على مكة من الخارج ، فلما اجتمعوا عند النبي قال لهم : (اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ،احذركم من عبادة الاصنام وادعوكم الى التوحيد.

فـــاســـتشاط ابو لهب غضبا وقال : ((تبا لك اما جمعتنا الا لهذا)) فعندئذ نزلت الايات الانفة الذكر ، وقالت : الموت له لانه سيكون طعمه لنار جهنم في النهاية ((٢٨٠)) .

انا اعطيناك الخير الكثير. ٨.

نطلع في المقطع الثامن من الايات وهي ((سورة الكوثر)) على ثلاث نبوءات هامة ، لانه يقول : (ان ا اعطيناك الكوثر # فصل لربك وانحر # ان شانئك هو الابتر).

ذكـــر مـــعـــظـــم الـــمفسرين شان نزول لهذه الاية ، وهي متقاربة مع بعضها البعض ومن جملتها ماقاله ((البرسوي)) في روح البيان : ((وذلك انهم (اي المشركون) زعموا حين مات ولداه القاسم وعبد اللّه (ع) بـــمـــكة ، وابراهيم بالمدينة ، ان محمدا (ص) ينقطع ذكره اذا انقطع عمره لفقدان نسله ، فـــنـــبـــه اللّه : ان الـــذي يـــنقطع ذكره هو الذي يشناه ،فاما هو فكما وصفه اللّه تعالى : (ورفعنا لك ذكـــرك) ، وذلـــك انه اعطاه نسلا باقيا على مر الزمان ، فانظر كم قتل من اهل البيت والعالم ممتلي منهم)) ((٢٨١)) .

وقال ((الطبرسي)) في ((مجمع البيان)) : قيل نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انه راى رسول اللّه (ص) يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جـــلوس في المسجد ، فلما دخل العاص قالوا : من الذي كنت تتحدث معه ؟ قال : ذلك الابتر ، وكان قـــد تـــوفى قبل ذلك عبداللّه بن رسول اللّه (ص) وهو من خديجة ، وكانوا يسمون من ليس له ابن ابترا فسمته قريش عند موت ابنه ابترا ((٢٨٢)) .

ونـــقل الفخر الرازي ستة اقوال في شان نزول هذه الاية بان عدة افراد قالوا للنبي الاكرم (ص) : انك ((ابتر)) ، وهذه السورة ناظرة الى هؤلا الاشخاص ((٢٨٣)) .

وعـــلى الرغم من انه قد ذكر افرادا متعددين ، الا ان المحتوى والمضمون واحدفي جميعها ،

وان جـــمـــيعهم كانوا يسمون النبي (ص) ((بالابتر)) حقدا وعداوة ، وقد ردعليهم القرآن باجمعهم ، لان هـــذه الاقوال الستة لاتتنافى مع بعضها البعض ، فمن المحتمل ان هذا التعبير صدر من جميعهم ، والرد القرآني ناظر اليهم جميعا.

وعـــلـــى اي حـــال فان لفظة ((الابتر)) في الاصل ، تعني قطع عضو من اعضا جسم الحيوان ، ومن الـــمتعارف انها تطلق على قطع الذنب ، ثم اطلقت بعد ذلك على الاشخاص المقطوعي النسل ، وكذلك على الذين ينقطع ذكرهم الحسن ، او يمحى من الخواطر ، والخطبة ((البترا)) ايضا تقال للخطبة التي لا تبدا باسم اللّه (او انها لاتشتمل على ذكر اللّه).

وورد في المقاييس ايضا ان ((البتر)) هو القطع ، و((السيف الباتر)) هو السيف القاطع ، ويقال لمن لا عـــقب له : ((ابتر)) اما الكوثر فهي ماخوذة من مادة الكثرة ((٢٨٤)) ،وهي نفس هذا المعنى ، ولـــها هنا في هذا المقام معنى واسع وشامل ، وهو عبارة عن الخير الكثير والبركة الكثيرة ، واحد مصاديقها البارزة هم الابنا الصالحون والسلالة الطيبة ، واجلى مصداق له هي بنت الاسلام و((سيدة نسا العالمين من الاولين والاخرين)) فاطمة الزهرا (س).

وذكر المفسرون احتمالات كثيرة لمعنى ((الكوثر)) بحيث نقل الفخر الرازي خمسة عشر قولا ، ونـــقل صاحب تفسير روح المعاني عن بعض المفسرين ستة وعشرين قولا ، واشار اليه المرحوم الـــعـــلامة الطباطبائي في ((الميزان)) ايضا ، ومن جملة التفاسير المشهورة له هو نفس ((حوض الـــكـــوثـــر)) الـــمـــتـــعـــلـــق بـــالـــنـــبـــي الاكرم (ص)والذي يرتوي منه المؤمنون عند دخولهم الى الجنة ((٢٨٥)) .

وفسره البعض ايضا بانه مقام النبوة ، او القرآن ، او نهر في الجنة ، اوالشفاعة وكما قلنا : ان لهذه الكلمة معنى واسعا وشاملا لكل هذه المعاني وغيرها ،ولا يمنع من جامعية المفهوم تعدد مصاديق هذا المفهوم ، فليس ثمة تضاد وتنافربين هذه التفاسير المتعددة .

وعلى اي حال يستكشف من هذه السورة ثلاث نبؤات هامة :.

اولا : انه يقول : (ان ا اعطيناك الخير الكثير).

ان كـــلـــمـــة ((اعـــطـــيـــنـــاك)) وان خرجت بهيئة الفعل الماضي الا انه من الممكن ان يكون من قبيل المضارع القطعي المبين بصيغة الفعل الماضي .

وهذا الخير الكثير في الحقيقة يستوعب كل الانتصارات التي حظي بهاالنبي (ص) ، والتي لم تكن متوقعة حين نزول هذه السورة .

هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار شان النزول وكلمة ((الابتر)) التي اطلقها الاعدا على النبي (ص) ، فـــيكون احد المصاديق الجلية لهذا الخير الكثير هم ((الابنا)) ، والسلالة الخيرة التي تفرعت من ابـــنـــتـــه الـــوحيدة ((فاطمة الزهرا)) ، وانتشرت في سائر انحاالكرة الارضية ، وعلى حد قول البعض : انهم ملاوا العالم في يومنا هذا ، وهذا هوالذي لم يكن متوقعا في ذلك العصر.

واشـــار الـــى هـــذا الـــمـــوضوع ــ بصراحة ــ جماعة من مفسري ابنا العامة ايضا ، من

ضمنهم الفخر الــرازي ، فالقول الثالث الذي ينقله في تفسير ((الكوثر)) هم نفس اولاده وابناه ، لان هذه السورة انــمــا نزلت ردا على من عابه (ص) بعدم الاولاد ، فالمعنى انه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان ، فــانــظــركم قتل من اهل البيت ، والعالم ممتلي منهم ، ولم يبق من بني امية في الدنيا احد يعبا به ، ثم انــظــركــم مــن الاكــابــر مــن الــعــلــمــاكالباقر والصادق والكاظم والرضا (ع) والنفس الزكية وامثالهم ((٢٨٦)) .

وجا هذا المعنى في تفسير روح المعاني ايضا : وقيل : هو اولاده (ص) لان السورة نزلت ردا على من عابه (ص) وهم والحمد للّه كثيرون قد ملاواالبسيطة ((٢٨٧)) .

مــن جــهــة ثــانية يخبر ان اعداه سيكونون ((مبتورين)) ، وبلا عقب ، وتحققت هذه النبوؤة ايضا ، ووصلت حالة التشرذم والتشتت باعدا الرسول بحيث لم يبق لهم اثرفي هذا اليوم .

ان ((ابــو ســفــيــان)) وابناؤه وعشيرة بني امية الذين كانوا من الاعدا الشرسين للاسلام اذ وقف بــعضهم بوجه النبي والبعض الاخر بوجه ابنائه كانوا في يوم من الايام جمعا غفيرا ، بحيث تجاوز عدد ذويهم وابنائهم وارحامهم عن حد الاحصا ،لكن اذا بقي لهم شي يذكر في يومنا هذا فهو مطوي في صحيفة النسيان .

يــقول الالوسي في روح المعاني : ((الابتر)) هو الذي لاعقب له ، حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر ، واما انت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة)) ((٢٨٨)) .

ان هــذه السورة وان دل شان نزولها وفقا للرواية المشهورة على ان القائل لهذاالكلام هو ((العاص بن وائل)) الذي كان من الاعدا الالدا للنبي (ص) الا انه من البديهي ان هذه السورة ليست ناظرة الى الشخص فقط ، بل ان كلمة ((شانئ))الماخوذة من مادة ((شنن)) التي هي بمعنى البغض والعداوة ، لها مفهوم واسع وشامل لكل الاعدا ، وهذا التنبؤ صادق في حقهم جميعا ، لانه لم يبق لهم ذكريؤثر ، ولا ابنا معروفون ولم يكن التكهن بهذا المعنى ممكنا في ذلك اليوم الذي كان النبي يعيش فيه في مكة ، والمسلمون في منتهى القلة .

٩ و ١٠.

اولئك لن يضروكم بشي . تستكشف عدة تنبؤات مهمة في الاية التاسعة والعاشرة من مدار البحث :.

١ ــ ((ان اهــل الــكتاب لن يتمكنوا ان يلحقوا بكم ضررا ذا بال ويهددوا وجودالاسلام والمسلمين بالخطر لان اضرارهم طفيفة وغير مؤثرة)) (لن يضروكم الا اذى).

ان كــلــمة ((اذى)) وان شملت على حد قول ((الراغب)) في ((المفردات)) كل مايلحق الضرر بــروح الانــســان وجــســمــه ومــتعلقاته لكنه نظرا الى انها وردت بصيغة الاستثنا من جملة ((لن يــضــروكم)) ، ومجيئها بصيغة النكرة ايضا ، دل ذلك على ان المقصود منهاهي الاضرار الجزئية سوا كانت مبادرة بشكل كلام جارح ، او بشكل حركات استفزازية سطحية .

ولا تتاتى هذه النبوءة المستقبلية الصريحة الا من طريق الوحي نظرا الى القوة العسكرية الهائلة التي كـــان يتمتع بها اهل الكتاب وبالاخص اليهود ، والى حالة الضعف التي يعانى منها المسلمون من الناحية الظاهرية .

٢ ــ ثـــم يـــقـــول تـــعـــالى : ان هؤلا سيكون نصيبهم الفشل والاندحار والفرار متى ماقاتلوكم واثبتوا وجودهم في ميدان النزال : (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون).

ان هـــذا الـــتنبؤ عن ان مصير اليهود وسائر اهل الكتاب هو الفشل والتراجع في كل حرب تقع بينهم وبين اصحاب النبي (ص) لم يكن الشي اليسير ويتاتى من الطرق العادية ايضا.

٣ ــ ان هـــؤلا الـــيـــهـــود لـــن يصمدوا بحال من الاحوال ، واينما وجدوا كتب عليهم الذل والهوان الا بـــالارتـــبـــاط باللّه (واعادة النظر في سلوكهم الخاطي) ، او الارتباطبالناس والتبعية لهذا وذاك : (ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من اللّه وحبل من الن اس).

وتـــحـــقـــقـــت هذه الوعود والبشائر السماوية الثلاثة في عصر النبي كما ذكره التاريخ الاسلامي ، وبالاخص ان اليهود في الحجاز اعم من ((بني قريظة)) ، و ((بني النضير)) ،و((بني قينقاع)) ، و ((يـــهـــود خيبر)) ، و((بني المصطلق)) ، وقد خسروا الجولة في نهاية الامر ، وتواروا عن مـــســـرح الحياة بعدما قاموا به من انتهاكات كثيرة ، وتحركات مثيرة ضد الاسلام ، هذا وان لم يرد الـــتـــصريح بذكر اليهود في الايات السابقة لكن يستفادمن القرائن الموجودة في هذه الاية والايات المشابهة لها (كالاية ٦١ من سورة البقرة التي ذكر فيها اسم اليهود صريحا).

ان هذين الايتين ناظرتان الى اليهود ، وبالاخص ما جا في الاية الاخيرة من ان هؤلا انما يستطيعون ان يمسحوا عن جبينهم وصحة الذل في صورتين ، الاولى : في صورة ((الرجوع الى اللّه ، وترك العصيان ، والذنب ، والفساد في الارض)) ، (الا بحبل من اللّه) ، والثانية : في صورة ((اتباع الناس والاتكال على الاخرين)) ، (وحبل من الناس).

وهذه الاية تشير الى نفس الظاهرة المشهورة في حياة اليهود الى يومنا هذا ، لان تاريخهم يفصح اما عـــن حالة الضياع والتشرد والذل ، واما عن حالة التبعية والانقيادللقوى الاخرى ، وتسخير الذات فـــي خـــدمة مقاصدهم السيئة ، (وتشاهد الحالة الاولى في العصر الاخير في عهد النازيين والحالة الاخرى في يومنا هذا).

وبالرغم مما ذكره المفسرون من احتمالات متعددة لتفسير ((حبل من اللّه وحبل من الناس)) الا ان ماتقدم ذكره آنفا هو الانسب ظاهرا ، ويمكن الاخذ ببعض تفاسيرهؤلا بعنوان مصداق لهذا المفهوم الكلي الذي ذكرناه .

.٧

الاعجاز القرآني من ناحية عدم التضاد والاختلاف . الاعجاز القرآني من ناحية عدم التضاد والاختلاف .

من الدلائل الاخرى على اعجازية القرآن الكريم ، وكونه نازلا من قبل اللّه تعالى ، هو عدم وجود التضاد والاختلاف في سائر انحائه ، في حين ان الصفة الغالبة على الظروف التي نزل فيها القرآن والمبعوث به تدلل على انه لو لم يكن صادرا من قبل اللّه لوقع فيه الاختلاف والتضاد ، بل الاختلافات والتناقضات الكثيرة ، وقداشار القرآن الى هذه الحقيقة في الاية ٨٢ من سورة النسا بقوله : (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافا كثيرا).

ويمكن الوقوف على النكتة الاساسية لهذه المسالة من خلال تحليل بسيط ،فنقول : ان الحالات الروحية لاي انسان في تغير مطرد ــ وقانون التكامل يحيطبالانسان فكرا وروحا في حالة وجود ظروف طبيعية ، وعدم حصول وضع استثنائي فهو يحدث على مر الايام والشهور والسنين تحولا مستمرا في السنة البشر وافكارهم واحاديثهم ، واذا القينا نظرة فاحصة على تصانيف احد الكت اب فسوف لن نجدهاعلى نسق واحدا اطلاقا ، بل لابد من وجود تفاوت في بداية الكتاب ونهايته ، خاصة اذا ماكان الانسان واقفا امام موجة من الاحداث الكبيرة والساخنة ، الاحداث التي تضع الحجر الاساس لاحد الانقلابات الفكرية والاجتماعية والدينية الشاملة ، فهومهما سعى واراد ان يكون كلامه على سياق ونسق واحد ، ومعطوفا على سابقة لايقوى على ذلك وخاصة اذا ماكان امى ا وناشئا في محيط متخلف جدا.

اما القران فقد نزل على حسب الاحتياجات والمتطلبات التربوية للمجتمع في ظروف وملابسات مختلفة تماما طيلة ٢٣ عاما ، فهو الكتاب الذي تحدث عن مواضيع متنوعة ، وهو ليس كسائر الكتب التي تواكب احد البحوث الاجتماعية اوالسياسية او الفلسفية او الحقوقية او التاريخية فحسب ، بل احيانا يتحدث عن التوحيد واسرار الخلقة ، واحيانا عن الاحكام والقوانين ، والاداب والسنن ، وتارة يتحدث عن الامم السابقة وقصصهم المثيرة ، وتارة اخرى عن المواعظ والنصائح ،والعبادات ، والعلاقة القائمة بين اللّه تعالى وعباده ، وعلى ضؤ قول الدكتور((غوستاولبون)) : ان الكتاب السماوي للمسلمين ــ وهو القرآن ــ لا يقتصر على التعاليم والدساتير الدينية فحسب ، بل تندرج فيه الدساتير الاجتماعية والسياسية للمسلمين ايضا.

ان مـــثل هذا الكتاب المشتمل على هذه الخصوصيات لايمكن ان يخلو من التضاد والتناقض واختلاف الاقـــوال الكثيرة عادة ، لكن عندما نرى الانسجام القائم بين اياته كلها ، وخلوها من كل الوان التضاد والاخـــتلاف والتهافت يمكننا حينئذالحدس بان هذا الكتاب ليس وليد افكار الناس ، بل هو صادر من قبل الباري تعالى ،كما بى ن القرآن نفسه هذه الحقيقة في الاية السابقة .

وبـــعـــبـــارة اخـــرى ــ ان كـــافة الموجودات المادية ــ ومن ضمنها الانسان الذي له صبغة مادية باحد الـــلـــحاظات ــ في تغ ير وتحول دائم ومطرد وتنقل هذا التغى ر الى الموجودات الدائرة حوله ، ان قـــابـــلـــيـــة التاثر والتاثير جز لا يتجزا من طبيعة الانسان ،وطبيعة اي موجود مادي آخر ، ولهذا الـــســـبـــب تتبدل افكار الانسان وارائه مع تقدم الزمن ، علاوة على ان ازدياد تجارب الانسان ورقي مـــستوى ابداعه في المسائل المختلفة يساهم في تصعيد هذا التغير ، وهذه هي التي تؤدي حتما الى الـــتـــغـــيروالتضاد واللاانسجام في المذكرات التي تعود الى سنين متمادية لاحد الاشخاص فيما لو جمعت ونسقت بعد ذلك ، واللّه القادر المتعال وحده هو الذي يكون بمعزل عن هذه التغيرات وقابلية الـــتـــاثر والتاثير فليس في كلماته تضاد ابدا وهذه هي احدى الطرق في معرفة كلام الحق وتمييزه عن كلام غيره ، حتى ان البعض من المفسرين صرحوا بانه لايقتصر الامر على عدم وجود التضاد في القرآن فحسب ، بل يتعداه الى عدم وجود التفاوت والاختلاف في درجة فصاحته وبلاغته ايضا ، ومـــن الصحيح القول بانا نجد بعض الايات القرآنية ابلغ من بعضها الاخر ، وعلى حد قول الشاعر :متى كانت ((تبت يدا)) بمنزلة ((يارض ابلعي)) ولكن هذا يتاتى عند اختلاف المقامات اي ان كل واحـــدة منها تعتبر من افضل التعابير وانسبها في مقامها الخاص بها ، ومن هذه الجهة لا يوجد تفاوت واختلاف .

سؤال :.

وهـــنـــاك ســـؤال لابـــد من طرحه وهو : اذا لم يكن هناك تضاد واختلاف في القرآن الكريم فما هو السبب من وجود ايات ناسخة وآيات منسوخة ؟.

الجواب :.

ســـبق وان قلنا في بحث الناسخ والمنسوخ في القرآن : ان الايات المنسوخة تشتمل على قرائن تدل على ان امدها المضموني قصير وسينتهي في يوم من الايام ،بمعنى وجود دواعي النسخ في مضمونها ، وبـــنـــا على هذه النكتة فلا تضاد فيهافحسب ، بل ــ علاوة على ذلك ــ يوجد فيها نوع من التناسب والتوافق بينها.

وعـــلـــى ســـبـــيـــل المثال لو اردنا ان نعد برنامجا دراسيا لمقاطع زمنية مختلفة حتى نساعد الافراد الـــدارســـين في دائرة التعليم والتربية على تخطي المراحل المختلفة ،والوصول بهم الى المرحلة الـــنهائية ، فان التغيرات الطارئة على البرامج في فترات مختلفة لا تعد بعنوان تضاد

وتناقض وذلك الوجود قرائن في متن هذه البرامج ، بل على العكس هناك نوع من التوافق والانسجام بينها.

ومـــمـــا قلناه انفا اتضح الجواب على سؤال مشابه ايضا يطرح في مورد آيات ((العام والخاص)) او ((الـــمـــطلق والمقيد)) ذلك ان الجمع بين العام والخاص عن طريق التخصيص ، وكذلك الجمع بين المطلق والمقيد هو جمع عرفي متعارف ، ولا يعدتناقضا باي شكل من الاشكال .

فمثلا لو اعلنت الحكومة بحرية التصدير بشكل مطلق ، ثم قررت وضع استثنات معينة بعد ذلك فان وجـــود هـــذه الاستثنات ليس دليلا على التضاد ،وبالاخص اذا ما تجسد هذا العمل على شكل سن ة وخـــطة معينة بحيث يقال له :حكم عام ، ثم يقومون بتقييده وتخصيصه بعد ذلك ، علاوة على انه لا يوجد حكم بدون استثنا عادة .

الى هنا نصل الى نهاية البحث في الاعجاز القرآني والصور المختلفة للاعجاز.

الخوارق الاخرى للعادات . مـــمـــا لا شـــك فـــيـــه ان لنبي الاسلام معجزات اخرى كثيرة غير القرآن الكريم ، وقداجمع كافة المسلمين في العالم على هذ المسالة ودلت عليها روايات متواترة ايضا ،وكما ان القرآن الكريم اشار الـــيـــها مرارا وتكرارا ، فذكرها تارة بشكل مجمل ومقتضب ،وتارة بشكل مفصل من خلال الاشارة والتنويه على المعجزات الخاصة .

ومما تجدر الاشارة اليه هو المقطع الاول من الاية التالية :.

١ ــ (واذا ذكروا لا يذكرون # واذا راوا اية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحرمبين).

الـــتعبير ب(راوا اية) يدل بوضوح على انهم شاهدوا معجزة او معاجز للنبي ، وبدلامن ان يؤمنوا به ابـــدوا مـــردوديـــن عـــكـــســـيـــيـــن سلبين للغاية ، الاول : هو انهم اخذوايتوسلون بمنطق الاستهزا والسخرية ، والاخر : هو انهم اعتبروا ذلك ((سحرامبينا)).

ومن المسلم ان الايات القرآنية سمعى ة وليست بصرى ة ، وعليه لا يمكن ان تكون لفظة ((الاية)) هنا ناظرة الى الايات القرآنية ، بالاضافة الى ذلك فان التعبيربـــ((السحر المبين)) يتناسب تماما مع الـــمـــعجزات وخوارق العادات ، والواقع ان اتهامهم نبي الاسلام بالسحر ، وترويجهم لهذه المسالة بشكل واسع يدل على انهم راوا منه خوارق عادات ومعجزات ، وفضلا عن ذلك كله كيف يتاتى للنبي الاكـــرم ان يـــنـــقـــل فـــي كـــتابه السماوي المعاجز الحسية لبقية الانبيا كمعجزة ((اليد البيضا)) ، و((عصا موسى)) ، والمعجزات التسعة الصادرة منه (النمل ــ ١٢) ، او المعجزات المتعددة للسيد الـــمـــســـيـــح ، نـــظـــيـــر ((احـــيـــا الاموات)) ، ((وشفا العمي الذين فقدوابصرهم منذ الولادة)) ، و((المرضى المايوس من علاجهم)) وما شابه ذلك ، وكذلك المعاجز الصادرة من ابراهيم ، وصالح ، ويـــوســـف ، وســـلـــيمان ، وداود ، والتي وردذكرها جميعا في القرآن ــ ثم لاياتي بنفسه بمعجزة حـــســـية ؟ شـــيـــئا مـــنـــهـــا في حين ان نبوته افضل النبوات ، ودينه افضل الاديان ؟ ان كل هذه القرائن ــ

مضافا الى الاية السابقة ــ تدل على انه كانت له (ص) معجزات اخرى .
بــالاضــافــة الى الاية السابقة فهناك آيات كثيرة اخرى بصدد بيان مسالة اعجاز نبي الاسلام ، وقد وردت عــن ائمة الدين روايات في تفسيرها وذكر سبب وتاريخ نزولها ،ان معاجز نبي الاسلام لا تعد ولا تحصى فعلى سبيل المثال لا الحصر نلاحظنماذج منها :.
١ ــ نــطــالــع فــي الايــة الاولــى من سورة الاسرا قوله تعالى : (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير).
لا شــك ان الذهاب من ((المسجد الحرام)) الى ((المسجد الاقصى)) ، واكثر من ذلك الصعود الى الــســمــاوات ، خــاصة في الظروف الموضوعية لذلك الزمان ، كان امرا خارقا للعادة ، بيد انه ما لم يــشــاهــد الــنــاس هذا المشهد لايمكن ان تكون له صبغة اعجازية ولا يمكن ان يقع في طريق اثبات دعــوى الــنــبــي (ص) ، الا ان الروايات الاسلامية تدل على ان الناس اطلعوا على هذه القضية عن طــريــق الاخــبــار الــتــي الــقــاهــاالــنــبي على القافلة او القوافل التي كانت تشق طريقها بين مكة والشام ((٢٨٩)) .
٢ ــ جا في ذيل الاية (٩٥) من سورة الحجر في قوله تعالى : (ان ا كفيناك المستهزئين) ، ان ستة مــجموعات (او اقل) كانت كل واحدة منها تتعامل مع نبي الاسلام بنوع من انواع الاستهزا ، وكلما انــبــرى الى دعوة الناس كانوا يسعون من خلال احاديثهم الى تفريق الناس من حواليه ، غير ان اللّه تــعــالــى ابــتــلــى كل واحد منهم ببلا معين ، ووصل الامر بهم الى ان ينشغلوا بانفسهم كثيرا بحيث نسواالنبي (ص) ((٢٩٠)) .
٣ ــ يقول تعالى في الاية (١١) من سورة المائدة : (يايها الذين امنوا اذكروا نعمة الل ه عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكــف ايديهم عنكم).
ورد فــي بــعــض الروايات الى ان هذه اشارة مستبطنة ناظرة الى المؤامرة التي دبرها ((يهود بني الــنضير)) لاغتيال نبي الاسلام ، وذلك حينما توجه النبي اليهم مع جمع من اصحابه ليتباحثوا حول الاتــفــاقــيــة الــتــي كانت معقودة بينهم بالنسبة الى دية المقتولين ، فقالوا : لا مانع من ذلك ، اجلسوا وتناولوا الطعام حتى يتحقق مرادكم ،وفي تلك الحالة كان في نيتهم ان يقوموا بحملة مباغتة ويقضوا على النبي واصحابه ،فاطلع اللّه تعالى النبي بذلك واخبر بدوره هو اصحابه ايضا وعادوا بسرعة ، ((وكانت هذه احدى معجزات النبي)) ((٢٩١)) .
٤ ــ تــعــقيبا على قوله تعالى في الاية ٤٥ من سورة الاسرا : (واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا).
ورد ان بعض الاعدا كانوا ينوون القضا على حياة النبي في حالة انشغاله بتلاوة القرآن ، فاسدل اللّه تعالى حجابا على ابصارهم يحول بينهم وبين رؤية نبيه .

وورد فـــي الـــحديث الذي نقله المرحوم الطبرسي في الاحتجاج عن علي (ع) : ان اللّه تعالى اسدل خـــمـــسة حجب على انظارهم للحيلولة بينهم وبين رؤية محمد (ص) ، وقد اشير الى هذه الحجب الخمسة في القرآن الكريم .

فـــي احـــد المواضع من (سورة يـــس آية ٩) يقول : (وجعلنا من بين ايديهم سدا) ،فهذا هو الحجاب الاول ثم يعقب بقوله : (ومن خلفهم سدا) وهذا هو الحجاب الثاني ، ثم يقول بعدها : (فاغشيناهم فهم لا يبصرون).

ثـــم انـــه يقول في آية ٤٥ من سورة الاسرا : (واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا) ، وهذا هو الحجاب الرابع .

وقـــال بـــعـــد ذلـــك فـــي سورة (يـــس) الاية ٨ : (ان ا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون) ((٢٩٢)) ، ولذا لايرون شيئا وهذا هو الحجاب الخامس .

ان هـــذه الـــحـــجـــب سوا كان لها صبغة مادية او معنوية ، فهي وقفت حاجزا امام المؤامرات المختلفة المدبرة ضد النبي ، وهذه بحد ذاتها تمثل احد المعاجز النبوية الشريفة .

٥ ــ نطالع في الاية ١٣٧ من سورة البقرة قوله تعالى : (فسيكفيكهم اللّه وهوالسميع العليم).

ان الاشـــخـــاص المحيطين علما بالتاريخ الاسلامي هم القادرون على الاطلاع على عمق مفهوم هذه الايـــة الـــتي يستشف من ظاهرها ان الاعراب المعاندين والمتعصبين الجاهليين وخاصة الاشراف من مـــشركي مكة الذين تعرضت منافعهم اللامشروعة للخطر مع ظهور الاسلام ، لم يدخروا جهدا في القضا على الاسلام والنبي الاكرم .

فـــي الـــوقت ذاته تعطي الاية التي نحن بصددها وعدا صريحا بان اللّه تعالى سوف يدفع شرورهم ، ويسفه احلامهم ، ويفشل مؤامراتهم ، وهذه من احدى النبؤات الاعجازية .

٦ ــ وردت الاشارة في الاية ٩ من سورة الاحزاب الى اعجاز آخر حدث في حرب الاحزاب يقول عـــز مـــن قـــائل : (يـــا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة اللّه عليكم اذجاتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان اللّه بما تعملون بصيرا).

ان الـــذين يطالعون قصة ((حرب الاحزاب)) في القرآن الكريم ، والروايات والتواريخ ، يجزمون على وجود بون شاسع بين المسلمين واعداهم ، فقد فرض الاعدا حصارا شديدا على المدينة بحيث اصـــبـــح سقوطها حتميا بحسب الظاهر ،ووصلت الحالة بالمسلمين الى ان يعبر القرآن عنهم بقوله : (اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلوا زلزالا شديدا).

فـــي خضم هذه الظروف هبت ــ على حين غرة ــ نسمة الرحمة الالهية ، وانقلبت الامور راسا على عقب وتتابعت فيوضات المدد الالهي على المسلمين وقذف اللّه في قلوب المشركين الرعب والفزع الشديد فتراجعوا خائبين بدون ان يحققوا عملامعينا وعادوا الى مكة .

وفـــي الـــواقـــع ان جـــمـــيع الاخبار الغيبية في القرآن التي بحثناها مفصلا في الفصل السابق ، يمكن الاســـتـــناد اليها في هذا البحث ايضا ، وذلك لان كل واحد منها يعتبرمعجزة من معاجز

نبي الاسلام ودليلا على صدق قوله وادعائه طالعوا مرة اخرى كل ماذكرناه في الفصول العشرة من بحث الاعجاز القرآني من ناحية الاخبار الغيبية ، اذكل واحدة من تلك الفصول تعتبر شاهدا على البحوث التي بين ايدينا في هذاالفصل .

واما الموارد الخاصة التي حددها القرآن ففي مقدمتها قصة شق القمر التي جاذكرها في سورة القمر من الاية ١ الى ٣ بقوله تعالى : (اقتربت الساعة وانشق القمروان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر # وكذبوا واتبعوا اهواهم وكل امرمستقر).

الكلام يقع في ان المقصود من شق القمر هل هو بعنوان معجزة من المعاجزالواقعة في هذا العالم ، او انه اشارة الى انشقاق القمر في المستقبل او في نهاية العالم بصفته احد العلائم على بداية الاخرة فالمشهور بين المسلمين هو الاحتمال الاول على حد قول الفخر الرازي :

((والمفسرون باسرهم على ان المراد ان القمر انشق وحصل فيه الانشقاق ، ودلت الاخبار على حديث الانشقاق ، وفي الصحيح خبرمشهور رواه جمع من الصحابة)) ((٢٩٣)) .

وينقل المرحوم ((الطبرسي)) ايضا حديث انشقاق القمر عن جمع كبير من صحابة النبي ، وجماعة من المفسرين ويعد المخالفين لهذه المسالة ثلاثة اشخاص فقط ، هم : (عثمان بن عطا ، عن ابيه وكذلك الحسن والبلخي) ، ثم يقول بعد ذلك :((وهذا لايصح لان المسلمين اجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ولان اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافته)) ((٢٩٤)) .

وذكر جماعة من المفسرين عبارات متشابهة لما نقلناه عن ((الطبرسي))و((الرازي)).

علاوة على ذلك فانه توجد قرائن واضحة على هذا المعنى في نفس هذه الايات من جملتها :.

١ ــ جملة ((وانشق القمر)) المذكورة بصيغة الفعل الماضي التي تدل على وقوع مثل هذا الامر ، واما كون الفعل الماضي بمعنى المضارع فانه وان ورد ذكره في مواردمعينة من القرآن الكريم ، لكن نظرا لكونه استعمالا مجازيا فهو بحاجة الى القرينة ،ولا توجد قرينة في هذا المقام .

٢ ــ ان افضل شاهد على هذا المعنى هي الاية الثانية التي تقول : (وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ، لان مشاهدة ((الاية)) و((الاعراض)) عنها ، ونسبة السحر الى النبي كلها تدل في الظاهر على وجود معجزة .

٣ ــ تخبر جملة : ((وكذبوا واتبعوا اهواهم)) في الاية الثالثة عن تكذيب هؤلاالنبي الاسلام حتى بعد مشاهدة المعجزة ، ولو لم يكن اعجازا في البين لما كان لهذه التعابير اساس من الصحة باي شكل من الاشكال .

٤ ــ بالاضافة الى ذلك فقد نقلت روايات كثيرة في مصادر الحديث الاسلامي حدوث هذا الاعجاز وصلت الى حد الشهرة والتواتر ، وقد اقر جمع من المفسرين مسالة تواتر الاخبار الواردة في شق القمر ، من جملتهم : الطبرسي ، والفخر الرازي ،والسيد قطب ، والبروسوي

في روح البيان فلا يـــمـــكن الاعراض عن هذه الايات والروايات بالاستناد الى بعض الهواجس والفرضيات البعيدة على الاطلاق .

ومـــمـــا يمكن ذكره بعنوان قرينة على وقوع هذه الحادثة في المستقبل هو اقتران قرب وقوع يوم القيامة الى جانب شق القمر حينما يقول : (اقتربت الس اعة وانشق القمر).

الا ان الذي ذهب اليه جماعة من المفسرين هو ان اقتراب يوم القيامة تحقق مع ظهور نبي الاسلام ، لاننا نقرا في الماثور عنه : ((بعثت انا والساعة لهاتين)) وقد اشارالى اصبعين متوازيين من اصابعه المباركة ((٢٩٥)) .

ولـــذا نـــقـــرا في بداية سورة الانبيا هذه الاية : (اقترب للن اس حسابهم وهم في غفلة معرضون) ، ونقرا في سورة الاحزاب آية ٦٣ : (قل انما علمها عند اللّه ومايدريك لعل الس اعة تكون قريبا) ، وذلك حينما سالوا النبي عن موعد حصول يوم القيامة .

ووفـــقـــا لـــما ورد في الروايات المشهورة فان المشركين جاؤوا الى رسول اللّه وقالوا : (اذا كنت صادقا في قولك وانك نبي حقا فاشطر القمر لنا شطرين)) ((٢٩٦)) .

ولم يمض شي من الوقت حتى اتصل احد شقي القمر بالاخر وعاد الى حالته الاولى .

وقـــد نقل الصحابي المشهور حذيفة قصة انشقاق القمر بحضور جمع من الناس في مسجد المدائن ، فلم يعترض عليه احد مع انهم ادركوا عصر النبي ، وهذا ان دل على شي فانما يدل على قطعية هذه المسالة في اوساطهم ((٢٩٧)) .

تساؤلات مختلفة حول مسالة شق القمر. فـــي قـــبـــال الايـــات الـــســـابقة ، والروايات الاسلامية المشهورة التي وردت في جميع كتب الحديث المعروفة ، وتفسير اهل السنة والشيعة يميل البعض من خلال الاستنادالى مجموعة من الاشكالات الـــى رفع اليد عن ظهور هذه الايات ، وربطها بالحوادث المختصة ببدايات يوم القيامة وبالاصطلاح ((اشراط الساعة)).

اشكال من زاوية تاريخية . ١.

من جملة الاعتراضات التي يوردها بعض البسطا والسذج على مسالة ((انشقاق القمر)) هو ان هذا الامـــر يـــنـــبغي ان يدون مع ماله من اهمية كبرى في تواريخ العالم ،والحال ان الامر ليس كذلك فلا نشاهد اثرا منها يذكر في التواريخ .

ولكن يتضح ان هذا الاعتراض غير وارد ، حيث يلزم ان تجرى عمليتا التجزئة والتحليل من جميع جوانب هذه المسالة .

ا ــ يـــنبغي الالتفات الى ان القمر قابل للرؤية دائما في نصف الكرة الارضية لا في جميعها ولهذا فان نصف الناس مستثنون من هذه القاعدة .

ب ــ ان الاكـــثرية الساحقة في نصف هذا النصف من الكرة نائمون ايضا بعدمنتصف الليل ، وعليه فان الذي يحيط علما بمثل هذه الحادثة هم ربع الناس في العالم فقط.

ج ــ لايـــبعد في المجال القابل للرؤية ايضا ان تكون مساحات شاسعة من السماضبابية ،

ويكون وجه القمر محجوبا بالسحاب .

د ــ ان الــحــوادث السماوية انما تسترعي انتباه الاشخاص في صورة كونهاكالصواعق المصحوبة بالصخب الشديد ، او كالخسوف والكسوف الكلي المستلزم لانقطاع النور بصورة تامة ولمدة طويلة نوعا ما ايضا.

ولــهــذا الــسبب قلما يطلع احد على الخسوفات الجزئية ، والكسوفات البسيطة اذالم تكن مسبوقة بــالاعــلان مــن قــبل المنجمين ، حتى ان الكثير من الناس تخفى عليهم حالة الكسوف التامة ايضا في بعض الاحيان .

ان الــعــلــما الذين يترصدون القمر والاجرام السماوية ، او الاشخاص الذين تقع اعينهم على السما صدفة ، هم فقط يمكنهم ان يطلعوا على مثل هذه الحادثة ويخبروا عنها من لم يرها من الناس .

ولذا فان مثل هذه الحادثة القصيرة الامد لاتسترعي انتباه جميع الناس في العالم ، لا سيما ان مجتمع ذلك العصر لم يبد الاهتمام المطلوب بالاجرام السماوية .

هــ ــ بــالاضــافة الى ان الوسائل اللازمة لتدوين المطالب في التاريخ ونشرها كانت محدودة في ذلك الــزمان ، وحتى الافراد المتعلمون كانوا قليلين جدا ، وكانت الكتب جميعها خطية ، ولم تكن تنشر الــحــوادث الــمــهمة بواسطة الاجهزة الصوتية والمرئية والصحف المحلية في جميع انحا العالم ، وتسجل في جميع التواريخ كما هو الحال في يومنا هذا.

واستنادا الى هذه النقاط لا ينبغي الاستغراب من عدم ذكر هذه الحادثة فى التواريخ غير الاسلامية ، واعتبار ذلك دليلا على نفيها.

من زاوية علمية . ٢.

اســتنادا الى ((هياة بطليموس)) التي ترى ان الارض هي مركز العالم والافلاك التسعة المحيطة باطرافها على شاكلة طبقات قشرة البصل ، وكانت تعتقد ان هذه الافلاك كالجسم البلوري المرتبط بــعــضــه بــبــعض ، والنجوم والاجرام السماوية مندكة في قلب الافلاك ، وتدور مساوقة لحركة الافلاك ، واي نوع من انواع الخرق والالتئام في الافلاك محال ، لهذا السبب انكر اتباع هذه العقيدة كلا من ((المعراج الجسماني)) ، و ((انشقاق القمر)) معا ، ذلك ان كليهما يوجب الخرق والالتئام في الافلاك الا انــه لم يعد هناك ارضية لهذا الكلام في يومنا هذا بعد ان طويت فرضية الهياة لبطليموس في ملف الاساطير والخرافات وثبت بطلان الافلاك التسعة من الناحية العلمية والحسية .

وقــد يــقــال : لــيس من السهل تحقق مسالة انشقاق القمر بمنظار العلم الحديث ايضا ، لان هذه الكرة ((مساحة القمر)) وان كانت خمس الكرة الارضية الا انها مع ذلك كرة عظيمة ، ووقوع الانشقاق والانفجار فيها بحاجة الى عامل قوي جدا ، والجواب على هذا الاشكال واضح في نظر اهل التوحيد ، اذ لــم يــدع احد بحدوث ((انشقاق القمر)) من جرا احدى العوامل

الطبيعية ، بل كان يعزي سبب حدوث ذلك الى الاعجاز مستندا الى القدرة اللامتناهية للباري عز وجل .

ولا يخفى عليكم ان اللّه لا يصعب عليه انشقاق القمر ، بل ان ايجاد المنظومات والمجرات الاخرى كلها منقادة لارادته ومشيئته ايضا ، ذلك اللّه الذي احدث الانفجار الاول في قلب الشمس منذ البداية ، وفصل عنها السيارات الكبيرة للمنظومة الشمسية ، فقذفت كل واحدة منها في ناحية من النواحي وبدات تدورحولها ، اجل ، ان من بيده كل شي وقادر على كل شي لقادررر على اثبات نبوة نبيه ، وذلك ان يحدث في لحظة من اللحظات مثل هذا الانفجار ثم الالتئام في كرة القمر التي هي لا تساوي شيئا امام قدرته تعالى .

ان الذين يستهينون بالقدرة الالهية ــ والعياذ باللّه ــ او لم يحيطوا علما بحدوث المنظومات السماوية الكبيرة على اثر الانفجارات المتتابعة ، هم فقط الذين يثيرون الاشكالات على هذا النوع من المسائل .

انشقاق القمر بمنظار الايات . ٣.

يقولون ان ايات في القرآن الكريم تدل على ان نبي الاسلام (ص) لم يمتلك معجزة سوى القرآن : واستدل هؤلا على اثبات فكرتهم بالاية ٥٩ من سورة الاسراالتي تقول : (وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون) ، وكذلك تشبثوابالاية ٩٠ الى ٩٣ من سورة الاسرا وذلك استنادا الى ان جماعة طلبوا من النبي طلبات مختلفة فتارة قالوا : لا نؤمن الا ان تفجر لنا نبعا من هذه البقعة من الارض (الجردا القاحلة) ، وتارة اخرى قالوا : لا نؤمن لك الا ان يكون في حوزتك بستان كبير من اشجار النخل والعنب وتجري من خلاله الانهار ، او تنزل على رؤوسنا ــ كماتدعي ــ الاحجار السماوية ، او تحضر لنا اللّه وملائكته ، او تمتلك بيتا من الذهب ،مليئا بالرسوم والنقوش ، او تصعد الى السما ، ولا نكتف بذلك الا ان تاتينا بكتاب من قبل اللّه تعالى ، فما كان جواب النبي الاكرم على مطالبهم الا ان قال : (سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) ، وعلى ضؤ جوابه (ص) ادعى اولئك المرتابون بانه لم يقدم على اي معجزة .

الجواب :.

ان الالتفات الى الكلمة التي وردت في اقوال جمع من المفسرين الكبار توضح الجواب على هذا الاشكال وهي : ان المعجزات على نوعين :.

النوع الاول : هي المعجزات الضرورية لاثبات صدق دعوى النبي ، وترغيب الناس الى الايمان ، وتخويف المنكرين ، وهي المعاجز المنطقية لناشدي الحق والباحثين عن الحقيقة ، بحيث يعبر القرآن في ذيل الاية الاولى منها بقوله : (ومانرسل بالايات الا تخويفا) ، (سورة الاسرا : ٥٩).

النوع الثاني من المعجزات : هي المعجزات التي تسمى بـ((الاقتراحية)) ، اي المعجزات

التي يطالب بها المتعل لون لا لاجل سلوك سبيل الحق واليقين بصدق دعوى النبوة ومن ثم الايمان واعتناق الاسلام ، وانما بقصد تعجيز الطرف الاخر فان وجدوا به قدرة على ذلك اتهموه بالسحر.

والانـــبـــيـــا كانوا يتجهون صوب القسم الاول ولا يستسلمون اطلاقا لمقترحات المتعللين والمعاجز الاقتراحية .

يـــشير لحن الايات ٩٠ ــ ٩٣ من سورة الاسرا بشكل واضح الى ان هذه المطاليب العجيبة والغريبة والـــمـــتـــهـــافـــتة لمشركي العرب لم يكن منشؤها هو البحث عن الحقيقة ، بل الغاية منها هي اختلاق الاعـــذار والـــتـــشكيك في نبوة نبي الاسلام وارسا دعائم الشرك والصنمية ، ولذا لم يتمعنوا النظر حـــتـــى فـــي مـــفـــهوم كلامهم ،فمن ضمن مطالبهم مثلا انهم يطلبون معجزة من المعاجز التي تبيدهم ((كـــنـــزول الاحـــجـــار الـــســـمـــاوية على روؤسهم)) ، وتارة يطلبون معجزة كمعجزة (الصعود الـــى الـــســـما) ، ثم ينفون ذلك مباشرة ويقولون : نحن لا نؤمن بذلك حتى تبعث لنا كتابا من قبل اللّه ، وتـــارة يطلبون الامور المستحيلة كقولهم : ان تاتينا باللّه والملائكة ، والحال ان اللّه ليس له مكان ، وليس بجسم ولا جسماني .

ثم اذا كان الهدف هو التوصل الى معرفة حقانية النبي فلم يطلبون ست معاجزمختلفة ؟ اليس المورد الواحد منها كافيا ؟.

من هنا لم يتسن لاي نبي ان يستسلم لهذا النوع من الاراجيف والاباطيل ، فضلاعن ان الاعجاز ليس من شان النبي واختياره ، وانما هو من شان اللّه تعالى واختياره .

ان الـــنـــبي بامكانه ان يطلب المعجزة من اللّه واللّه تعالى يضع بين يديه اي موردیراه صالحا ، ولهذا نـــقـــرا في ذيل الايات ٩٠ ــ ٩٣ من سورة الاسرا هذا المعنى : (قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) وكذا في سورة الرعد آية ٣٨ : (وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن اللّه).

وامـــا قـــوله : نحن لن نستسلم لمطاليبكم لان الاولين كذبوا ذلك فهذا يدعو الى هذا التساؤل وهو : كيف يجوز ان يكون تكذيب الاولين سببا لحرمان الاجيال المتعاقبة من مشاهدة المعجزات ؟ فالاجابة عـــليه تكمن في كون هذه العبارة متداولة وذلك بان يقال للشخص العنيد الذي لا نريد ان نستسلم له : ان اقتراحك لم يكن وجيها وقد سبق لغيرك ان اقترحه ، ولم يرضخ للحق .

بـــعـــبـــارة اخـــرى ان الـــمـــعـــاجز التي تقترحونها لا تستند الى اساس البحث عن الحقيقة ، وانما هي ((اقتراحية)) وتعللية ، ولو نفذت طلباتكم لما آمنتم ايضا ، فقدسبق لافراد مثلكم في الامم الغابرة ان طلبوا اظهار معاجز ثم كذبوها بعدما شاهدوها.

مـــلخص الكلام هو ان من الصحيح القول : بان القرآن لوحده معجزة خالدة ، ولولم يكن هناك

معجزة اخــرى ســوى هذه المعجزة للنبي لاستطاعت ان تكون شاهداعلى صدقه ، ولكن هذا لايدل على ان الــنبي لم يمتلك معجزات جسمانية ومادية غير هذه المعاجز الروحية والمعنوية ، بل ذهبت الايات والــروايــات والــتــواريخ الاسلامية وسيرة النبي الى القول : بانه كان يمتلك ذلك ، ولا شك في ان انــضــمــام الــمعجزات المحسوسة والمادية الى تلك المعجزة المعنوية الكبيرة يظهر حقانية الدعوة النبوية بصورة اجلى واوضح .

تجميع القرائن طريق آخر للاطمئنان . تمهيد :.

خــلافــا لما يظن البعض فان سبيل اثبات صدق دعوى النبوة ليست قضية المعجزات فقط ، بل احيانا تثبت عن طريق تجميع القرائن المتعلقة بحياة ذلك النبي ، وصفاته وخصائصه الاخلاقية والعملية ، ومــضمون الدعوة وبرامجهاالمستخدمة يمكن الحصول على سند واضح قد يعادل اقوى المعجزات بل احيانايتقدم تلك المعجزات ايضا.

ان هذا النوع من الاستدلال يلاحظ ايضا في كلام القدامى ، وان كان يبدو شكله اقل انسجاما. ولهذا السبب فمن اللازم تقديم بعض التوضيحات حول هذا الموضوع مسبقا.

تجميع القرائن دليل معمول به في كل العلوم . لــلــتوصل الى الحقائق في العلوم المختلفة يتم اليوم الاستفادة من طريقة تجميع القرائن بشكل كبير لكشف الجرائم ، ولتشخيص انواع الامراض ، ولمعرفة خصائص الشخصيات العظيمة السالفة على طول التاريخ ، ولكشف القضايا المتعلقة بعالم الخلق ، الارض والسما ، النباتات والحيوانات .

والــفــرق بــيــن هذا الاسلوب واسلوب (الاستقرا) الذي هو احد طرق البرهان هو : اننا نحصل بــالاستقرا على حكم كلي عند البحث والتنقيب عن الافراد فعلى سبيل المثال نقوم بعد فقرات افراد كثيرين ثم ندرج في الكتب قانونا عاما يقول : بان الانسان له كذا عدد من الفقرات .

ولــكن بطريقة تجميع القرائن نقوم بدراسة آثار موضوع خاص او مايسمى ب ((الجزئي الحقيقي)) ثم نتوصل من مجموع تلك الاثار الى المؤثر.

وكمثال على ذلك : حينما تقع جريمة في نقطة ما ويؤتى بالمتهم الى المحكمة فينكر التهمة الموجهة اليه جملة وتفصيلا مستفيدا من عدم وجود شاهد يثبت التهمة ، فان الحاكم الذكي لايغلق ملف القضية بــذريعة انكار المتهم وعدم تيس رالشاهد بل يقوم بتجميع القرائن عن طريق التحقيقيات المختلفة ، ودراسة امور كثيرة اخرى مثل :.

ا : سوابق المتهم .

ب : نوع العلاقة التي تربط بين المتهم والشخص الذي وقعت عليه الجريمة ،وهل هناك من خصومة او اختلاف بينهما ام لا ؟.

ج : مكان وزمان وقوع الحادثة ، وهل بامكان المتهم ايضاح المكان الذي كان فيه وقت وقوعها ؟.

د : نـــوع الـــســـلاح او الرصاصة التي عثر عليها في هذه الحادثة ، وهل ان المتهم يستخدم مثل هذا السلاح ام لا ؟.

هـــ : مـــلاحظة الحالة الجسدية للمتهم والشخص الذي وقعت عليه الجناية ، وهل توجد آثار منازعة عليهما ام لا ، وهل للمتهم توضيحات لهذه الاثار ام لا ؟.

و : الاحـــســـاس الذي ينعكس على المتهم عند مشاهدته ردا المقتول وآثارالجريمة ، وهل تضطرب حالته ام يحتفظ بهدوئه اثنا ذلك ؟.

ز : الحالة النفسية للمتهم ومقارنتها بالسابق ، هل هي متعادلة ام يسيطر عليهاالاضطراب ؟.

ح : عند اجابته على اسئلة المحقق والحاكم هل ينتابه الارتباك والاضطراب والتناقض وامثالها ام لا ؟.

بـــالاضـــافـــة الـــى مـــسائل اخرى كثيرة ، وقد لاتكون آحادها كافية لاثبات الحقيقة ،ولكن بحث هذه الـــجـــوانـــب احيانا لايبقي اي شك او ترديد بان الجريمة نفذت من قبل المتهم ، وهذا مايقوي من عزم الحاكم او القاضي بان يتابع القضية باناة وما اكثرماتنتهي متابعته الى اقرار الطرف المقابل ايضا.

بـــل ويمكن القول : بان (الاقرار) هو دليل ظني ــ لانه لوحظ كثيرا ان البعض ومن اجل الهروب من قـــبـــضـــة الـــعدالة اعطوا اموالا طائلة لشخص آخر حتى يعترف بعدطمانته بانهم سيخلصونه في النهاية ، وكذلك (شهادة الشهود) هي دليل ظني ايضا،لان احتمالها للخطا او التواطؤ ليست مستحيلة (لاشـــك ان شـــهـــادة الشهود والاعتراف مقبولة ، وان المقصود هو انها دلائل ظنية مقبولة في نهاية الامر، في حين ان تجميع القرائن يمكن قبولها عند وصولها الى مرحلة القطع واليقين).

وتـــلاحـــظ في الاحكام الاسلامية ايضا نماذج واضحة لهذا المسالة ، واحيانا تم اثباتها حتى بواسطة قـــريـــنـــة حـــكـــم واحدة مثل حكاية اختلاف (العبد) و(السيد) في عصر امير المؤمنين (ع) عندما امر(ع) (صوريا) بضرب عنق العبد منهما اذ سحب احدهما راسه ليثبت على نفسه انه العبد.

او كـــقـــصـــة اختلاف تينك المراتين على وليد وامره (ع) ــ صوريا ــ بقطع ذلك الوليد الى نصفين ، عـــندئذ تنازلت الام الحقيقية لذلك الطفل عن حقها فكان موقفهاذاك دليلا على صدق دعواها ، وامثال ذلك .

عـــلـــى ايـــة حـــال ان الاســـتفادة من هذه الطريقة للوصول الى نتائج قطعية ليس في المسائل القضائية وحـــســـب ، بـــل وفي الكثير من العلوم ، وكذلك القضايا الاجتماعية والسياسية المختلفة هو امر معتاد وبـــنـــا ويـــمكننا ايضا الاستفادة منه في مسالة اثبات نبوة الانبيا واحيانا يكون تاثيره في ايجاد اليقين والاطمئنان اكثر من تاثير المعجزات العادية .

بـــهذه الاشارة نعود الى الايات القرآنية لنرى مالها من بيان حول هذا الدليل ــبشكله الكلي ،

ثم نتجه نحو حياة الرسول الاكرم (ص) لنجمع القرائن المختلفة عن حياته ونضعها الى جانب بعضها البعض حتى يحكم القرا عليها بانفسهم .

فـــي القسم الاول وفي آيات متعددة من القرآن تلاحظ اشارات طافحة بالمعاني حول هذا الدليل ومن جملتها :.

١ ــ الايات التي تعبر عن وجود نبي الاسلام (ص) بانه (شاهد) و (سراج منير)و (برهان) و (شمس).

ففي الايتين ٤٥ و ٤٦ من سورة الاحزاب نقرا :.

(يايها النبي ان ا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا # وداعيا الى اللّه باذنه وسراجامنيرا).

فـــي هـــاتـــيـــن الايـــتين يقدم القرآن الكريم نبي الاسلام (ص) على انه (شاهد) ، فقدورد في احد الـــتفاسير انه شاهد على احقيته ، لان صفاته واخلاقه ، وخططه البناة ،وسوابقه الساطعة ، واعماله ، تشهد على حقانية دينه وصدق دعوته هذا من جهة ((٢٩٨)) .

ومـــن جـــهة اخرى يعر فه بعنوان (سراج منير)، واننا نعرف بان السراج هو دليل على نفسه ولا يحتاج لدال عليه او كالقول المعروف (طلوع الشمس دليل على الشمس).

وتعبير (برهان) الذي جا في الاية ١٧٤ من سورة النسا : (يايها الن اس قدجاكم برهان من ربكم وانـــزلـــنا اليكم نورا مبينا) هو اشارة اخرى لتلك الحقيقة ، لان (برهان) مشتقة من مادة (بره) ((على وزن فرح)) وتعني الابيضاض ، ولان الاستدلالات الواضحة تنير وجه الحق وتبيضه ، لذا اطلق عليها برهان .

ويعتقد جمع من المفسرين ان المقصود من البرهان في هذه الاية هو ذات الرسول (ص) ((٢٩٩)) ، والمقصود من النور هو القرآن المجيد.

وبـــنـــا على ذلك فان شخص الرسول (ص) جرى تعريفه بعنوان (برهان)، وذلك بسبب توف ر آثار وقرائن في وجوده تنبي باحقيته فضلا عن معجزاته .

وجا في تفسير: (والشمس وضحاها) في روايات متعددة ان (الشمس) هي اشارة لوجود الرسول الاكرم (ص) ، وان (القمر) هو اشارة الى وصيه بالحق ((٣٠٠)) .

من البديهي انه لايوجد دليل لاثبات وجود الشمس سوى وجودها بالذات ،لان الجميع يطلعون على وجود الشمس المشرقة والمنيرة بمجرد طلوعها من افق المشرق .

وفيما عدا هذه التعابير اشار القرآن الكريم في آيات اخرى البنان على هذه المسالة واشار الى بعض دلائل احـــقية الرسول (ص) ومن جملتها انه استند الى قضية (اميته) واعتبارها قرينة ، مثلا يقول في الاية ٤٨ من سورة العنكبوت :.

(وماكنت تتلو من قبله ر من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون).

وهـــنـــا يشير القرآن الى ان الرسول (ص) لو كان قد تلقى الدروس لكان الشك بان القرآن منه او من اللّه طـــبيعيا ، ولكن بالنظر الى انه (ص) كان اميا وان القرآن الكريم كان معجزة

من جوانب مختلفة فلا يبقى لاحد اي مجال للشك بان هذا الكتاب هومن قبل اللّه تعالى .
وهذه طبعا قرينة واحدة فقط من القرائن الكثيرة التي تلاحظ في وجوده (ص)،ودليلا على صدق دعوته ، وكلما وضعنا مجموع هذه القرائن الى جنب بعضهاالبعض لاضحت المسالة اكثر سطوعا من الشمس .
وتـــعـــبـــير (المبطلون) يدل على انه حتى لو كان النبي (ص) قد تلقى التعليم فلامجال ايضا الى ان نـــعتبر هذا الكتاب هو من بناة افكاره ، لماذا ؟ لانه يقينا اسمى من فكر وعلم بني البشر ، ولكن هذا الامر بمفرده قد يشكل ذريعة للمفسدين والمبطلين .
وفي الاية ١٦ من سورة يونس ايضا نقرا :.
(قل لو شا اللّه ماتلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا مرن قبله رافلا تعقلون).
وفي الحقيقة كان النبي (ص) يعتمد على هذه القرينة عندما يقول : انني عشت بينكم سنين طويلة ولم تـــسمعوا مني مطلقا مثل هذا الكلام (الايات القرآنية)، ولوكانت هذه الايات صادرة مني فلاب د ان تجري على لساني خلال هذه الاربعين سنة او لسمعتم مني قسما منها على الاقل .
وكـــما يقول بعض علما النفس : فان النبوغ الفكري ، واكتشاف وابداع المسائل المستحدثة يبدا عادة عـــنـــد الانسان من سن العشرين ، وتمتد على الاكثر الى سن ٣٠او ٤٠ سنة ، اي : ان الانسان اذا لم يات حتى ذلك العمر بابتكار جديد ففي الغالب ينتفي عنده بعد ذلك .
وهـــذا الـــموضوع الذي يعد اليوم كاكتشاف نفساني كان يقينا في الماضي غيرواضح الى هذا الحد ، ولـــكن غالبية الناس كانوا يعرفون عادة بالهداية الفطرية ان ليس بمقدور الانسان ان تكون له افكار خـــاصـــة متمثلة بدين جديد وهو يعيش بين قومه وشعبه مدة اربعين سنة ولا يظهرها مطلقا ، ولهذا يقول القرآن : كيف لا تدركون استحالة هذا الامر؟.
ان اســـتـــنـاد القرآن الكريم في آيات متعددة على (امية) النبي (ص) له دلالات مليئة بالمعاني ايضا ، وكـــذلـــك الـــقرائن بان كيف يستطيع شخص لم يتلق تعليما ان ياتي بكتاب بهذا المحتوى الذي ليس له نظير، وبهذا الشمول الاستثنائي ، والحقائق التي تحتفظ بطراوتها تماما بعد مضي الف سنة او اكثر ، والذي يعتبر وصفة راقية وناجعة لحل المشاكل الحياتية لبني البشر في الجوانب المعنوية والمادية ؟.
ومما قيل نستنتج بان للقرآن الكريم اهتماما خاصا بهذا الدليل (اي تجميع القرائن).
والان نـــعـــود الى الشرح والبيان التفصلي لهذه القرائن التي اختص بها النبي الاكرم (ص) ، ونخضع الامور التالية للبحث والدراسة الدقيقين :.
محيط دعوته والظروف السائدة فيها.
الخصائص الاخلاقية والنفسية لنبي الاسلام (ص) وسوابقه .
زمان دعوته من ناحية الوضع العام في العالم وبالخصوص في منطقة ظهوره (ص).

مضمون دعوته واسس القضايا التي يدعو الناس اليها.

الوسائل التي يستفيد منها للوصول الى اهدافه .

مساومته او عدمها مع مطالب البيئة المنحرفة وكيفية تصديه للخرافات .

ماهية الافراد الذين آمنوا ومن اي طبقة واي نوع .
ميزان اعتقاده بالاهداف التي يدعو الناس اليها.
سرعة انتشار دعوته ومستوى الاثر الذي تتركه احكامها وقوانينها في المجتمع .
بالاضافة الى علائم اخرى .
ميحط دعوة النبي (ص) والظروف السائدة فيها. ١.
ان القضية التي يتفق عليها كل المؤرخين الكبار هي : ان العرب قبل بدالرسول (ص) بدعوته كانوا في اوضاع سيئة للغاية من ناحية سيطرة المعتقدات الخرافية ، والانحطاط الاخلاقي ، والاختلافات ، والحروب الداخلية المستعرة ،والظروف الاقتصادية السيئة ، ولا تتحرك فيه نسمة للعلم والمعرفة ، ولا يوجد حتى اثر من الحضارة الشكلية للبشر ولهذا السبب كانوا يعتبرونهم قوما نصف متوحشين ،ويطلقون على عصرهم اسم (العصر الجاهلي).
وللقرآن الكريم تعابير صريحة وواضحة عن ذلك العصر يمكنها رسم ملامح الاوضاع في ذلك الزمان بشكل جيد (حتى لو لم يصد ق احد بان القرآن الكريم وحي الهي ، ولكن لايمكنه انكار حقيقة ان ذكر تلك الصفات لذلك العصر في القرآن هي دليل على واقعيته وحقيقته ، والا يكون منكرا لكل الجوانب).
فيقول في مكان : (لقد من اللّه على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزك يهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (آل عمران ــ ١٤٦).
وعبارة (ضلال مبين) في هذه الاية وفي اواخر الاية الثانية من سورة الجمعة ايضا ، هو اشارة معبرة عن الاوضاع في العصر الجاهلي الذي كانت الضلالة المبينة تسود اركانه ، واي ضلالة اوضح وابين من عبادتهم لاصنام من الحجر والخشب ينحتونها بايديهم ، والاسوا من ذلك هو تلك الاوثان التي يعملونها من التمرويعبدونها ، ثم ياكلونها ايام القحط والجفاف .
او يقبرون بناتهم بايديهم وهن احيا ، وهم يفخرون ويتباهون بعملهم هذابدعوى انهم لايدعون عرضهم وناموسهم يقع بايدي الاجانب .
وجا في الايتين ٥٨ و ٥٩ من سورة النحل : (واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسود ا وهو كظيم # يتوارى من القوم من سؤ مابش ر به ايمسكه على هون ام يدس ه في التراب # الا سا مايحكمون).
واي ضلال اوضح من سيطرة انواع الخرافات والاوهام عليهم ، او اعتبارهم الملائكة بنات اللّه : (وجعلوا الملائكة ال ذين هم عباد الرحمن اناثا) الزخرف ــ١٩ ، وفي مكان آخر يقول : (ويجعلون للّه البنات سبحانه) النحل ــ ٥٧ وآيات اخرى نظيرها.

اي ضلال اوضح وابين من ان تسيطر عليهم الحروب وسفك الدما في كل ايام السنة ــ باستثنا الاشهر الحرم ــ ، وتوارث الاحقاد القبلية من الابا للابنا واستمرارهالسنوات وسنوات ، كما يشير القرآن الى ذلك بقوله : (واذكروا نعمة اللّه عــليكم اذكنتــم اعــدا فــالف بين قــلوبــكم فــاصبحتــم بنعمته اخــوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) آل عمران ــ ١٠٣.

اي ضلالة اوضح من ان تكون حتى مراسم صلاتهم ودعائهم مضحكة ومقززة ،فحينما تطوف النسا حــول بــيــت اللّه الــحــرام وهــن عاريات تماما ويحتسبن ذلك عبادة ، وحينا آخر يقيمون صلاتهم مصحوبة بالتصفيق والصفير : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية) الانفال ــ ٣٥.

لــقــد كــانت شتى انواع الخرافات والاوهام تخيم على مجتمعهم ، وكانت كل قبيلة تسعى الى ابراز نفسها على انها ارفع من القبيلة الاخرى وربما يؤدي الى ظهورالاحقاد والضغائن والحسد ، واحيانا ســفــك الدما فيما بين القبائل الى الحد الذي يدعهم ــ من اجل اثبات كثرة قبائلهم ــ الى التوجه صوب القبور لعد قبور موتاهم والتفاخر بالعظام النخرة لاجدادهم وهي تحت التراب .

يــقــول القرآن الكريم : (الهكم التكاثر حتى زرتم المقابر) التكاثر ــ١ ــ ٢ ، وما الى ذلك من اوهام ومفاسد وكوارث اخرى من هذا القبيل .

ان الانحطاط في تلك البيئة والفقر المعنوي والمادي جعل تلك المنطقة في قائمة اكثر مناطق العالم تخلفا.

ينقل احد المؤرخين الغربيين عن بعض المؤرخين المعروفين حول بيئة الحجازفي العصر الجاهلى قــائلا : عندما دخل (ديمتريوس) القائد اليوناني الكبير(البترا) ــ احدى مدن الحجاز القديمة ــ وهو في طريقه لاحتلال المنطقة العربية قال له العرب الساكنون هناك : (اى ها الملك ديمتريوس الــتــي يــتــمتع بهااهالي المدن والقصبات ، لقد اخترنا السكن في هذه الصحرا القاحلة لاننا لا نريد ان نــكــون عبيدا لاحد ، ولهذا تقب ل من ا هذه التحف والهدايا التي نقدمها لك واخرج جيوشك من هنا وعد).

وانــتهز (ديمتريوس) رسالة الصلح هذه وقبل الهدايا وغض النظر عن هكذاحرب تخلف مشاكل كثيرة ((٣٠١)) .

و (الحجاز) على مدى التاريخ لم تخضع لسيطرة الفاتحين القدامى وحافظعلى استقلاله ، والسبب كــمــا يــقــول الــمحل لون : هو عدم استحقاق مثل هذه المنطقة ــالجردا التي تفتقر لكل شي ــ هذه الــجهود والمشاكل ، وايضا افتقار منطقة الحجازلحضارات البلدان القديمة مثل ايران وروما والتي تتواجد في الكثير من نقاط شبه الجزيرة العربية .

وبــعد ان تعرفنا على حال الجزيرة العربية لاب د لنا من النظر الى حال المرالبسيط الذي عاش

في محيطها مهما كانت قوة ارادته وقوة تفكيره (لاسيما اذا لم يكن قد تلقى اي نوع من التعليم).

هل ان الذي تربى في محيط موبؤ بالجهل والفساد يمكنه ان يكون مؤسسة للعلم والمعرفة والفضائل الاخلاقية ؟.

وهل سمعتم البتة بان علما عظما وفلاسفة نوابغ نهضوا من بين اقوام متوحشة او نصف متوحشة ؟.

اذا نـــبتت ورود جميلة وحشائش طرية في ارض خصبة ومهياة فلا عجب في ذلك بل العجب عندما تنبت وردة جميلة في ارض سبخة .

وعـــلـــى ايـــة حـــال يمكن ان تكون هذه المسالة بمفردها غير كافية في اثبات احقية الرسول الاكرم (ص) ، ولكنها بدون شك تعتبر واحدة من القرائن التي متى الحقناهابالقرائن الاخرى شكلت برهانا قويا ومبينا.

نختم هذا الحديث بقول امير المؤمنين علي (ع) ــ الذي ادرك العصرين ، عصرالاسلام والجاهلية ــ وهـــو يـــرســـم لـــنـــا العصر الجاهلي : (ارسله على حين فترة من الرسل ،وطول هجعة من الامم ، واعتزام في الفتن ، وانتشار من الامور ، وتلظ من الحروب ،والدنيا كاسفة النور ، ظاهرة الغرور ، عـــلـــى حـــيـــن اصـــفرار من ورقها ، واساس من ثمرها ،واغورار من مائها ، قد درست منار الهدى وظـــهـــرت اعـــلام الـــردى ، فهي متجهمة لاهلها ،عابسة في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشعارها الخوف ودثارهاالسيف) ((٣٠٢)) .

وفـــي مـــكـــان آخر نقرا له (ع) : (ان اللّه بعث محمدا صلى اللّه عليه وآله وسلم نذيراللعالمين ، وامـــيـــنـــا على التنزيل ، وانتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار ، منيخون بين حجارة خشن وحـــيـــات صـــم تشربون الكدر ، وتاكلون الجشب ، وتسفكون دماكم ،وتقطعون ارحامكم ، الاصنام فيكم منصوبة ، والاثام بكم معصوبة) ((٣٠٣)) .

وخـــلاصـــة الـــقول هي : ان البحث في القرآن الكريم والروايات الاسلامية ومجموع التواريخ التي كتبت في الشرق والغرب حول العصر الجاهلي ، تدلل على انها متفقة جميعا على ان البيئة التي ظهر فـــيـــها نبي الاسلام (ص) هي من احط البيئات واكثرهاتاخرا ، بيئة لا تنسجم ابدا مع ظهور هكذا دين وتعاليم متطورة في كافة الاصعدة .

خصائصه الاخلاقية وسوابقه (ص). ٢.

ان الـــخـــصـــائص الاخلاقية هي احدى افضل الطرق في معرفة الدعاة الصادقين من الكاذبين ، فهذه الـــخـــصـــائص يـــمـــكن اعتمادها كقرائن وادلة واضحة لنفي او اثبات احقية الداعي وكلما شوهدت مـــظـــاهـــر الطهارة والتقوى ، والعظمة والتسامح والرافة والمحبة ، والزهد والتقشف ، والشجاعة والـــشـــهـــامـــة والـــماضي الاجتماعي الحسن في المد عي ، فمن

الصعوبة بمكان ان لانعتبره صادقا ، وبالعكس فاذا كان محبا للدنيا ،ومنكبا على المادة ، ومتعلقا بالمال ، والمقام ، والجاه ، والقدرة المصحوبة بالتهوروالكذب ، والحقد وحب الانتقام ، وما شابه ذلك من رذائل خلقية ، فلا يمكن اعتبارمدعي النبوة هذا بانه صادق مطلقا.

ولحسن الحظ فان سوابق النبي الاكرم (ص) قبل نبوته هي سوابق ساطعة ومضيئة حيث قضى اربعين عاما بين ظهرانيهم والتاريخ الذي كتبته ايادي الاصدقاوالاعدا يعطى صورة ناطقة ومعبرة عن ذلك .

ففي كل التواريخ اعتبرت نزاهة النبي (ص) وامانته بانها مسالة متفق عليها من قبل الجميع ، وان لقب (الامين) سمعوه يطلق عليه .

والملفت للنظر هو ان الناس ــ بالرغم من مخالفتهم له ــ بعد بداية دعوته للاسلام بقوا يودعون امانـاتهم عنده ، ولذا امر (ص) عليا (ع) اثنا الهجرة الى المدينة المنورة ــ اي بعد مرور ثلاثة عشر عاما من البعثة ــ بان يبقى في مكة ليؤدي عنه الامانات الى اهلها ، ثم يهاجر الى المدينة .

ان حسن خلق النبي (ص) وحسن تجاوزه وسخائه وكرمه ، وخلاصة الصفات التي تليق بقائد الهي عظيم يمكن مشاهدتها به (ص) بوضوح خلال الوقائع المختلفة في حياته ، وخاصة اثنا فتح مكة ، ومعركة احد ، وكذلك في تعامله مع اسرى الحرب ، والرقيق ، وطبقات المجتمع المحرومة ، الى الحد الذي اعتبروا فيه هذه المسالة بانها نقطة ضعف عنده ، وان دينه هو دين العبيد والمحرومين ، وابتعد عنه الاغنيا والاثريا ، وعرضوا عليه طرد الحفاة والمستضعفين وابعادهم مقابل تاييدهم وتقربهم منه (ص) ، وقد جا هذا المعنى باشارة واضحة في الاية ٢٨ من سورة الكهف :.

(واصبر نفسك مع ال ذين يدعون رب هم بالغداوة والعشي يريدون وجهه ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا # ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وات بع هويه وكان امره فرطا).

وهو الذي صفح عن (ابو سفيان) الد اعدائه والمؤجج الخطير لنيران الحروب ضد الاسلام ، وجعل من بيته اثنا فتح مكة ملجا ومامنا لاهل مكة ، واعلن العفوالعام عن المكى ين الذين ارتكبوا جرائم كثيرة ضده وضد اتباعه ، وهذا الخلق الحسن والتجاوز الحسنين والكرم صار السبب في جعلهم يلتفون حوله .

وفي (معركة احد) ايضا عندما فر ــ جماعة من حديثي الدخول في الاسلام ــ من ارض المعركة وتركوه وحيدا بين الاعدا متحملا ضربات شديدة منهم عاد واعلن العفو العام ، وصفح عن الجميع الى درجة استوجبت نزول الاية المباركة : (فبمارحمة من اللّه لنت لهم ولو كنت فض ا غليظ القلب لانفضوا من حولك #فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر) آل عمران ــ ١٥٩.

فــقــد بــيــنــت هذه الاية لين قلب وباطن النبي (ص) وصفا باطنه وكذلك اللهجته الرقيقة والمليئة بالعاطفة التي لم تامره بالعفو عن اخطائهم وحسب وانما امرته ايضابطلب المغفرة لهم من اللّه تعالى ، وان يحترم شخصياتهم ويشاورهم .

لــقد كان (ص) شفيقا بالمؤمنين وغير المؤمنين بالقدر الذي يجعله يتالم بشدة من عدم ايمان البعض ، والى حد يوشك فيه على الهلاك اسفا عليهم .

ونــقــرا فــي الايــة ــ ٦ من سورة الكهف ما يتض من معنى التسلية للنبي (ص) بقوله :(فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث ر اسفا).

وشــبــيــه هــذا الــمــعنى جا في الاية ــ ٣من سورة الشعرا : (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) ((٣٠٤)) .

وحقااذا لم يتصف القائد بهذه الصفات فلا يستطيع ان يجس د المعنى الحقيقي والواقعي للقيادة ، وقد جا في الاية ــ ١٢٨ من التوبة : (لقد جاكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنت م # حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم).

ومن المسلم به ان البحث حول الملكات الخلقية للرسول الاكرم (ص)وخصائصه الاخلاقية اوسع واشــمــل مــن ان يــضمها حديث قصير ، وان غايتنا فقط هي الاشارة العابرة لهذه المسالة باعتبارها احدى القرائن .

مضمون الدعوة . ٣.

ان تحقيق ودراسة محتوى اي دعوى يشكل في الغالب دليلا مقنعا للتوصل الى صدق او كذب المدعي فــالدين السماوي الذي يصدر عن جهة السما ، وينزل عن طريق الوحي له مزاياه الخاصة ، في حين ان الدين الكاذب الذي يبتدعه فرد او افرادلاهداف مادية وشيطانية له مزايا اخرى .

فــالاول : غــايــته هداية البشرية ، وتقوية النفوس ، واقامة العدل ، وتهيئة متطلبات الصلح والسلام والامن ، واخيرا تكامل الانسان ماديا ومعنويا.

في حين ان الثاني يسعى لتحقيق الانسان وتخدير فكره ، والانتفاع الاكثروالاستعمار والاستثمار ، ومسلما ان اهدافا كهذه تتطلب خططا وبرامج اخرى .

وبــمــلاحظة ما ذكر انفا نلقي نظرة اجمالية على مجموع المعارف والقوانين والبرامج الاسلامية ، لاسيما تلك التي استند اليها القرآن الكريم واكد عليها :.

١ ــ ان اول شي يبدو للنظر ويشكل الاساس الرئيسى لكل المعارف والقوانين الاسلامية هو مسالة (الــتوحيد) ومحاربة كل انواع الشرك بالاعتماد على هذاالاصل ، فقد حرر رسول الاسلام (ص) الانــسان من قيود كل عبودية الا عبودية اللّه الاحد ، ودعا البشرية الى عبادة الاله الواحد الاحد خــالــق الــســماوات والارض ،وجامع كل صفات الكمال ، المطلع على ظاهرهم وباطنهم ، وحطم سلاسل الاوهام والخرافات وعبادة البشر او الحجر او الخشب وانواع

الاوثان والاصنام .
وقــد ذ م الــقرآن اليهود والنصارى لعبادتهم البشر بقوله : (ات خذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون اللّه) التوبة ــ ٣١.
وفي مقارنة بديعة على لسان نبي اللّه يوسف وهو يخاطب رفاقه في السجن يقول : (ارباب متفرقون خير ام اللّه الواحد القهار) يوسف ــ ٣٩.
٢ ــ انــه لايــعتبر اي مؤثر في مصير الانسان الا اللّه تعالى ويدعو الجميع للتوكل عليه ويقول : (اليس اللّه بكاف عبده) الزمر ــ ٣٦.
٣ ــ ومــن جهة اخرى يعتبر الانسان مرهونا باعماله ، ويعتبر ان طريق الخلاص والفلاح الوحيد هو والجد والاجتهاد الاكثر.
ويــقول : (وان ليس للانسان الا ما سعى) النجم ــ ٣٩ و : (كل نفس بما كسبت رهينة) المدثر ــ ٣٨.
٤ ــ اعــتبر الاسلام كل بني البشر ومن اي عنصر ولون وفي كل زمان متساوين ،وبنا على هذا لا يوجد اي تمايز بينهم او تفاضل الا بــ(التقوى) والورع (الحجرات ــ١٣).
٥ ــ يخاطب كل المؤمنين بانهم (اخوة) لبعضهم البعض ، ويعتبر ان اقرب رابطة ممكنة بين انسانين هــي الرابطة التي تقوم على العدالة والمساواة ، ويقول : (انماالمؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم وات قوا اللّه لعل كم ترحمون)الحجرات ــ ١٠.
٦ ــ يعتبر (العدالة الاجتماعية) اصلا اساسيا حاكما على المجتمعات البشرية ويدعو كل المؤمنين للقيام بالقسط ، فيقول : (ولايجرمنكم شنن قوم على الا تعدلواعدلوا هو اقرب للت قوى وات قوا اللّه) المائدة ــ ٨.
وان لا تــكون صلة القرابة والابوة والبنوة ونظائرها حائلا دون اجرا العدالة وترجيح كفة الحكم لصالحهم ــ بدون دليل ــ (النسا ــ ١٣٥).
٧ ــ اقر حاكمية اصل (الانفاق) على العلاقات الانسانية ، ودعا الجميع الى الانفاق مما رزقهم اللّه من نعم على الاخرين : (ومم ا رزقناهم ينفقون) البقرة ــ ٣.
يــؤكــد على (صلة الرحم) ورعاية رابطة القرابة (البقرة ــ ٢٧) وقد اولى (الاب والام) خاصة احــتراما بالغا الى الحد الذي اوصى بالتعامل الحسن معهما حتى وان لم يكونا مسلمين (لقمان ــ ١٤ و ١٥).
٩ ــ مــن الــمسائل التي اكد عليها الاسلام ايضا هي : (حماية المظلومين) في شرق العالم وغربه ، حــتــى ان ظواهر الايات القرآنية لم تفرق بين ابنا الدين الاسلامي وغيرهم في هذه المسالة ، كما ورد فــي الايــة ــ ٧٥ من سورة النسا : (وما لكم لاتقاتلون في سبيل اللّه والمستضعفين من الرجال والنسا والولدان).
١٠ ــ اكد ايضا على (احترام حقوق المراة) في ذلك المحيط الذي اهدر كل حقوقها ولم يعطها

حتى الحق في الحياة ، ويقبر البنات وهن احيا ، فاعاد اليهامكانتها الى الحد الذي يقول فيه : (لهن مثل ال ذي عليهن بالمعروف)البقرة ــ ٢٢٨ ،والحق لا ينفصل عن الواجب .

١١ ــ دعوته لـــ(التعايش مع اتباع الاديان الاخرى) وحملة الكتب السماوية ،ودعوته كذلك الجميع لـــلاتـــكـــا على نقاط الالتقا والاشتراك ، كما نقرا في الاية ــ ٦٤من سورة آل عمران : (قل ياهل الـــكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم الا نعبدالا اللّه ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون اللّه).

١٢ ــ اعـــطى الاسلام اهمية بالغة ل(العلم) والمعرفة ، وقد اشارت مئات الايات القرآنية الى ذلك ، وهـــذا الامر كان مثيرا وملفتا للنظر لاسيما اذا لاحظنا المحيط الذي نزل فيه القرآن ، والذي كان مـــركـــزا للجهل والامية ، واول الايات التي نزلت على النبي (ص) كانت تؤكد على العلم (العلق ١ ــ ٥).

ويـــقسم في مكان اخر بالقلم : (القلم ــ ١) ، واعتبر ان افضلية (آدم) ، والبشربصورة عامة تكمن في (فضيلة العلم) والمعرفة هذه (البقرة ٣١ ــ ٣٣).

١٣ ــ تـــعـــتبر مسالة (الامر بالمعروف) و(النهي عن المنكر) احدى المميزات المضيئة لهذا الدين والـــتـــي يـــعـــتـــبـــرهـــا نـــوعا من الاشراف والرقابة العامة على كل المجتمع بواسطة كل المجتمع ، ومسؤولية متقابلة لكل افراده في مقابل اي نوع من المفاسدالاجتماعية او ترك القيام بالواجب ــ (آل عمران ١٠٤ و١١٠ وآيات اخرى).

١٤ ــ بـــمـــا ان مصدر الكثير من المفاسد الاجتماعية هو الميل الشديد للقضاياالمادية ، والتنافس في حـــب الـــتـــجـــم ل والبذخ في الحياة فقد دعا الاسلام الى (العيش البسيط) ونبذ حب التجمل من اجل اغـــلاق مـــنـــبـــع الـــشـــر هذا (الزخرف ٣٣ ــ ٣٥) ، في نفس الوقت الذي اعتبر الانتفاع المعقول والمنطقي من المواهب المادية وحتى التزيينية والكمالية بانه مباح (الاعراف ــ ٣٢).

١٥ ــ دعوته ل(مراعاة الاداب) ، وحسن المواجهة مع الاخرين ، وملاحظة الموازين الاخلاقية في اي مكان ، وقد اشار لهذه المسالة في سورة لقمان (الايتين١٨ و ١٩) ، وسورة الحجرات (الايتين ١١ و ١٢) ، وســـورة الفرقان (آية ٧٢) ، وآيات اخرى وورد في الاية ١٩٩ من سورة الاعراف ايضا (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين) ((٣٠٥)) .

١٦ ــ اســـتخدام (البحث المنطقي) فى المناظرة مع اتباع الاديان الاخرى بدلا من التعصب الاعمى ، يـــقول القرآن الكريم : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن) النحل ــ ١٢٥.

١٧ ــ (الخضوع في للحق) وقبوله من اي كان لانه يعتبر واحدا من المبادئ السامية للدين الاسلامي ، يقول تعالى : (فبشر عباد ال ذين يستمعون القول فيتبعون احسنه # اولئك ال ذين هدايهم اللّه واولئك هم اولو الالباب) الزمر ١٧ و ١٨.

١٨ ــ (اخلاص النية من الدوافع غير الالهية) من الاصول التي اكد عليها القرآن الكريم والروايات الاسلامية مرارا ، واعتبر ان الاعمال النزيهة المقبولة عند اللّه تعالى والتي تؤدي الى النجاة والسعادة هي الاعمال التي لم يقصد بها التظاهر والريا ،وانما التي يراد بها غايات انسانية واخلاقية والهية سامية تشكل ركنا اساسيا ،واستندت سبعة آيات من القرآن الى جملة (مخلصين له الدين) ((٣٠٦)) .

ومن جهة شب ه صدقات المؤمنين ــ الخالصة ــ بالبستان الملي بالثمر عندماتنزل عليه رحمة المطر الالهية تتضاعف ثماره ضعفين (البقرة ــ ٢٦٥).

ومن جهة اخرى شبه اعمال المرائين ــ غير المؤمنين ــ بالبذور التي تم غرسهافي تراب قليل يغطي صخرة فياتي المطر فيجترفها امامه (البقرة ــ ٢٦٤).

١٩ ــ انتقد الاسلام بشدة (الاسراف والتبذير) وسمى المبذرين باخوان الشيطان : (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) الاسرا ــ ٢٧.

٢٠ ــ من الاصول الاساسية للاسلام ايضا (رعاية الاطفال الايتام وفاقدي المعيل)واكدت آيات وروايات كثيرة على ذلك الى الحد الذي اعتبرت فيه اكل اموال الايتام كاكل النار : (ان ال ذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا) النسا ــ ١٠.

وفي مكان آخر اوصى باصلاح شؤونهم ، يقول : (ويسئلونك عن اليتامى # قل اصلاح لهم خير) البقرة ــ ٢٢٠.

٢١ ــ احترام الاسرى في الاسلام ، بحيث واوصى بحسن معاملتهم واعتبرمساعدتهم واعانتهم في القرآن الكريم بان ها جز من اعمال الابرار والاخيار :(ويطعمون الطعام على حب ه مسكينا ويتيما واسيرا) الدهر ــ ٨.

وجا في حديث للامام علي (ع) : (اطعام الاسير والاحسان اليه حق واجب) ((٣٠٧)) .

٢٢ ــ ومن المسائل المهمة التي اكد عليها القرآن الكريم والروايات الاسلامية هي مسالة (التشاور في الامور) ، حتى ان الرسول الاكرم (ص) مع عقله الكامل كان مامورا بالاستشارة :(وشاورهم في الامر) آل عمران ــ ١٥٩.

واعتبر التشاور في الامور الاجتماعية المهمة بانه احدى علائم الايمان :(وامرهم شورى بينهم) الشورى ــ ٣٨.

٢٣ ــ كانت (محاربة الخرافات) ايضا من المهام الرئيسية للنبي (ص) في حين كان مد عو النبوة الكاذبون يصرون على نشر الخرافات وتسميم افكار الناس عن طريقها ، ولترغيب العامة بخرافاتهم لكي ينسجموا معها ، ولكن نبي الاسلام (ص)حطم هذا السد ، بل كان يحارب كل خرافة حتى لو كانت تصب في صالحه ظاهرا.

واي خرافة اكبر من (عبادة الاوثان) التي اجتاحت جزيرة العرب باسرها ، الى حد ان مخالفتها والاعراض عنها اصبح مشكلة عويصة وعجيبة جدا ، بل عدواحيانا من علامات

الجنون ، واثنا ما كان النبي (ص) يدعو لعبادة الاله الواحدالاحد قالوا : (اجعل الالهة الها واحدا # ان هذا لشي عجاب) سورة ص ــ ٥.

وظاهرا ان احد اسباب نعت نبي الاسلام (ص) بالجنون هي انه نهض لمحاربة قضية عبادة الاصنام التي كانت من اكثر بديهيات تلك البيئة والمحيط.

والخلاصة هي ان عرب الجاهلية كانت تخيم عليهم خرافات كثيرة يطول شرحها ، وقد حاربها الرسول (ص) كلها.

٢٤ ــ من المسائل التي اعطاها الاسلام اهمية كبيرة هي تحرير الانسان من ربقة الهوى والهوس واسر الناس الاخرين ، او في اسر الاعراف والتقاليد والسنن المغلوطة ، الى درجة اعتبر فيها ان احدى صفات النبي (ص) هي : (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) الاعراف ــ ١٥٧.

وجا في الحديث النبوي المعروف : ان احد الذنوب التي لايغفرها اللّه ابداهي ان يسلب الانسان حرية الانسان الاخر ويستعبده ويبيعه ((٣٠٨)) .

٢٥ ــ احد البرامج الاساسية لهذا الدين (المنع من التكاثر) وطلب الزيادة والحرص والطمع في الامور المادية ، وقد اشير الى ذلك في آيات متعددة من القرآن الكريم ، وكذلك الروايات الاسلامية ، الى حد اعتبرها من الصفات المذمومة في الحياة الدنيا ، وجعلها مرادفة للهو واللعب والتفاخر (الحديد ــ ٢٠) ، وعدها سببااللجهل باللّه ، وذم بشدة اولئك الذين يتوجهون صوب القبور لحساب قبور موتاهم حتى يثبتوا كثرة قبائلهم : (الهيكم التكاثر # حت ى زرتم المقابر) التكاثر ١ ــ٢.

ويقص عليهم ــ بالتفصيل ــ قصة ((قارون)) المستكبر المستكثر الذي كان يرى نفسه انه فوق الجميع ، وعاقبته وعاقبة امواله بعد ان خسفت به الارض ، وينهى نبيه (ص) عن مد عينيه الى الامكانات المادية لهؤلا الافراد او اعتبارها علامة على افضليتهم وعلوهم ، (طه ــ ١٣١ ، القصص ٧٦ فما بعد).

٢٦ ــ (الدعوة الى الاتحاد والتضامن) يمكن اعتبارها جز من الاوامر التي تحتل صدر قائمة البرامج الاسلامية ، والتي ذكرها القرآن الكريم بتاكيد شديد ، فكان يدعوالجميع الى الاتحاد وينهاهم عن التفرقة ، ويحذرهم من العودة الى اختلافات الجاهلية وعد الافراد المتفرقين المشتتين على شفير هاوية من النار ، (آل عمران ــ١٠٣) واعتبر التنازع والاختلافات مصدرا لضعف المجتمع ، وضياع قدرته وشوكته ، (الانفال ــ ٤٦).

٢٧ ــ (احترام القانون) يعتبر من اهم وصايا الاسلام التي اكد عليها لدرجة انه قال احترموا القانون حتى لو حكم ضدكم ، وجا في القران : (كونوا قوامين بالقسطشهدا للّه ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين) النسا ــ ١٣٥ ، واعتبر نقض حرمة القانون حراما

، والتعدي على (حدود اللّه) ظـلـمـا وجـورا : (ومن يتعد حدود اللّه فاولئك هم الظالمون) البقرة ــ ٢٢٩ ، وان الايمان الصادق هو التسليم المطلق لقانون الحق وترك معارضته حتى في حى ز الفكر والعقل (النسا ــ ٦٥).

٢٨ ــ (نـبذ حب الانتقام) ولم تكن هذه الصفة الحميدة مختصة بالرسول (ص) وان تجل ت بوضوح كـامـل فـي حـروبه وخاصة في فتح مكة ، وانما اوصى اتباعه مراراوتكرارا الى العفو والصفح ، وغض النظر عن زلات الاخرين وتذكيرهم بالعفوالالهي : (وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر اللّه لـكـم) الـنور ــ ٢٢ ، بل تعدى ذلك الى القول : (ادفع بال تي هي احسن فاذا ال ذي بينك وبينه عـداوة كـان ه ولـي حـميم) فصلت ــ ٣٤ ، ولكنه مع كل هذا لايسمح بان يستغل الاعدا الحاقدون رحـمـة الاسـلام ورافته ، بل كان (ص) يامر اصحابه ان : مثلما عليكم ان تكونوا لينين وعطوفين مـقابل الاصدقا والاعدا المخدوعين فيجب عليكم ان تتعاملوا مع الاعدا الاشدا بخشونة وشدة حتى انه وصف الصادقين بانهم : (اشدا على الكف ار رحما بينهم) الفتح ــ ٢٩.

٢٩ ــ (الـدعـوة الـى الـتقوى) وهي من القضايا التي يستند اليها الاسلام في كل مناسبة ، ويعتبرها الـسـبيل الوحيد لخلاص الانسان ، وزاد اخرته ((٣٠٩)) ، ومعيارشخصيته ((٣١٠)) ، وبركة الدنيا ((٣١١)) ، وسعادة الاخرة ((٣١٢)) ، وسببا للبصيرة والمعرفة ((٣١٣)) .

٣٠ ــ (الـحب والبغض في اللّه) من اسس التعاليم الاسلامية ايضا ، او بتعبيراوضح اعتبر الاسلام كل من يخطو في محجة الايمان ، والحق ، والعدل ، والتقوى ،والنزاهة ، صديقا يجب توثيق العلاقة معه ، وبالعكس اوصى بالابتعاد عن الاشراروالسيئين والملوثين والظالمين ، واعتبر القرآن الكريم ذلـك مـن عـلائم الايمان الاصلية (حزب اللّه) ((٣١٤)) واعتبرتها الروايات الاسلامية بانها من اقـوى عـرى الايمان والاسلام (اوثق عرى الايمان الحب في اللّه والبغض في اللّه) ((٣١٥)) ، وافضل الاعمال ((٣١٦)) .

هذه طائفة من تعاليم الاسلام في الاصول والفروع .

فـهـل يـصدق ان ياتي انسان امي لم يتلق اي تعليم ، وهو ابن بيئة ظلمانية جاهلية ، وتربى في بؤرة الـكـفر والفساد والجور والخشونة ، بمثل هذه التعاليم ؟ كلابالطبع الا اذا كان مسددا عن طريق الوحي السماوي والالهام والتاييد الالهي .

ان دراسـة مضمون ومحتوى الدعوة لاي دين من افضل الادلة للعلما لاثبات صدق او كذب المداعي لـذلك الدين ، واحيانا تكون مقدمة على الكثير من المعجزات ، لان العديد من الوساوس التي تبرز من قـبـل الـمـعـاندين اللجوجين لها (من قبيل اتهامه بالسحر وامثاله) تصبح لا معنى لها عند البحث في مـحـتـوى الـدعـوة ، بـل وحـتـى يـمـكـن تـاليف كتاب ضخم حول هذا الموضوع وخاصة حول تـعـليمات الاسلام في كافة الجوانب

الاعتقادية والاخلاقية والاجتماعية ، وكذلك الميدان الواسع والفسيح لهذا المبحث في المسائل الفردية والجماعية المعنوية والمادية .

بـــديـــهي انه لايمكن ان تكون هذه المجموعة من التعاليم الصادرة من عربي صحراوي امي خرج من اكثر البيئات تخلفا هي مسالة عادية ، وباعتقادنا انه لاتوجداي معجزة اكبر من هذا ، او على الاقل هي قرينة اذا ضممناها الى القرائن الاخرى شكلت مجموعة مطمئنة وقوية .

عمق تاثيره في محيطه . ٤.

صـــحـــيح ان التاثير الواسع الذي تتركه مدرسة من المدارس في بيئة معينة لايمكن ان يكون بمفرده دلـــيلا على صحتها ، لاننا نعرف العديد من الديانات والتعاليم الخاطئة التي تركت تاثيرها على بيئات واسعة وكانت نهايتها ان انفرط عقدها اولازال البعض منها متصلا ، ولكن كيفية هذا التاثير وماهيته يمكن اعتباره كقرينة حية الى جانب القرائن الاخرى .

وعندما يكون هذا التاثير على شكل قفزة وفي جوانب ايجابية ومع اقل الاضرار ، فمن المسلم به ان يدلل على عمق تلك المدرسة واصالتها.

من لذي له ادنى اطلاع على تاريخ العرب والاسلام ينكر الفاصلة الزمنية مدتها٢٣ عاما وهي سني دعوة الرسول (ص) ــ الفاصلة التي احدثت (طفرة فلسفية) اكثرمما هي ثورة ؟.

فالقوم المنبوذين الذين لم يتركوا في التاريخ اسما ولا رسما.

ومـــن وجـــهة نظر علم الاجتماع لم يخط على جباههم اي استعداد للتطورالمذهل حتى لو بعد عدة قـــرون ، يتحولون فجاة ويدخلون مرحلة جديدة من الحضارة العظيمة ، ولم يغى روا انفسهم فقط ، بـــل غـــيـــروا ايضا العالم المعاصر لهم ولتبقى آثار هذه الثورة والتغيير ظاهرة في القرون اللاحقة والى زمان غيرمحدود.

حضارة حولت مسير تاريخ البشرية ، وغطت باشعاعها الحضارات الخمس العظمى في عصرها ، اي : (حضارة الروم) و(ايران) و(مصر) و(بابل) و(اليمن).

وهـــذا بـــالـــضبط مالم يستطع المؤرخون وعلما الاجتماع تفسيره وفق المعاييرالمعروفة التي بين ايـــديـــهـــم ، وان كـــانوا قد ال فوا كتبا بعنوان : تاريخ حضارة الاسلام ،او مسميات اخرى ، ولكنهم يعترفون بانه لازالت عندهم نقاط كثيرة غامضة لم تجدالحل حول ظهور الاسلام ونفوذه في العالم .

والملفت هو ان هذه الثورة وهذا التحول ــ خلافا لسائر الثورات ــ لم يحدث على صعيد واحد ، ولم تـــكـــن له جوانب سياسية او اقتصادية فحسب ، بل وغى ر كل نظم المجتمع كالثقافة ، والاخلاق ، والاقتصاد ، والاداب ، والتقاليد ، وكل شي .

مـــلـــخـــص الـــكـــلام : هو ان ابعاد تاثير الاسلام في محيط ظهوره ، ثم في العالم كله ،وكل التاريخ الـــبـــشـــري ، هـــو موضوع يستحق الدقة التى تجعله قرينة ساطعة من قرائن حقانيته ، وان شرحه وبيانه يتطلب وضع كتاب منفصل .

ماهية الوسائل لبلوغ الهدف . ٥.

كل فرد او مجموعة مضطرين ــ للوصول الى اهدافهم ــ الى الاستفادة من وسائل معينة واختبار هذه الوسائل يمكنه ان يساعد الى حد بعيد في التعرف على اصالة واحقية تلك المدرسة او على تزويرها وخداعها.

وبديهي ان اولئك الذين يعتبرون الاستفادة من كل وسيلة ــ للوصول الى اهدافهم ــ جائزة ، ويجعلون اصل (الغاية تبرر الوسيلة) ، او (الغايات تبرر الوسائط)برنامجهم الاصلي هم بعيدون عن الاصالة .

اما اولئك الذين يستخدمون الوسائل المقدسة لنيل اهدافهم المقدسة فهم يعطون الدليل على احقيتهم ، ويمكن تمييز الانبيا الصادقين من الكاذبين عن هذاالطريق .

الاشخاص الذين لا يعترفون باي قيد او شرط للوصول الى اهدافهم ويعتبرون كل وسيلة مشروعة او غــير مشروعة مباحة والذين يعتبرون مفاهيم من قبيل العدالة والامانة والصدق والاحترام للقيم الانــســانــية محترمة طالما انها تعينهم للوصول الى اهدافهم والا تركوها ونبذوها فمسلما انهم في زمرة الانبيا الكاذبين .

ان الانبيا الصادقين هم اولئك الذين يحترمون الاصول الانسانية حتى في حروبهم ، ولا يعدلون عنها فــي الــشــدائد والــمحن مطلقا ، وعند انتصارهم لايتجاوزون اصول العدالة ، والعفو ، والتسامح مع اعدائهم ، وفي اوقات الخطر واحتمال عدم تحقيق النصر لا يلتجاون الى الوسائل غير الانسانية .

واذا قسنا هذا الاصل الكلي مع حياة نبي الاسلام (ص) والتفتنا الى سلوكه مع الاعدا والاصدقا ، في اوقــات تــحــقيق النصر او عدم تحقيقه ، في الشدة والرخا ،فسوف ندرك جيدا انه كان مت بعا لقيم خاصة في اختيار وسائل الوصول الى الهدف .

لم يلجا النبي (ص) مطلقا في لحظات الخطر الى استخدام اساليب غيرانسانية ، بل وراعى المسائل الاخلاقية الدقيقة حتى في ساحة القتال .

فــعــنــد انــتــصــاره فــي (فتح مكة) اصدر (العفو العام) عن اخطر اعدائه ، وصفح حتى عن القتلة ومجرمي الحرب .

ولما سمع احد قادة الجيش يعلن شعارا ثاريا ويقول :.

(الــيوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم اذل اللّه قريشا) امر فورا بعزله وقال : ليقولوا بدل هذا الشعار (القبيح وغير اللائق) : (اليوم يوم المرحمة اليوم اعز اللّه قريشا) ((٣١٧)) .

وحــتــى حــيــن وقــف كبرا مكة صفا ليروا ما يحكم الرسول (ص) بشانهم (وكان الكثير من الناس يتوقعون ان يشدد ويقسو على هؤلا الاعدا الحاقدين) التفت اليهم (ص) وقال : (ما تظنون اني فاعل بــكــم ؟) قالوا : (لا نظن الا خيرا فقال (ص) :(اقول لكم ماقال يوسف

لاخوته : (لاتثريب عليكم اليوم يغفر اللّه لكم وهو ارحم الراحمين) ((٣١٨)) ــ (اذهبوا فانتم الطلقا).

وعـــنـــدما قتل (خالد بن وليد) اسرى بني خزيمة بدون سبب ووصل الخبر الى نبي الاسلام (ص) تالم بشدة وقال مرتين او ثلاث : (اللهم اني ابر اليك مما صنع خالد) ، ثم امر عليا (ع) ان يذهب مع مبلغ من المال الى تلك القبيلة فيعطيهم دى ة قتلاهم ويعوض ممتلكاتهم التي تضررت بالمال وان يسعى في جلب رضاهم ((٣١٩)) .

ان هــذه الامــور لايــمكن مشاهدتها في حروب عالم اليوم ، وحتى في مهدالحضارة الصناعية ، فقد شــهــد الــعــالــم افضع مسي الانتقام في نهاية الحرب العالمية الاولى والثانية ، والجرائم التى لاتعد للجيوش المنتصرة .

والان كــيف اتصف النبي (ص) بكل هذا العفو والرحمة بين قوم نصف متوحشين ؟ هذا السؤال يجب ان يجيب عليه العقلا والحكما.

كــان ورعــه واجــتنابه عن الوسائل غير الانسانية الى درجة انه (ص) ، يرفضهاحتى ولو تهيات مــقدماتها واسبابها بصورة طبيعية ، ومهما بدت في الظاهر انها مؤيدة له ، ففي حادثة وفاة (ابراهيم ابــن الــنــبــي (ص) قــيل : ان الشمس كسفت تزامنا مع هذه الواقعة ، وقال بعض الناس : انها كرامة ومعجزة من قبل النبي (ص) ، وان الشمس كسفت لوفاة ابراهيم .

لكن النبي (ص) صعد المنبر وقال : (ايها الناس ان الشمس والقمر آيتان من آيات اللّه يجريان بامره مــطــيــعان له ، لاينكسفان لموت احد ولا لحياته ، فاذا انكسفا او احدهماصلوا ، ثم نزل من المنبر فصلى بالناس صلاة الكسوف ، فلما سلم قال : ياعلى قم فجهز ابني) ((٣٢٠)) .

تــشير هذه القصة الى ان النبي (ص) سارع الى هذا العمل حتى قبل اجرامراسيم دفن ابنه ابراهيم كــي يــقضي على هذه الفكرة الخاطئة قبل شيوعها وان كانت لصالحه ظاهرا انه لايريد ان ينتفع من وسائل مغلوطة وغير مشروعة في التقدم لنيل اهدافه ومقاصده .

عــلــى الرغم من ان الحديث قد طال حول هذا الموضوع ، ولكن لابد في الختام من ذكر هذه النقطة وهي : ان دقائق الامور التي جات في اداب الحرب في الاسلام واكد عليها النبي (ص) واثبت عمليا التزامه بها هى شاهد آخر على الادعا الانف الذكر.

فــحــيــنــما كان الجيش الاسلامي يستعد للتحرك الى احد ميادين الجهاد ، كان النبي (ص) يعرفهم بواجباتهم الحساسة بهذه العبارات : (سيروا بسم اللّه وباللّه وفي سبيل اللّه وعلى ملة رسول اللّه ، لاتــغــلو ، و تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا شيخا فانيا ولاصبيا ولا امراة ولا تقطعوا شجرا الا ان تضطروا اليه).

وفــي حــديــث آخــر : ((ولا تحرقوا النخل ، ولا تغرقوه بالما ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تحرقوا زرعا لانكم لا تدرون لعلكم تحتاجون اليه ولا تعقروا من البهائم يؤكل لحمه الا ما

لابد لكم من اكله)) ((٣٢١)) .

وكـــان الـــنـــبي (ص) ملتزما بكل المبادئ الاخلاقية السامية الى تلك الدرجة التي جعلته في معركة خيبر ان يرفض اقتراح من اشار عليه بقطع الما عن اليهودالمحاصرين لمدة طويلة في داخل قلاع خيبر القوية ، واجابه (ص) قائلا : (انني لااقطع عنهم الما ابدا).

وعندما قال له راع لمواشي اليهود : انني حاضر لان اعطيك هذه المواشي كلها ،رفض النبي (ص) ذلك ونهاه ان يخون الامانة التي اودعوها عنده ((٣٢٢)) .

ايمانه وتضحيته في سبيل هدفه . ٦.

مــن الــقــرائن الــرئيــســة الاخرى لمعرفة المدعين الصادقين من الكاذبين هو ايمانهم بما يدعونه وتــضــحيتهم وايثارهم في سبيله ، ولان المدعين الكاذبين مطلعين على حقيقة الامر فانهم بالطبع لا يــضــحــون كثيرا في سبيل هدفهم ، بالاضافة الى انهم مستعدون للمساومة وتحريف مدعياتهم ، في حين ان الصادقين منهم لايجوزون لانفسهم ايا من ذلك .

صحيح ان هذا الامر بمفرده غير كاف ، ولكن يعتبر قرينة جيدة تضم الى القرائن الاخرى .

ولــم يــر في اي من كتب التاريخ ان نبي الاسلام (ص) قد تراجع او تنصل عن معتقداته ، او فر من مــيــدان الــجهاد ، وحتى في معركة (احد) عندما وصلت الحرب الى اقصى درجات الشدة وفر من ساحة المعركة اغلب الجيش (او كله عدا عليا (ع)والتجاوا الى زاوية هنالك حيث بقي النبي (ص) صامدا في الميدان ، محتملا اذى الجراحات بسبب اصابته في جبهته واسنانه ولم يتبق له في الظاهر اي امل بالنجاة ولكنه ظل صامدا.

وفــي قصة (مرض ابي طالب) وطلب قريش منه ــ التي قراناها في بداية الجزالسابق ــ ان يعرض على النبي (ص) ان يكف عن محاربته لعبادة الاصنام ، ويكف عن الدعوة الى الاله الواحد الاحد ، قال (ص) : (لو وضعوا الشمس في يميني والقمرفي يساري على ان اترك هذا الامر حتى يظهره اللّه او اهلك فيه ماتركته) ((٣٢٣)) .

ونــقرا في قصة اخرى :ان قريشا جات للنبي (ص) واعطته وعدا بان تضع تحت اختياره من المال مــايجعله اغنى رجال مكة ، وان يزوجوه اي امراة يريدها ، ويتبعوه بشرط (ان يدع تسفية اصنامنا واذا لــم تــقــبــل فلدينا اقتراح آخر ينفعك وينفعنا وهو ان تعبد الهتنا مثل (اللات) و(العزى) عاما ونحن نعبد الهك عاما لنرى ماتكون العاقبة) ،وهنا نزلت سورة (يايها الكافرون) ، ورد عليهم النبي (ص) بالسلب ((٣٢٤)) .

وفــي تفسير سورة طه (الاية الثانية) نقرا : حينما كان النبي (ص) ــ بعد نزول الوحي والقرآن ــ يــتــعبد الى حد تورمت قدماه المباركتان ، نزلت الاية الانفة لتمنعه من هذا العمل ، وقالت : (ماانزلنا عليك القرآن لتشقى) ، وهذه دلالة على انه الى اي حدكان مؤمنا بتعاليمه .

و(قــصة المباهلة) ودعوة النبى (ص) اعداه ــ ان اذا كنتم تقولون حقا فتعالواباهلكم ، ويطلب كل مــنا من اللّه ان ينزل العذاب على الكاذب منا ويفضحه ــ هي دلالة اخرى على ايمانه الراسخ بدينه ، لانه (ص) اعلن استعداده التام لهذا الغرض وتراجع مخالفوه لانهم غير مطمئنين لاستحكام قواعد دينهم .

وقــد نــقــل مؤرخو الشرق والغرب قصصا وحكايات كثيرة عن (صمود النبي (ص)امام الحوادث ومواجهته للمشاكل الكبرى التي يعجز الانسان العادي عنها.

قال (غوستاف لوبون) المستشرق الفرنسي المعروف : انه لايهرب من اي خطر ، وفي نفس الوقت لايلقي بنفسه الى الخطر بدون دليل ((٣٢٥)) .

ويقول تلميذ تلك المدرسة العظيم امير المؤمنين ((ع) بشان احوال النبي (ص)في ساحات الحرب : (كـــنـــا اذا احمر الباس ولقى القوم القوم اتقينا برسول اللّه ((٦)) فمايكون احد اقرب الى العدو منه) ((٣٢٦)) .

من هم المؤمنون به ؟. ٧.

عادة ما يجتذب الافراد غير الصالحين حولهم افرادا مثلهم ، وهذه القاعدة وان لم تكن دائمة ولكنها في الغالب هكذا.

ويـــتضح ذلك من مطالعتنا للمثل المعروف : (ان المزور يعرف من زائريه) ، وعلة ذلك واضحة لان اهـــل الـــدنـــيـــا ومنتهزي الفرص يتجهون دائما الى اولئك المهيئين للتساوم معهم ، يعطونهم امتيازات وياخذون منهم اخرى ، ليصلوا الى مقاصدهم غير المشروعة .

وهذه المسالة خاصة تظهر اكثر وضوحا حول المقربين والخواص وحافظي اسرار ذلك الشخص ، فـــاذا رايـــنـــا اخلاص خواص تلك المدرسة ، وحملة اسرارها ،وموثوقيها ، ادركنا بالنهاية نزاهة وايـــمان وصدق قائدها ، وبالعكس ، فاذا التف حوله افرادا كذابون ، نفعيون فسوف نفهم بان الما ينبع من منبع آسن .

والان لنلقي نظرة على الخل ص وحملة الاسرار والتلاميذ الاصليين لمدرسة النبي الاسلام (ص) افـــرادا مثل (على بن ابي طالب) ، وفي مراحل لاحقة افرادا مثل (سلمان) و(ابو ذر) و(المقداد) و(عـــمـــار بـــن يـــاسر) و(صهيب) و(بلال) واضرابهم ،فنرى كل واحد منهم كان نموذجا للتقوى والفضيلة والايمان والمعرفة والزهد.

ونموذج آخر من هؤلا الافراد هم (اصحاب الصفة) المهاجرون الابرار الذين غضوا ابصارهم عن كـــل حـــيـــاتـــهم في مكة ، والتحقوا بصفوف اصحاب النبي (ص)وكانوا يعيشون في اسوا الاوضاع الاقتصادية .

او مـــجـــمـــوعـــة السبعين شخصا الذين توجهوا الى منطقة (نجد) لنشر الاسلام ، ثم تجرعوا كاس الـــشـــهادة كلهم في هذا السبيل ، وكانوا يقضون الليل بالعبادة والنهاربجمع الحطب ليضعوا ما تكد به ايديهم باختيار اصحاب الصفة اولئك ((٣٢٧)) .

وكان من بين خلص اصحابه افراد يعيشون في مستويات دنيا من حيث الموقع الاجتماعي ، والجوانب الـــمادية والظاهرية ، ولكن النبي (ص) كان يكرمهم لمميزاتهم المعنوية ويقدمهم على الاخرين الى ذلـــك الـــحـــد الذي سبب اعتراض مخالفيه الشديد وجاه عدد من كبرائهم وكان عنده افراد من امثال ســـلـــمـــان ،وصهيب ، وابي ذر ، وعمار ، وخباب ، ونظرائهم من المعوزين والفقرا ، وحينماوقعت اعـــينهم على ذلك المشهد قالوا بغرور وتكبر : (لو نحيت عن هؤلا روائح صنانهم جلسنا نحن اليك واخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك الاهؤلا).

وهنا نزلت آية (واصبر نفسك مع ال ذين يدعون رب هم بالغداة والعشي) الكهف ــ ٢٨ ، وامر النبي (ص) بان يكون دوما مع هذه الزمرة من اصحاب القلوب الطاهرة الحفاة ، وان

لايمد عينيه الى الاب هة الظاهرية للاثرياالانانيين ((٣٢٨)) .
وفـــي الاية التي بعدها يرد بكلمات حادة وموجعة على مطاليب المستكبرين هذه قائلا : (وقل الحق من رب كم فمن شا فليؤمن ومن شا فليكفر # ان ا اعتدناللظالمين نارا احاط بهم سرادقها).
وهذا البيان الصريح والقاطع يثبت بشكل جيد ان الاسلام عن اي طبقة يدافع ؟وما هي الطبقات التي تحتل الصفوف المتقدمة فيه ؟.
ويعتبر القرآن الكريم التفاف الافراد المؤمنين المخلصين والابرار حول النبي (ص) بانه واحد من شـــواهـــد حـــقانيته (ص) اذ يقول : (افمن كان على بى نة من رب ه ويتلوه شاهد منه) هود ــ ١٧ ، والـــكـــثـــيـــر مـــن الـــمـــفـــسرين يعتقدون بان (البينة) هي نفس القرآن والمعجزات ، وان المقصود بـــ(الشاهد) هم الاتباع المضحون المؤمنون المخلصون انفسهم .
ومـــن الـــبـــديـــهي ان ايمان شخص كعلي (ع) بماله من المميزات العلمية والمعنوية والاخلاقية التي اتضحت في (نهج البلاغة) يمكن ان يكون شاهدا ناطقا على حقانية النبي (ص).
التطور السريع . ٨.
ان التطور السريع ، والتقدم الخارق لدين ما ، وايجاده لتحول عظيم وواسع ،يمكنه ان يشكل قرينة اخـــرى عـــلى اصالته وحقانيته ، لان تاثيرا كهذا يكون ممكنافقط اذا كانت قواعد هذا الدين مستندة الى فطرة الحياة وواقعياتها ، ومنطبقة مع قوانين الخلق والابداع ، اي نفس القوانين المتحكمة بحياة البشر.
فـــالقانون غير الفطري ، والمخالف لروح الانسان وجسمه ، يتقدم بصعوبة بالغة ،واذا تقدم فبسبب استخدام عوامل ضاغطة ، فمثلا في بداية دعوة الشيوعية لنفسهاكان لها تقدم سريع ومثير ، ولكننا نـــعـــرف جـــميعا ان ذلك تم باللجوء الى استخدام القوة وسفك الدما والدكتاتورية الشديدة ، في حين ان التقدم الفكري السريع والعميق اذا جرى في عمق افكار المجتمع كان دلالة على اصالته ، ونحن نعلم بـــان الاســـلام قـــد فـــتح مناطق شاسعة في نفس القرون الاولى من ظهوره بدون ان تطاهااقدام حتى جندي مسلم واحد.
عـــلـــى كل حال ان النمو السريع للاسلام في ظاهر المجتمع البشري وباطنه ،وبمناطق شاسعة من هـــذا الـــعـــالـــم ، وذلـــك في خلال برهة زمنية قصيرة ايضا ، ليس بالشي الذي يبقى خافيا على احد ، والـــمثير ان هذا الدين ظهر في منطقة نصف متوحشة ، وبسط نفوذه على كل العالم المتمدن في ذلك الزمان وفي مدة وجيزة .
وهـــذا الـــنـــفـــوذ الـــســـريع والشامل لازال يشكل لغزا محيرا للمؤرخين الكبار من غيرالمسلمين ، وكنموذج على ذلك :.
١ ــ عندما يصل مؤلفو كتاب (حضارة الغرب ومرتكزاتها في الشرق) وهم ثلاثة من العلما

الغربيين المعروفين ــ الى فصل ظهور وانتشار الاسلام ، يعترفون بصراحة قائلين : (كل المحاولات التي جرت لمعرفة الاسلام وانتشاره السريع ــ الى الحدالذي استطاع ان يبسط ظلاله على القسم الاعظم من العالم المتحضر آنئذ في اقل من قرن ــ وعلى الرغم من كل التفسيرات والتحليلات التي وردت عن هذه الحقبة التاريخية فلا زالت هذه القضية باقية على شكل لغز من الالغاز) ((٣٢٩)) .

٢ ــ كتبت السيدة (فاغلري) العالمة الاوربية المعروفة كتابا بعنوان (انتشارالاسلام السريع) يمكن اعتباره شاهدا آخر على هذه المسالة ، اذ اعتبرت الانتشارالسريع للاسلام بانه امر اعجازي ، كما ان القرآن كتاب اعجازى لايمكن ابدالمحمد (ص) العربي الامي ان يبتدعه .

٣ ــ وعبر باحث ايطالي في احد فصول كتابه عن تاريخ الرياضيات حول (الرياضيات عند المسلمين) بانها احدى معجزات العرب .

واعتبر ان ماحدثه الاسلام سريعا وعميقا الى درجة يعجز المنطق والتعبيرالعادي عن تفسيره .

ثم يضيف : (ان ماينسبه البعض من المسلمين للمشيئة والقدرة الربانية في ظهورالاسلام وثقافته هو في الحقيقة دلالة على ان اصل تطور الحضارة البشرية هذا كان غير متلائم مع موازين امكانات ومقتضيات تلك الازمنة الى الحد الذي جعلهم لم يستطيعوا ان يجدوا له تفسيرا سوى مشيئة اللّه وتقديره ((٣٣٠)) .

٤ ــ يقول الكاتب الانجليزي الشهير (برنارد شو) في احد كتبه حول عظمة نبي الاسلام (ص) : (انني انظر دائما الى دين محمد (ص) باحترام كبير ، لانه يتمتع بحركة وطراوة عجيبة ، واعتقد بان الاسلام هو الدين الوحيد الذي يتطابق مع ادوارالحياة المختلفة ، ويتلائم مع كل عصر وزمان نحن ننظر الى القرآن ككتاب لمحمد (ص) بنفس التعظيم والثقة التي ينظر فيها المسلمون له ويعتبرونه كتاب اللّه) ((٣٣١)) .

٥ ــ يتنبا هذا العالم الانجليزي نفسه في مقال عن جذابية الاسلام وانتشاره ويقول : (ان الاسلام وبما يمتلكه من نفوذ معنوي يزيد باضطراد من اتباعه خاصة في البلدان الاوربية) ((٣٣٢)) .

واذا اردنا جمع شهادات المؤرخين المسلمين وغير المسلمين حول هذاالموضوع فانها تشكل كتابا ضخما ، لذا نكتفي بهذا المقدار :.

١ ــ الاخلاق والصفات الخاصة الاخرى لنبي الاسلام (ص) بذاتها شاهد معبرعلى انه يبتغي هدفا مقدسا ، وينفذ مهمة الهية ، ولم تلاحظ اي علامة من علامات المدعين الكاذبين ومنتهزي الفرص المنتفعين في اخلاقياته .

واشارت كل كتب التاريخ تقريبا ــ سوا التواريخ التي كتبها المسلمون او غيرالمسلمين ــ الى قضية نزاهته وامانته والى ذلك الحد الذي يعرف فيه كل الناس هذه الصفات حتى في

الجاهلية ويلقبونه بـــــ(الامين) ، بل وبعد ظهور الاسلام كذلك كان معارضوه واعداؤه يودعونه اماناتهم ، ولهذا السبب عندما اراد النبي (ص) الهجرة الى المدينة بعد مضي (١٣) عاما من ظهور الاسلام امر عليا (ع) ان يبقى في مكة ليعيد للناس اماناتهم ثم يهاجر الى المدينة .

الافـضـــل ان نـــســـتمع لهذا الحديث عن لسان الاخرين ، لنرى ما لدى اولئك الذين هم غربا عنه في الظاهر من شهادات صريحة عن هذا الموضوع :.

يـــنقل عن كتاب (الاعتذار الى محمد (ص)) للانجليزي (جان ديفن بورت)قوله : (بلا شك اذا لم نات به ((محمد)) كواحد من نوادر العالم وكاطهر نابغة استطاع الكون تربيتهم حتى الان ، فيجب ان نـــعـــتبره من اعظم البشر ، والشخصية الوحيدة التي يمكن لقارة آسيا ان تفتخر بوجود هكذا ابن لها) ((٣٣٣)) .

٢ ــ فـــي كـــتـــاب (مـــحـــمد رسول اللّه (ص)) نقلا عن كتاب (الاسلام من وجهة نظرفولتير) ان (نابليون) قال منتقدا (مسرحية فولتير) التي وردت فيها اهانات لساحة الرسول (ص) : (ان فولتير خـــان الـــتـــاريـــخ والـــوجدان الانساني لانه انكر السجايا السامية لمحمد (ص) ، وصور هذا الرجل العظيم الذي سلط نورا آلهيا على وجوه العاملين ،على صورة موجود آخر) ((٣٣٤)) .

٣ ــ وصدقة ان (فولتير) نفسه غير رايه بهذه المسرحية المهينة اواخر عمره واعترف صراحة بـــالـــقـــول : (يـــوجـــد في محمد (ص) شي يدفع الجميع لاحترامه ،وانني اسات كثيرا بحق محمد (ص) ((٣٣٥)) .

٤ ــ جا في كتاب (دائرة المعارف البريطانية) في ذيل كلمة (القرآن) : (يعتبرمحمد (ص) من بين الـــرجـــال والـــشخصيات الدينية العظيمة في العالم اكثرالشخصيات توفيقا وظفرا ، وكانت رسالته مرادفة للنجاح والانتصار) ((٣٣٦)) .

٥ ــ يـــقـــول الـــفرنسي (غوستاف لوبون) مؤلف الكتاب المعروف (حضارة الاسلام والعرب) : (ان بـــساطة ووضوح اصول العقائد الاسلامية بالاضافة الى التعامل مع الناس بالعدل والاحسان الذي طبع وجه الدين الاسلامي بطابعه المنير صار سببا في ان يبسط نفوذه على وجه الارض كلها).

٦ ــ يـــقول (لامارتين) الشاعر الفرنسي المعروف بعد بيان مفصل في مدح نبي الاسلام (ص) :(هذا هو محمد (ص) الذي لو اردنا ان نزن عظمته باي ميزان فاننا سوف نضطر للقول : بانه ما من رجل في العالم اعظم من محمد (ص) ((٣٣٧)) .

٧ ــ طبيب وكاتب لبناني مسيحي معروف اعتبر في اشعاره التي نظمها عن (نبي الاسلام)(ص) بانه افـــضل مدبر وحكيم وعالم ، ورب للكرم والكلام ، ورجل العقل والسياسة ، وبطل ميدان المعارك ، ووصفه بصفات ليس لها نظير ((٣٣٨)) .

٨ ــ مع ان البعض من مؤرخي الغرب المغرضين والمنتفعين حاولوا ان يعطواصورة عن نبي الاسلام (ص) مــخــالفة للواقع ، ولكن الرد عليهم هو نفس الرد الذي كتبه واحدا من باحثيهم باسم (يوحنا واكــنبرت) الذي انتقد في كتابه (محمدوالاسلام) الكتاب المتعصبين والمغرضين الذين كتبوا عن نــبــي الاســلام (ص) خــلافاللحقيقة يقول : (بالقدر الذي يعود فيه الشخص الى الحقائق المعتبرة تــاريــخيا ،والمصادر الموثقة والصحيحة التي كتبت عن اقوال وافعال وحالات محمد (ص)فسوف يبدو في نظره شاتمو هذا النبي امثال (ماركس) و(برايدر) وسائر هؤلاالاشخاص توافه وحقرا وضعفا جدا) ((٣٣٩)) .

مــلــخــص القول : ان ليس اصدقاه واتباعه فحسب ، بل ومخالفوه والبعيدون عنه تحدثوا عن صفاته وســجاياه وملكاته الاخلاقية الفاضلة ، وبرامج حياته الشخصية والاجتماعية القيمة بالقدر الذي لو جمعت اقوالهم هذه لشكلت عدة كتب كبيرة .

مــن مجموع هذه القرائن العشر التي كان لنا في كل منها اشارة عابرة ، يمكن ان يستنتج بانه كان نبيا صــادقــا ورســولا حــقــيقيا ومبعوثا من اللّه العظيم ، ولا يوجد في ذلك ادنى شك او تردد حتى لو غضضنا النظر عن كل معجزاته وخوارق عاداته .

هــذا الدليل يعتبر كافيا لوحده ، بل وكما اشرنا سابقا ايضا ان هذا الدليل بالنسبة للعلما اسمى واعلى من المعجزات .

البشارات والاشارات . تمهيد :.

ثــالث الادلة التي يمكن اقامتها لتصديق اقوال نبي الاسلام (ص) هي البشارات والاشارات التي جات في (الكتب السماوية السابقة) ، وبالرغم من ان الكثير من هذه البشارات قد غطتها غيوم من التعصب وتــم حــذفــها او تغييرها وتزويرها من كثرة التحريفات التي جرت على الكتب السماوية السابقة ، ولــكــن لازالــت اشــارات كــثــيرة عن هذا الموضوع تبدو للناظر في نفس كتب الديانات الاخرى الموجودة بين ايدينااليوم .

وتشير القرائن الى ان هذه الاشارات والدلالات كانت في متناول اليد بداية ظهور الاسلام اكثر من الــوقت الحاضر بالشكل الذي كان القرآن الكريم يستند اليهامكررا ويدعو (اليهود) و(النصارى) للتدقيق فيها ، وبلا شك اذا لم يكن ذلك موجودا ، فلا يمكن للقرآن ان يعتمد على تلك الاشارات بهذه الصراحة .

وهــنــاك نــقطة تلفت الانتباه ، فكما صرحت الكثير من كتب التاريخ ان مجي مجموعة من اليهود الى ارض الــمــديــنــة كان بدافع البشارات التي قراوها في كتبهم عن ظهور نبي الاسلام (ص) ، وان الــشــوق وتــمــني ادراك محضر ظهوره هو الذي اجبرهم على ترك ديارهم والجلا عن اوطانهم وســكنوا المدينة ، والا فان بيئة الحجاز عموماوالمدينة خاصة ليس فيها مايجذب للحياة المادية من قبيل التجارة او الزراعة اوتربية المواشي حتى يختاروها وطنا لهم .

كـــانـــوا يـــعتبرون انفسهم اكثر اهلية من الاخرين في قبول الدين الذي كانواينتظرونه ، ولكن بعد ظهور الاسلام وتعرض مصالحهم غير المشروعة للخطر غيرقسم منهم شكل القضية ، وهبوا في الـــنهاية لمواجهة النبي (ص) ، ولا مجال للتعجب والاستغراب هنا لاننا نشاهد مثل هذا في علاقات الكثير من الاصدقا والروابطالودية لمجموعة من المتحابين .

بـــهـــذه الاشـــارة نـــعود الى القرآن الكريم ، ونتابع الايات التى تشير الى هذا المعنى ،وتوبخ اليهود والنصارى بسبب عدم توجههم لها :.

١ ــ (ال ذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم) (البقرة ــ١٤٦والانعام ــ ٢٠).

٢ ــ (ال ذيـــن يـــت بعون الر سول النبي الامي ال ذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة ر والانجيل) (الاعراف ــ ١٥٧).

٣ ــ (واذ قـــال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول اللّه اليكم مصدقالما بين يدي من التوارية ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمدفلم ا جاهم بالبى نات قالوا هذا سحر مبين) (الصف ــ ٦) .

٤ ــ (ولـــم ا جاهم كتاب من عند اللّه مصد ق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على ال ذين كفروا فلم ا جاهم ماعرفوا كفروا به فلعنة اللّه على الكافرين) (البقرة ــ ٨٩).

٥ ــ (وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروابياتي ثمنا قليلا واى اي فات قون # ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموالحق وانتم تعلمون) (البقرة ــ ٤١ و٤٢).

انهم يعرفونه جيدا. اول آية جات في سورتين من القرآن الكريم تقول :.

(ال ذيـــن آتـــيـــنـــاهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناهم) اي انهم ليسوا مطلعين على اصل ظهوره ودعـــوتـــه وحسب ، بل ويعرفون ايضا اشاراته وخصوصياته وجزئياته ، ويقول في ذيل الاية التي جات في سورة البقرة : (وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون).

ويـــنـــقل عن (عبد اللّه بن سلام) ــ الذي يعد من علما اليهود الكبار ثم اعتنق الاسلام ــ (انا اعلم به مني بابني) ((٣٤٠)) .

وجا في رواية اخرى : ان النبي (ص) عندما جا الى المدينة قال (عمر) لعبداللّه بن سلام : ان اللّه انـــزل آيـــة على نبيه تقول : ان اهل الكتاب يعرفونه كما يعرفونه ابناهم ، فما هي هذه المعرفة ؟ ، فـــقـــال عبد اللّه بن سلام : (اننا نعرفه بصفاته التي بينها اللّه ، وعندما نراه فيكم نشخصه من بينكم كما يشخص احدنا ابنه عندما يراه بين الاولاد) ((٣٤١)) .

والـــتـــفـــســـير المشهور للاية والذي ينطبق جيدا مع ظاهرها هو هذا التفسير الذي بيناه ، ولكن تم عـــرض احـــتـــمـــالـــين آخرين في تفسير الاية وهما : الاول : ان الضمير في (يعرفونه) يعود الى (الاطـــلاع عـــلى النبوة) والثاني : الى (مسالة القبلة) ، وبنا على ذلك فان الاول هو اشارة لاطلاع ومـــعـــرفـــة اهـــل الـــكتاب بمسالة (النبوة) ، اما الثاني

فهواشارة لمعرفته بامر (تغيير القبلة) عند المسلمين من (بيت المقدس) الى (الكعبة) وكلا الاحتمالين ضعيفان جدا.

فـــي الاية الثانية ــ تذكر تسعة اوصاف من صفات النبي (ص) التي هي في الواقع دلائل على حقانيته مـــن زوايا مختلفة ــ بعضها اشارة الى المضمون الرفيع لدعوته وبرامجه ، وبعضها اشارة الى قرائن اخـــرى مـــثـــل امـــيته وعدم تعليمه ، وشفقته ورحمته ، وامثال ذلك ، وتستند في قسم آخر من هذه الدلائل الى مسالة اوصافه وعلاماته وسماته في الكتب السماوية السابقة (التوراة والانجيل) ــ تقول :.

(ال ذين يتبعون الر سول الن بي الامي ال ذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل اولئك هم المفلحون).

ومع عدم ذكر اسم النبي (ص) في هذه الاية صراحة ولكن الاوصاف التي ذكرتها ترمي بوضوح الى ان المقصود هو نفسه .

فكيف يمكن القبول بان القرآن يتحدث مع اليهود والنصارى بهذه الصراحة ،ويخبرهم بوجود دلائل وعـــلامات النبي (ص) في كتبهم ولكن هذه المسالة لاتطابق الحقيقة وانهم يسكتون ؟ ويقينا اذا لم تـــكـــن هذه الاشارات والعلامات موجودة في كتبهم فانهم سيتخذونها حجة وذريعة مهمة ضد النبي (ص) ، ولصر حوا لها في كل مكان ، واذا كان ذلك قد حصل لنقله التاريخ لنا.

وبـــنـــا عـــلى هذا فعلى الاقل ان سكوتهم يعتبر دليلا ساطعا على وجود هذه القرائن والاوصاف في كـــتـــبهم ، وعلاوة على ذلك على حد قول الفخر الرازي : اذا لم تكن لهذا الامر حقيقة واقعية لكان مـــوجبالنفرة اليهود والنصارى من الاسلام ،والشخص العاقل لايقدم مطلقا على ما يوجب تنفر الناس (خـــاصـــة فـــي مـــجـــال الـــدعـــوة) ((٣٤٢)) ، وكـــما سيمر علينا لاحقا فان قسما من هذه الدلائل والاشارات موجودحتى في كتبهم المحر فة الحالية .

والـــمـــلـــفـــت للنظر هو ان القرآن لايقول : (يجدون علائمه ودلائله) ، بل يقول :(يجدونه) ، اي يـــجـــدون نفس ذلك النبي (ص) في التوراة والانجيل ، وهذا التعبيرالذي يعني حضور النبي (ص) في كتبهم هو تاكيد على منتهى وضوح هذاالامر.

وفـــي الـــبـــعـــض مـــن الـــروايات الاسلامية جا في ذيل الاية : ان بعض المسلمين سالوا شخصين من المطلعين على التوراة كلا على حدة وانهما ذكرا اوصاف النبي (ص) بدقة متطابقة ((٣٤٣)) .

٣ ــ فـــي الايـــة الـــثالثة نقرا عن لسان عيسى بن مريم انه اعطى البشارة امام بني اسرائيل (واذ قال عـــيـــســـى بـــن مريم يابني اسرائيل ان ي رسول اللّه اليكم مصدقا لمابين يدي من التوراة والانجيل مبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد) ، ويقول في نهاية الاية : (فلم ا جاهم بالبى نات قالوا هذا سحر مبين).

والـــمـــثـــيـــر للاهتمام هو ان القرآن ينقل اقوال هؤلا في مخالفتهم ومعارضتهم للمعجزات واتهامهم عـــيـــســـى (ع) بالسحر ، ولكنه لم يتحدث عن معارضتهم حول اخبار (المسيح (ع)) بمسالة مجي (احمد (ص)) ، وهذا دليل واضح على انهم لاينكرون هذا الخبر.

٤ ــ فـــي الايـــة الـــرابعة نواجه نقطة جديدة تقول : (ولم ا جاهم كتاب من عند اللّه مصدق لما معهم وكـــانـــوا مـــن قـــبـــل يـــســـتفتحون على الذين كفروا # فلما جاهم ماعرفوا كفروا به فلعنة اللّه على الكافرين).

ان هـــذه الايـــة جـــات لـــتـــشير الى السبب الذي استوجب نزولها من ان (اليهود)هاجروا من ارضهم وديـــارهـــم الـــى المدينة لرؤيتهم علامات نبي الاسلام (ص) التي في كتبهم ، ولانهم قراوا فيها ان محل هجرة هذا النبي (ص) بين جبلي (عير) و(احد) ــوهما جبلان على طرفي المدينة ، ولهذا فقد جاوا وسكنوا المدينة وكتبوا حتى لاخوانهم باننا وجدنا الارض الموعودة فتعالوا الينا.

فـــقال اولئك الذين ليسوا بعيدين جدا عنها : انه لاتفصلنا فاصلة كبيرة عن تلك المنطقة وحين يهاجر الـــيها النبي الموعود نلتحق بكم و(الخزرج) يقولون : (نحن في ظل النبي الجديد سوف ننتصر عليكم) ((٣٤٤)) .

ولـــكنهم للاسف عندما ظهر هذا النبي نهضوا لمخالفته ، لانهم لم يروه ملبيالميولهم واهدافهم غير المشروعة .

وهذه كلها تدلل على ان مسالة ظهور نبي الاسلام (ص) جات واضحة في كتبهم الى حد ما.

الـــنـــقـــطـــة الجديرة بالتامل ان عبارة ((مصدق لما معهم)) او مايشابهها من تعبيروردت في القرآن الكريم اكثر من عشر مرات ، وليس مفهومها ان النبي (ص) يؤيدكتبهم السماوية مع ما حدث فيها من تـــحـــريـــف) ، بل المقصود ان اوصاف النبي (ص)موافقة ومتطابقة مع العلامات والاشارات التي في ايـــديـــهم ، وبتعبير آخر ان للنبي (ص) وكتابه السماوي نفس الاوصاف التي كانوا يعرفونها من قبل بالضبط وكان في الحقيقة تصديقا لكتبهم السماوية من ناحية تطابقها تماما مع صفاته (ص).

وبهذا الترتيب تعتبر كل الايات التي جا فيها هذا التعبير في زمرة الايات التي نحن بصددها في هذا البحث .

٥ ــ وختاما فان الاية الاخيرة ــ التي تخاطب اليهود حول الموضوع ــ ضمن .

تاكيدها على وجوب الايمان بالكتاب السماوي للنبي (ص) الذي يتطابق ومالديهم من علامات ، تقول : (وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولاتكونوااول كافر به).

اي ان عبدة الاوثان من العرب اذا كفروا به فلا عجب في ذلك ، بل العجب كل العجب هو ان تنكروه انـــتـــم ، لان الـــمـــتوقع منكم ان تكونوا اول المؤمنين به ،والا الستم الذين هجرتم مدنكم وديياركم وجـــئتـــم الـــى المدينة شوقا للقاه او لم تعدوا الايام والليالي انتظارا لظهوره ؟

اذن لم تنعكس القضية وتكونون انتم او ل الكافرين به ؟ ثــم تــشير الاية الى الباعث لــ((تغيير اسلوبهم)) هذا وتقول لهم لاتكتموا الحقائق من اجل المنافع المادية (ولا تشتروا بياتي ثمنا قليلا واياي فتقون).

وهــذا اشــارة الــى ان اي ثــمــن ياخذونه مقابل ذلك فهو لا شي ، حتى ولوكان العالم كله ، ولكنكم يــااصــحــاب الــهمم الدنية ، من اجل مصالحكم المادية التافهة (احيانا من اجل ضيافة سنوية) كتمتم الايات التي تحمل علامات واوصاف النبي (ص).

ثم تقول الاية تاكيدا للمراد : ((ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون)).

وفي الحقيقة فان اليهود ارتكبوا عدة مخالفات في هذا المجال :.

الاولى : انهم تعاهدوا على ان يكونوا اول المؤمنين بالنبي (ص) في حين كانوا اول الكافرين به .

الثانية : انهم لبسوا الحق بالباطل حتى يطمسوا وجهه ويوقعوا الناس في المتاهات .

الثالثة : انهم كتموا الحق وهم يعلمون بانه حق واشتروا بالايات الالهية ثمناقليلا.

وهــناك في القرآن الكريم آيات متعددة اخرى بنفس المعنى (اي تحكي عن ((كتمان الحقائق)) من قبل اليهود) والظاهر ان تلك الايات كلها تشير الى نفس مسالة كتمان آيات النبوة .

ويــســتــفاد من مجموع ماجا في الايات الانفة بان اوصاف وعلامات نبي الاسلام (ص) وحتى اسمه المبارك قد وردت في الكتب السابقة ، وقدمت بشارات واشارات كثيرة بالنسبة لظهوره .

ونــتجه الان صوب كتب العهدين الموجودة في متناول ايدينا (التوراة والانجيل) ، لنبحث في نماذج من هذه العلامات والاشارات :.

التبشير بظهور النبي (ص) في الكتب السماوية . كما اشرنا من قبل ، فاننا نجد في كتب اليهود والنصارى الموجودة اليوم علامات ذلك النبي العظيم ، ولــكن قبل ظهوره كانت توجد يقينا مسائل كثيرة طمست في ظلمات الكتمان على اثر عدم انسجامها مع التعصبات العمياالصما او متطلبات مصالح زعمائهم .

وحول (بشارات العهدين) كتبت مؤلفات متعددة ، او خصصت لها اقسام من بعض الكتب ، وتناولها كلها ليس من شان هذا التلخيص ، ونكتفي ببعض النماذج البارزة :.

١ ــ تــم الــتاكيد في ثلاث موارد من ((انجيل يوحنا)) على لفظة (فارقليط) او(فارقليطا) والتي تعني في العربية بــ(المعز ي).

ونــقــرا فــي مــورد مــنها : (وساطلب من الاب ان يعطيكم معزيا اخر(فارقليطا) ، يبقى معكم الى الابد) ((٣٤٥)) .

وجا في مورد اخر : (ومتى جا المعزي الذي ارسله اليكم الاب ، روح الحق المنبثق من الاب ، فهو يشهد لي) ((٣٤٦)) .

وفـــي الباب التالي له : (صدقوني ، من الخير لكم ان اذهب ، فان كنت لااذهب لايجييئكم المعزي اما اذا ذهبت فارسله اليكم) ((٣٤٧)) .

مـــمـــا يجلب الانتباه ان الفخر الرازي ينقل في الجز (٢٩) من تفسيره صفحة (٣١٣) عن الاناجيل الـــموجودة في عصره (انجيل يوحنا ــ الباب ١٤) : (واناطلب لكم الى ابي حتى يمنحكم ويؤيتكم الـــفارقليط حتى يكون معكم الى الابد) وهذا عين ماذكرناه اعلاه ولكن بالتصريح بلفظة (فارقليط) ويذكر نفس المعنى بالتصريح بلفظة (فارقليط) ايضا عن الباب ١٥ و ١٦ منه .

ان (فـــارقـــلـــيـــط) الـــتـــي تـــلـــفظ باللغة اليونانية (بريكلتوس) او (براقليتوس) فسرهاالكثير من الـــمـــسيحيين بمعنى (المعز ي) او (روح القدس) ، ولكن جمعا منهم ذكر ان معناها (كثير الحمد) وهو مايتطابق تماما مع اسم احمد ومع الاية /٦ من سورة الصف التي تقول : (ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد).

وان مـــايـــتضح من المطالعة الدقيقة لجذور هذه الكلمة هو ان (فارقليط) كلمة يونانية الاصل ، وان جذرها (بريقلتوس) ومعناه (كثير الحمد) التبس عليهم مع (براقليتوس) التي تعني (المعز ي).

ينقل السيد حسينيان مؤلف كتاب (السراج) ((٣٤٨)) في بداية كراسه الصغيروالملي بالمضامين ، عين المتن اللاتيني لانجيل يوحنا عن كتاب باسم (الاناجيل) من تاليف ((لامينيه)) ــ طبع باريس ــ والموجود حاليا في مكتبة مجلس الشورى الاسلامي .

مـــايـــدلـــل جـــيـــدا على ان كلمة (فارقليط) وردت هناك على صورة (بركليت)ـــالتي تعني بالعربية (احـــمـــد) وبـــالـــفـــارســـيـــة (كـــثير الحمد) وليس بصورة بركليت (باراكليت) التي تعني (المعز ي) ((٣٤٩)) ، ولـــكـــن للاسف ازيح التعبير الاول فيمابعد من متون الاناجيل وحل محل ه التعبير الثاني .

ويـــضـــيـــف ايـــضـــا : (ان قـــدما النصارى فهموا من لفظ ((براكليت)) اسما خاصالشخص ، لان في التراجم السريانية جا عين اللفظ ((اي فارقليط)) ، وفي التراجم العبرانية الموجودة لدي ورايتها شـــخصيا ((قرقليط)) ولانهم يعتبرونه اسم انسان ((معين)) ، والترجمات العبرانية والسريانية عند المسيحيين لها كمال الاهمية والاعتبار) ((٣٥٠)) .

وفـــي الـــواقـــع فان مفردات من قبيل (محمد) و(علي) و(حسن) و(حسين)وامثالها لايمكن مطلقا تـــرجـــمتها عند ترجمة العبارات ، فمثلا : بدل جملة (جاعلي) لايقول الفارسي ابدا : (بلند مرتبه آمد) بل يقول (علي آمد) ، ولكن المؤسف ان العلما المسيحيين في الازمان المتاخرة ، ومن اجل محو علامة نبوة نبي الاسلام (ص) هذه ابدلوا اولا لفظة (بركليت) ب(باراكليت).

وثانيا اخرجوها من صورتها كاسم علم الى معنى وصفي وقالوا بدلها((المعز ي)) فتامل .

يــتضح من هذا الكلام ان اللفظة الاصلية اذا كانت (بريقليتوس) فان معناها(كثير الحمد) ومن غير المستبعد التباسها مع (براقليتوس) ، وطبعا ان احتمالات التعمد في هذا التفسير كثيرة جدا.

يــقــول الــمــرحــوم (العلامة الشعراني) في كتابه ((نثر طوبى)) : (رايت في احدقواميس اللغة اليونانية ان ((فارقليط)) ترجم معناها ب((كثير الحمد)) اي من تتناقله الالسن ويذكر بالخير) ثم يــضــيــف :ان قــواميس اللغة اليونانية باللغة الانجليزية ،والقواميس الفرنسية موجودة في كل مكان و(يــمكنكم مراجعتها ولكن) يعتبرهاالمسيحيون مصحفة ومحرفة ويترجمونها بمعنى (المعزي) وقد كتبنا نحن رسالة مستقلة في هذا الباب) ((٣٥١)) .

ونــطــالــع فــي كــتاب قاموس مفردات القرآن ((٣٥٢)) تاليف الدكتور قريب : ((ان المستفاد من الروايات هو ان الانبيا العظام ــ كل بنوبته قد بشروا في كتبهم بحضرته نبي الاسلام (ص) ثم ينقل عــن الــكــثــيــر مــن الــمــصادر الاسلامية ان اسمه في الانجيل ((الفارقليطا)) التي يكون معناها ((احمد))) ((٣٥٣)) .

وفــيــما عدا ذلك ففي تعبيرات الانجيل نفسه توجد جمل تشير الى ان هذه الكلمة وباي تعبير تكون فهي تتحدث عن نبي يظهر ويبقى دينه خالدا.

فجملة (وساطلب من الاب ان يعطيكم معزيا آخر يبقى معكم الى الابد) ((٣٥٤)) دليل واضح على ان المقصود من (المعزي) هو نبي دينه ابدي وخالد.

ويــقول هناك : (ومتى جا المعزي الذي ارسله اليكم الاب ، روح الحق المنبثق من الاب ، فهو يشهد لي) ((٣٥٥)) .

وواضــح ان هــذا الــمــعزي هو نبي وليس روح القدس وتكمن في تعاليمه كل الحقائق ولن يبق شي يستحق القول .

وعلى كل حال لا مجال لاي شك او ترديد بان كلمة (احمد) او مفردات من قبيلها كانت موجودة في الانــاجيل المتوفرة في زمن النبي (ص) ، والا فان الاية السادسة من سورة الصف ستكون في مظان الاعــتــراض الــشــديد من قبلهم ولاصبحت حجة قوية لهم في محاربة الاسلام في حين لم ينقل لنا التاريخ الاسلامي مثل هذا الشي .

وبــنــا عــلى ذلك يبدو ان البعض من علما المسيحية حينما راوا ان مواقعهم معرضة للخطر اتخذوا قــرارهــم بــتــحريف وتبديل تلك المعاني الى معاني اخرى وحتى يمكن مشاهدة نفس الاسم المقدس لــلــنــبــي (ص) فــي بــعض كتب المسيحيين التي كانت موجودة لقرون بعد ظهوره (ص) في زوايا العالم المختلفة .

والــشــاهد على هذا الكلام بيان مثير لاحد العلما المسيحيين الذين اعلنواسلامهم في كتابه (انيس الاعلام) وهو كتاب تحقيقي فريد ازاح الستار عن هذاالجانب .

وباعتباره كان بنفسه احد القساوسة المسيحيين المعروفين وانهى دراسته عند كبار علما

المسيحية ووصل الى مقام كبير في نظرهم ، يشرح في مقدمة كتابه المذكور قصة اسلامه العجيبة بهذا الشكل ، يـــقـــول : ((بـــعد تنقيب كثيروجهود خارقة وجولات في المدن المختلفة وصلت الى قسيس رفيع الـــمـــســـتـــوى كـــان مـــمتازا من ناحية الزهد والتقوى ويعود اليه ابنا الطائفة (الكاثوليكية) من ملوك وغـــيـــرهـــم بـــاسئلتهم الدينية وقد درست عنده فترة مذاهب النصارى المختلفة وكان عنده تلامذة كثيرون ولكن كان له تعلق خاص بي من دونهم وكانت مفاتيح المنزل كلها بيدي الا مفتاح واحد لاحد الخزائن كان يحتفظ به عنده .

في تلك الاثنا احس القسيس المذكور يوما بوعكة صحية ، فقال لي : قل للتلاميذ انني لاطاقة لي على الـــتـــدريـــس وعـــنـــدمـــا جـــئت لـــلطلبة وجدتهم مشغولين بالبحث والنقاش الذي انجر الى معنى لفظة (فـــارقليطا) في السريانية و(بريكلتوس) باللغة اليونانية وقد امتد جدالهم وطال ، وبدا لكل واحد مـــنـــهم رايا بعد ان عدت الى الاستاذ سالني : ما بحثتم اليوم ؟ فقدمت له تقريرا عن اختلافهم في لفظ (فارقليطا) قال : وانت اي الاقوال انتخبت ؟.

قلت : انتخبت ما اختاره فلان مفسر.

فـــقـــال الـــقـــس : مـــاقـــصرت ولكن الحق والواقع يخالف كل هذه الاقوال ، لان الحقيقة لايعلمها (الا الراسخون في العلم) وقليل من هؤلا ايضا من يعرفها ،فالححت عليه ان يقول لي معناها ، فبكى بشدة وقـــال : انـــنـــي لا ابـــخـــل عـــليك باي شي ان في تعلم معنى الاسم اثرا عظيما ولكن بمجرد شيوعه ســـيقتلوننا اناوانت واذا عاهدتني بان لا تقول لاحد سابين لك المعنى فاقسمت له بكل المقدسات ان لا ابوح باسمه ، عندئذ قال : ان هذا الاسم هو من اسما (نبي المسلمين) ومعناه (احمد) و(محمد) :.

ثـــم اعـــطاني مفتاح تلك الغرفة الصغيرة وقال : افتح باب الصندوق الفلاني وآتني بكذا وكذا كتاب ، فجلبت الكتابين له وكانا مكتوبين بالخطاليوناني والسرياني قبل ظهور نبي الاسلام على الجلد.

وقد ترجم لفظ (فارقليطا) في كلا الكتابين بمعنى (احمد) و(محمد) ، ثم اضاف الاستاذ قائلا : لم يـــكن عند علما النصارى اي اختلاف قبل ظهور نبي الاسلام بان (فارقليطا) تعني (احمد ومحمد) ولـــكـــن بـــعـــد ان ظـــهـــر محمد اولواللفظة واخترعوا لها معنى آخر من اجل الابقا على رئاستهم ومنافعهم المادية وقطعا ان هذا المعنى لم يقصده صاحب الانجيل .

فـــســـالـــته : ماتقول عن (دين النصارى) ؟ قال : نسخ بمجي الدين الاسلامي وكرر هذا اللفظ ثلاث مـــرات ، فقلت : في هذا الزمان ماهو طريق النجاة والصراط المستقيم ؟ قال : انه منحصر في اتباع محمد(ص).

قلت : وهل ان تابعيه من اهل النجاة ؟ قال : اي واللّه (كررها ثلاثا).

ثم بكى الاستاذ وبكيت انا ايضا وقال : اذا كنت تريد الاخرة والنجاة فيجب ان تقبل دين الحق وسوف ادعـــو لـــك دائمـــا ، بـــشـــرط ان تـــشهد لي يوم القيامة باننـي كنت مسلما في

الباطن ومن اتباع حضرة محمد(ص) وليس من شك اليوم ان ((دين الاسلام)) هو دين اللّه على وجه الارض) ((٣٥٦)) .

وكما تلاحظون فان علما اهل الكتاب ــ وفق هذا السند ــ فسروا وبرروااسم وعلامات النبي (ص) بعد ظهوره بشكل آخر من اجل مصالحهم الشخصية .

ســـؤال :.

يطرح هنا سؤال وهو : ان الاسم المعروف للنبي (ص) (محمد) في حين سمي في الاية ٦ من سورة ((الـــصـــف)) بـــاسم (احمد) ، وهاتان المفردتان وان لم تختلفا كثيرا في دلالتهما على معنى ومفهوم (مـــحمود) ولكنهما في الظاهراسمان مختلفان وبنا على ذلك اذا كانت (فارقليطا) تعني (محمود) ، فانهاتنسجم مع كليهما ، ولكن تعبير القرآن ب(احمد) لاينسجم مع الاسم المعروف للنبي (ص).

الجـــواب :.

ستتضح الاجابة جيدا على هذا السؤال ببيان بعض النقاط :.

١ ــ جــا فــي الــتــواريــخ بان للنبي (ص) منذ طفولته اسمين ، وحتى ان الناس كانت تخاطبه بكليهما احدهما : (محمد) والاخر (احمد) ، والاول اختاره له جده (عبد المطلب) والثاني : امه (آمنة) ، وقد ذكر هذا الموضوع بالتفصيل في السيرة الحلبية .

٢ ــ مــن بــيــن الــذين ينادونه مرارا بهذا الاسم ، عمه (ابو طالب) ، وفي ايديناليوم كتاب بعنوان (ديوان ابي طالب) نشاهد فيه قصائد كثيرة ذكرت النبي (ص)بعنوان (احمد) مثل :.

ارادوا قتل ((احمد)) ظالموهم ــــــــــ وليس بقتلهم فيهم زعيم .

وان كــان ((احــمــد)) قــد جائهم ــــــــــ بحق ولم ياتهم بالكذب ((٣٥٧)) وفي غير (ديوان ابي طالب) نقلت عنه اشعار في هذا المجال مثل :.

لقد اكرم اللّه النبي محمدا ــــــــــ فاكرم خلق اللّه في الناس احمد ((٣٥٨)) .

٣ ــ ويرى هذا التعبير ايضا في اشعار (حسان بن ثابت) الشاعر المعروف في عصر النبي (ص) :.

ومفجعة قد شفها فقد احمد ــــــــــ فظلت لالا الرسول تعدد.

والاشعار التي جا فيها اسم (احمد) بدلا من محمد سوا في ديوان ابي طالب او غيره كثيرة جدا ولا مجال لنقلها كلها هنا ونختم هذا البحث ببيتين اخرين لابن ابي طالب (علي (ع)) حيث يقول :.

اتامرني بالصبر في نصر ((احمد))ــــــــــ واللّه ماقلت الذي قلت جازعا.

ساسعى لوجه اللّه في نصر ((احمد))ــــــــــ نبي الهدى المحمود طفلاويافعا ((٣٥٩)) .

٤ ــ نــقــرا فــي الــروايات التي جات تتحدث عن مسالة المعراج بان اللّه خاطب النبي (ص) في ليلة الــمــعــراج مــرات بــاســم (احمد) وربما من هنا اشتهربان اسمه في السما (احمد) وفي الارض (محمد).

وجــا ايــضا في حديث عن الامام الباقر(ع) ان للنبي (ص) عشرة اسماجات خمسة منها في القرآن وهي : (محمد) و(احمد) و(عبد اللّه) و(يــس)و(ن) ((٣٦٠)) .

٥ ــ عــندما تلى النبي (ص) الايات المذكورة (آيات سورة الصف) لاهل المدينة ومكة وسمعها اهل الــكتاب ايضا ، لم يعترض اي واحد من المشركين واهل الكتاب بان (الانجيل) بشر بمجي (احمد) بينما اسمك (محمد) وسكوتهم هذا دليل على اشتهار هذا الاسم في ذلك المحيط ، لانه اذاحدث مثل هذا الاعتراض لكان قد نقل الينا مع ان اعتراضات الاعدا وحتى في الموارد الجارحة جدا مثبتة في التاريخ .

نستخلص من مجموع هذا البحث ان اسم (احمد) كان من الاسماالمعروفة لنبي الاسلام (ص).

٢ ــ نــشاهد بشارة اخرى في سفر التكوين والظهور في (التوراة) في الفصل السابع لايمكن

تطبيق علاماتها الا على النبي (ص).

ففي الجمل من ١٧ الى ٢٠ نطالع : (وقال ابراهيم للرب ياليت اسماعيل يعيش امامك فقال اللّه سمعت دعائك في حق اسماعيل وها انا اباركه واكثرنسله وسيلد منه اثنا عشر رئيسا وسنجعله امة عظيمة) ((٣٦١)) .

وفي كتاب (انيس الاعلام) ينقل متن جمل التوراة المكتوبة باللغة العربية ويكتب ترجمتها على هذا الشكل : (واثمره واعظمه بـ((مادماد)) والاثنا عشراماما الذي سيكون من نسله وسنجعله امة عظيمة) ((٣٦٢)) .

ثم يضيف : (ان ((مادماد)) هو نفس ((محمد (ص))) بالعبرانية).

ومع الالتفات الى ان النبي هو من نسل اسماعيل ، وجا في البشارة المذكورة بانه سيكون امة عظيمة ويخرج منه (اثنى عشر سيد وامام) سيتضح عدم وجود اي مصداق لها سوى شخص النبي (ص) ، واذ الحقنا بها لفظة (مادماد) التي وردت في النص العبري ــ وان لم ياتوا بها في الترجمة من العربية الى الفارسية ــ ستتضح اكثر واكثر.

ان قيل بان هؤلا (الاثنى عشر سيدا واماما) وكذلك الامة العظيمة اشارة الى (موسى (ع)) و(اسباط بني اسرائيل الاثني عشر) ففي الحقيقة ان اللّه بشرابراهيم بظهور موسى (ع) يكون الجواب على ذلك واضحا لان موسى (ع)واسباط بني اسرائيل هم من نسل اسحاق ، في حين ان العبارة الانفة تعرفهم على انهم من ابنا اسماعيل ولا يمكن ان يكون لها مصداقا الا نبي الاسلام (ص).

٣ ــ جا في سفر التكوين (التوراة) ــ الباب ٤٩ رقم ١٠ : (ولن تؤخذ عصى السلطنة من يهودا حتى ياتي شيلوه التي ستجتمع حوله الامم) ((٣٦٣)) .

وظاهر هذه العبارة هو ان حكم (يهودا) وتسلط بني اسرائيل سيستمر حتى ظهور (شيلوه) وتجتمع الامم حوله .

اما من هو وما هو المقصود بـ(شيلوه) ، فان مؤلفي اليهود والنصارى قدموااحتمالات كثيرة كان اغلبها لاتتسق مع العبارة المذكورة باي وجه ، ومن جملتهاان (شيلوه) تعني مكانا للاستراحة او مدينة في شمال ((بيت ايل)) او محلايسمونه الان (سيلون) ، والمسلم فيه ان التعبير بمجيئه واجتماع الامم حوله هواشارة الى شخص وليس اشارة الى مكان او محل .

و(مستر هاكس) الاميركي مؤلف كتاب (القاموس المقدس) ضمن عده للمعاني المختلفة لهذه المفردة ذكر معنى (مرسل) التى تنطبق على لفظة رسول او رسول اللّه .

والشي الوحيد الذي يمكن ان يقال هو ان بشارة التوراة هذه هي اشارة لظهور (المسيح (ع)) كما قالوا ولكن ــ حسب قول فخر الاسلام في (انيس الاعلام) : ان هذا الاحتمال غير صحيح لان المسيح (ع) هو من ابنا (يهودا) من جهة الام .

وبـــنـــا عـــلـــى ذلك فان حاكميته تعتبر امتدادا لحاكمية يهودا ، وفي هذه الحالة لم يبق من مصداق لها ســـوى نـــبـــي الاســـلام (ص) المرسل من اللّه الذي تزاح بظهوره حكومة (آل يهودا) خصوصا في المدينة وخيبر والشامات والكثيرمن المناطق الاخرى ((٣٦٤)) .

طـــبـــعـــا ذكـــرت بـــشارات متعددة اخرى ايضا في كتب العهدين يطول شرحهاوان البعض منها قابل للايراد والتجريح ، والذين يرغبون بالبحث والتحقيق اكثرفي هذا الموضوع يمكنهم الرجوع الى كتب (انيس الاعلام) و(بشارات العهدين) و(البشارات والمقارنات).

الخاتمية في القرآن الكريم . تمهيد :.

مـــســـالـــة (الخاتمية) وان نبي الاسلام (ص) هو آخر الانبيا الالهيين من المسائل التي يعتقد بها كل الـــمـــســـلـــمـــيـــن مـــن اي فرقة او مذهب كانوا ، ولا يعرفهاالعلما فحسب بل وآحاد المسلمين ايضا ويـــعـــتبرونها من (ضروريات الاسلام)التي يتوصل اليها اي احد بسرعة مهما قلت معاشرته لاتباع هذه المدرسة وهي انهم يعتبرون النبي (ص) هو آخر الانبيا الالهيين .

ومـــنـــبـــع هـــذا الاعتقاد يعود الى (القرآن الكريم) و(الروايات الاسلامية) لان هذه المسالة ليست بـــالـــشي الذي يمكن اثباتها بالادلة العقلية فقط ويقينا بعدقبولهم للقرآن الكريم بصفته كتابا سماويا ، ونبي الاسلام (ص) كونه رسولاللّه يمكن الاعتماد على قولهم بهذا الصدد.

لـــهـــذا الـــســـبـــب نـــتـــوجه اولا الى الايات القرآنية ، ثم نتطرق الى الشواهدالتاريخية والروايات الاسلامية ، ونختتمها ببعض الشبهات التي القاها مخالفوالاسلام حول خاتمية النبي (ص) :.

الايـــة الـــرئيـــسية التي تشهد على هذا المعنى هي الاية ٤٠ من سورة الاحزاب التي تقول : (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول اللّه وخاتم النبيين # وكان اللّه بكل شي عليما).

وذكر العلما آيات متعددة اخرى حول الموضوع اذا لم نقبل دلالتهاالقطعية فلا اقل من احتوائها على اشارات مثل :.

١ ــ (ان الـــذيـــن كفروا بالذكر لما جاهم وانه لكتاب عزيز # لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (فصلت ــ ٤١ و ٤٢).

٢ ــ (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (الفرقان ــ١).

٣ ــ (واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) (الانعام ــ ١٩).

٤ ــ (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) (سبا ــ ٢٨).

٥ ــ (قل يا ايها الن اس اني رسول اللّه اليكم جميعا) (الاعراف ــ١٥٨).

٦ ــ (ان هو الا ذكرى للعالمين) (الانعام ــ ٩٠).

٧ ــ (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (الانبيا ــ ١٠٧).

جمع الايات وتفسيرها.

فـــي الايـــة الاولى (الاحزاب ــ ٤٠) اشارة الى قصة (زيد) الذي كان يسمى ابن النبي (ص)

بالتبني وتــزوج الــنبي بزوجته المطلقة حتى يحطم السنة المغلوطة لــ(الابن بالتبني) حتى لا تبقى المراة التي زوجت لزيد عن طريق النبي (ص)وانفصلت عنه اثر عدم التفاهم ، بدون معيل ، تقول : (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) ثم تضيف : (ولكن رسول اللّه وخاتم النبيين).

وفي الحقيقة تنفي الاية في بدايتها نسبة الابوة والبنوة الجسمية والنسبية عنه بشكل كامل ، ولكنها فــي الــجــملة التالية تثبت له الرابطة المعنوية المتاتية من مقام النبوة والخاتمية ، اي انه ليس ابيكم الــجــسدي ، بل هو ابيكم الروحي ،وابي كل الاجيال اللاحقة حتى نهاية الدنيا ، واذا نقل في بعض الروايات عن النبي (ص) قوله : (انا وعلي ابوا هذه الامة) فهو ايضا اشارة الى نفس الابوة الروحية التي تنبع من التعليم والتربية والقيادة .

ويــجــب الالــتــفــات الى ان للنبي (ص) عدة اولاد نسبيين باسما (القاسم) ،(الطيب) ، (الطاهر) ، و(ابــراهــيــم) ورحــلــوا جــمــيــعــهــم عــن هــذا العالم قبل البلوغ ولهذا السبب لم تسميهم الاية (رجال) ((٣٦٥)) .

ضمنا هناك رابطة اخرى بين مسالة ختم النبوة فقد الولد وهي ان الكثير من اولاد الانبيا كانوا انبيا ايــضــا ، ولان النبي (ص) لا ابن له لم يبق اي مجال للتوهم بان سيكون بعده نبي آخر وعلى هذا فان فقدان الولد هي اشارة الى ختم النبوة .

ويقول في آخر الاية (وكان اللّه بكل شي عليما).

ووضع تحت تصرف هذا النبي الخاتم ماكان لازما من معارف وعلوم ومسائل الاصول والفروع .

وقد ابدي الاحتمال في ربط بداية الاية بنهايتها ففى بدايتها نفى عن النبي (ص) ابوته الجسمية لامته ، ولــذا ســيــظهر هذا السؤال وهو : اذا كان بهذاالشكل فلماذا لايحق لامته ان يتزوجون زوجات الــنــبي (ص) من بعده ؟ وفي الجواب على ذلك يقول (انه رسول اللّه (ص) بالاضافة الى كونه خاتم انبيائه وافضلهم ، ولهذا السبب فان حفظ حرمته واجب وترك الزواج من ازواجه بعدوفاته هو جز من هذه الحرمة) ((٣٦٦)) .

مفهوم خاتم النبيين . مــع ان مــعنى (خاتم) واضح جدا ــ لان مادة ختم في كافة معاجم اللغة العربية تعني انها شي ــ ولكن قسما من وساوس المنحرفين تستوجب تقديم توضيحات اكثر بشانها في (معجم مقاييس اللغة) يقول ((ابن فارس)) احد علماءاللغة المعروفين في القرن الرابع الهجري : (ختم ، لها معنى اصليا واحدا لا اكثروهو الوصول الى نهاية الشي وان قولهم (ختم) عندما يضعون ختما (مهرا)على شي فهو من هذا الباب ، لانهم دائما بعد انها شي ما يضعون ختما اومهرا عليه).

ويــقــول (الخليل بن احمد) وهو من اقدم المؤلفين والمحققين في لغة العرب والذي عاش في القرن الــثــانــي لــلــهجرة في زمن الائمة المعصومين (ع) عن معنى خاتم وخاتم (خاتم كل

شي هو نهايته وآخــرته وخاتم تعني الختم ((مهر))الذي يضعونه على الطين) ، وذلك عند اتمام الرسالة وطيها ومــن اجل ان لايفتحها الغربا يلصقون قطعة لينة من الطين على محل ربطها ثم يختمون فوقهابحيث لايبقى اي طريق لفتحها الا بكسر الختم .

وذهب سائر اصحاب اللغة ايضاالى هذا المعنى نفسه ، وفسروا (خاتم)بمعنى الشي الذي يؤدي الى النهاية او الختم الذي يضعونه في النهاية .

وفي كتاب (التحقيق) الذي يعد تحقيقا جامعا في مصادر اللغة المهمة بعدان ينقل اقوال كبار اللغويين العرب يقول : (المتحقق ان لهذه المادة جذر واحدوهو في مقابل ((بد)) اي اكمال شي وايصاله الى اخره ونهايته) ((٣٦٧)) .

وكذلك المفسرين الاسلاميين من اقدميهم وحتى معاصريهم لم يخرجواجميعهم عن ان معنى (خاتم النبيين) في الاية المذكورة هو آخر الانبيا.

ويــقــول المفسر المعروف (محمد بن جرير الطبري) الذي عاش في القرن الثالث في تفسيره الذي يعتبر من اقدم التفاسير في ذيل الاية آنفة الذكر :و(خاتم النبيين) الذي ختم النبوة فختم عليها فلا تفتح لاحد بعد الى قيام الساعة) ((٣٦٨)) .

ويقول المرحوم (الشيخ الطوسي) وهو من عظما الفقه والتفسير وعاش في القرن الخامس في كتابه الــمــشــهــور (الــبــيــان) بــعــد ان يــذكــر (خــاتم النبيين) : اي آخرهم لانه لا نبي بعده الى يوم القيامة ((٣٦٩)) .

وكــذلــك الــمــفــســر الــكــبــيــر (الــطبرسي) الذي عاش بعده بقرن واحد جا بنفس المعنى ايضا وشرحه ((٣٧٠)) .

و(ابــو الفتوح الرازي) الذي يعد من المفسرين رفيعي الشان في القرن السادس وكتب تفسيره باللغة الــفــارســية يقول في تعبير جذاب في ذيل كلمة (خاتم النبيين) : (وآخر الانبيا حتى تظن انه ختم النبوة وبنبوته ختم باب بعث الانبيا) ((٣٧١)) .

ويقول كذلك المفسر السني الشهير (الفخر الرازي) والذي يعد من مفسري القرن السادس الهجري الــمــعروفين بعد كلمة (خاتم النبيين) : (مفهومها ان لانبي بعده وشريعته تامة بحيث لم يبق شي لم يذكر) ((٣٧٢)) .

وسار بقية المفسرين قرنا بعد قرن على نفس المعنى حتى وصل الى المفسرين المعاصرين .

والشي الملفت للنظر هو ان مادة ختم ومشتقاتها ــ الاية المذكورة ــاستخدمت في القرآن الكريم في ســبــعــة مــوارد جات كلها وبدون استثنا بمعنى الاتمام او انها الشي او الختم الذي يضربونه اسفل الــرسائل ، وهذا بذاته يدلل على ان الاية موضوع البحث ليس لها اي مفهوم سوى ان النبي (ص) هو خاتم سلسلة الانبيا ، والختم الذي وضع على نهاية سجل الرسالات .

وكذلك جا في (نهج البلاغة) والروايات الاسلامية نفس المعنى بشكل عام ، وسوف يشار الى

قسم منها في نهاية هذا البحث .

الاجابة على بعض الاسئلة . ١ ــ يــقــال احيانا بان (خاتم) تعني الزينة وبنا عليه فان مفهوم الاية هو ان النبي (ص) كان زينة لكل الانبيا وليس خاتمهم .

لــكــن يجب الالتفات بان (خاتم) لم تات ابدا بمعنى الزينة وانما بمعنى (الخاتم الذي له فص ويوضع فــي الاصابع) وان هذا التعبير غير لائق تماما ان يقال بان النبي (ص) هو خاتم اصبع النبيين ، ثم اننا قــلــنــا بــان المعنى الاصلي لــ(خاتم) لم يكن ابدا (خاتم الاصبع) وانما الختم الذي يختمون به عند الانــتهامن الرسائل او البرامج او الكتب وانطلاقا من ان وضع الختم يكون في (الختام)والنهاية فان اسم (خاتم) يطلق على الواسطة التي تختم بها الرسالة (لاحظوا ان كلمة ((خاتم)) بفتح التا معناها ((مايختم به)) اي الشي الذي يختمون به).

ومــا يــثير الاهتمام هو ان الختم الاصلي للاشخاص في عصر نزول القرآن والقرون التالية له كان عــلــى الخواتيم التي يحملونها على اصابعهم وبواسطته كانوا يختمون رسائلهم ولهذا السبب جا في سيرة النبي (ص) (ان خاتم رسول اللّه كان من فضة نقشه محمد رسول اللّه (ص)) ((٣٧٣)) .

وجــا فــي بعض التواريخ ان من جملة وقائع السنة السادسة للهجرة انهم (عرضوا على النبي (ص) بانك تراسل زعما البلدان والملوك وانهم لايقراون الرسائل التي لاتختم عليها لهذا السبب اختار النبي (ص) خاتما لاصبعه حتى يختم به الرسائل) ((٣٧٤)) .

وجــا في كتاب (الطبقات الكبرى) ايضا بان النبي (ص) عندما قرر ان ينشردعوته ويكاتب الملوك والــســلاطــيــن فــي الــعــالــم امر فصنعوا له خاتما كتب عليه (محمد رسول اللّه) وكان يختم به رسائله ((٣٧٥)) .

بــهــذا البيان يتضح بان كلمة (خاتم) وان كانت تطلق على خواتيم الزينة ايضاولكن في زمان نزول الــقــرآن وما بعده كان يطلق على الخواتيم التي يختمون بهارسائلهم او يختمون بها على محل ربط الرسائل بعد طيها واغلاقها.

والــنــقــطــة الــملفتة للنظر بان نفس المعنى استخدم في آيات متعددة من القرآن الكريم فيقول حول مجموعة من الكفار (ختم اللّه على قلوبهم وعلى سمعهم) البقرة ــ ٧ ويقول عن يوم القيامة : (اليوم نختم على افواههم) يــس ــ٦٥.

وعلى كل حال فان اقل اطلاع على معانى هذه المفردة في الادب العربي وجذورها الاصلية وموارد اســتــعــمــالــهــا يثبت بوضوح ان كلمة (خاتم النبيين)ليس لها اي معنى سوى معنى متمم عدة الانبيا وخاتمهم .

السؤال الثاني :.

الايــراد الواهي الاخر طرح من قبل بعض الاشخاص غير المطلعين وهو ان القرآن الكريم

يقول : ان الــنبي (ص) (خاتم النبيين) ولم يقل (خاتم الرسل) ومن الممكن ان سلسلة الانبيا تنتهي بظهوره ولكن سلسلة الرسل ، نهاية لها.

الجواب :.

صــحــيــح ان (النبي) معناه كل نبي يوحى اليه من قبل اللّه تعالى سوا كان مكلفا بالتبليغ او لا ، عنده كتاب سماوي ام لا ولكن (الرسول) هو نبي مكلف بالبلاغ وبتعبير اخر ان كل نبي رسول ولكن ليس كل رسول نبي .

بــهــذا الــبيان تكون الاجابة على السؤال المذكور واضحة تماما فعندما يكون شخص ما خاتما للانبيا فــبــطريق اولى يكون خاتم للرسل ايضا لانه كما قلنا قبل قليل بان كل رسول هو نبي ــ لان مرحلة الرسالة اشمل من النبوة ــ.

وهذا الكلام يشبه بالضبط ان نقول ان فلانا خرج من منطقة الحجازفبالتاكيد ان ذلك الشخص خرج من مكة ايضا اما اذا نقول ان فلانا ليس في مكة فمن الممكن ان يكون في نقطة اخرى من الحجاز.

وبــنــا عــلى هذا اذا كان النبي (ص) خاتم المرسلين كان ممكنا ان لا يكون خاتما للانبيا ولكن حينما تقول الاية انه خاتم النبيين فمن المسلم به ان يكون خاتما للمرسلين كذلك .

فــي قــسم آخر من الايات المذكورة اعلاه هناك تعبيرات يعتبرها الكثير من العلما دليل ساطع على مسالة الخاتمية واذا افترضنا عدم قبول دلالتهاالصريحة فلا اقل من ان تكون قرائن وشواهد على هذه المسالة :.

١ ــ نــقرا في اول آية من هذا القسم : (ان الذين كفروا بالذكر لما جاهم وانه لكتاب عزيز # لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد).

و(الــبــاطل) في هذه الاية معناه الشي الذي يبطل او ينسخ وعليه فان مثل هذا الكتاب سيكون خالدا وابــديا وهذا بنفسه دليل على خاتمية الدين الذي يعود له هذا الكتاب كما هو دليل على عدم تحريف القرآن ايضا.

وقد يقال بان (الباطل) في اللغة لا يعني (المبطل) اذن كيف فسرتم الاية بهذا الشكل ؟.

فنقول : علاوة على ان الكثير من المفسرين ذكروا بان احد معاني الباطل هنا هو المبطل ((٣٧٦)) فــاصــولا عــندما يقول (لاياتيه الباطل) فان مفهومها ان الباطل لا يمكنه ان يعيقه او يعطله خصوصا وانه قال قبلها : (وانه لكتاب عزيز) التي تدل على بقاه وثباته .

وفي الاية التالية يقول : (تبارك ال ذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا).

ولــفــظــة (عــالــمــين) التي تشمل كل سكان العالم بالرغم من عدم تقييدها باي قيد فهي تعم ابنا كل الاعصار حتى نهاية الدنيا.

وهــي لــيــست غير محدودة من ناحية المكان فحسب بل وحتى من ناحية الزمان ايضا ، وتشمل حتى الاتــيــن ، ولهذا السبب اعتبرها الكثير من المفسرين دليلا على عالمية الدين

الاسلامي اولا وعلى خلوده ثانيا ((٣٧٧)) .
والـــنـــقطة الملفتة للنظر ايضا ان كلمة (عالمين) اخذت من مادة (علم) التي تشمل كل الموجودات الـــتـــي يحتويها علم الانسان وحتى السماوات والارض ولكن بمراعاة كلمة الانذار التي وردت في الاية فان مفهومها يكون هنامحصورا بالمكلفين في العالم .
على اية حال ، يكون الاستدلال على الاية الثالثة بنفس الطريقة ايضا ، لان الرسول (ص) يقول وفق هذه الاية : (واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ).
فـــســـعـــة مفهوم (ومن بلغ) غير خاف على احد ويكون شاملا لكل بني الانسان الى نهاية العالم ، وهو دليل على عالمية الاسلام وديمومته وخلوده .
ويـــصرح (الطبرسي) رحمه اللّه في مجمع البيان ــ ذيل الاية المذكورة ــ بان (من بلغه القرآن الى يوم القيامة) مشمولون بهذه الاية ((٣٧٨)) .
وكذلك الكثير من المفسرين القدما والمحدثين بينوا صراحة في ذيل هذه الاية بانها دلالة على مسالة (الـــخـــاتـــمية) ومن جملة هؤلا (ابو الفتوح الرازي) من علما القرن الثالث للهجرة وصاحب تفسير (روح البيان) والعلامة الطباطبائي في (الميزان) وغيرهم .
ودلالـــة الايـــات (٤ و ٥ و ٦ و٧) مورد البحث تكون ايضا بنفس الطريق لان تعبير (كافة للناس) الـــذي جـــا فـــي الاية الرابعة يشمل عموم الناس وفي الاية الخامسة (اني رسول اللّه اليكم) والاية السادسة ايضا استندت الى العالمين الذي هو مفهوم واسع من جهة الزمان والمكان .
ومـــجـــمـــوع هذه الايات يمكن ان يكون تاييدا وتاكيدا اخر على مسالة (خاتمية نبي الاسلام (ص)) و(خلود القرآن).
وذكر بعض من الكتاب والمؤلفين آيات اخرى بهذا الصدد صرفنا النظر عن ذكرها لان دلالتها غير كافية كما يبدو للنظر.
الخاتمية في الروايات الاسلامية . كما اشير من قبل بان الاعتقاد بخلود الاسلام وديمويته موضع اتفاق كل العلما والمفكرين المسلمين ، بـــل ويـــعتبر من ضروريات هذا الدين ومصدرهذه العقيدة ــ اضافة الى الايات القرآنية ــ روايات لاتـــحـــصـــى وصـــلتنا عن النبي (ص) وبقية الائمة المعصومين (ع) بما يشكل مجموعها كتابالوحده ونحن سنشير الى قسما منها في هذا الملخص كنموذج .
١ ــ الـــروايـــات الـــعديدة حول ختم سلسلة الانبيا والتي جات على لسان النبي (ص) وهذه الروايات بذاتها تشكل بابا واسعا جدا ومن جملة الاحاديث في هذا الباب الروايات التالية :.
ا ــ في الحديث المشهور الذي نقلته الكثير من مصادر الحديث والتفاسيرعن النبي (ص) والذي يقول فيه :.
(مـــثـــلـــي ومـــثـــل الانـــبيا كمثل رجل بنى دارا فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس

يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون : لولا موضع اللبنة قال رسول اللّه (ص)فانا موضع اللبنة جئت فختمت الانبيا) ((٣٧٩)) .

ونقل نفس الحديث بطريق آخر جا في آخره (فانا اللبنة وانا خاتم النبيين) ((٣٨٠)) .

ونفس المعنى نقل بطرق متعددة ((٣٨١)) .

وفي تفسير (مجمع البيان) جا هذا الحديث بهذه الصورة : يقول : نقل في حديث صحيح عن جابر بن عبد اللّه الانصاري عن النبي (ص) انه قال : (انمامثلي في الانبيا كمثل رجل بنى دارا فاكملها وحسنها الا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر اليها قال : مااحسنها الا موضع هذه اللبنة ، قال (ص) : فانا موضع اللبنة ختم بي الانبيا) ثم يقول : هذا الحديث نقل في (صحيح البخاري) و (صحيح مسلم) ((٣٨٢)) .

وجا ايضا في مسند (احمد بن حنبل) و(الترمذي) و(النسائي) وكثير من كتب الحديث والتفاسير الاخرى وهو من الاحاديث المعروفة جدا والمشهورة .

والعلامة الطباطبائي بعد ان يذكر هذا الحديث يقول : نفس هذا المعنى نقله ايضا غير البخاري ومسلم مثل : الترمذي والنسائي واحمد وابن مردويه عن غير جابر ((٣٨٣)) .

ب ــ وجا في (نهج البلاغة) ايضا التصريح بمسالة خاتمية نبي الاسلام (ص) في خطب متعددة ونقرا في الخطبة ١٧٣ : (امين وحيه وخاتم رسله).

وفي الخطبة ١٣٣ : (ختم به الوحي).

وفي الخطبة ٧٢ بعد ان يصلي على (ع) ويسلم على النبي (ص) يصفه هكذا : (الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق).

وفي الخطبة ٨٧ يخاطب الناس قائلا : (ايها الناس خذوها عن خاتم النبيين)ويقول في الخطبة الاولى من نهج البلاغة : (بعث اللّه سبحانه محمدا(ص) لانجازعدته واتمام نبوته).

والمثير للاهتمام انه عند التدقيق الواسع الذي جرى على (١١٠) اجزا من كتاب (بحار الانوار) بواسطة اجهزة الكومبيوتر تبين ان كلمة (خاتم النبيين) او(خاتم الرسل) و(خاتم الانبيا) وردت في اكثر من (٣٠٠) موضع من الكتاب (من الجز الثاني وحتى الجز ١١٠) والقسم الاعظم منها في روايات الائمة المعصومين (ع) والقليل منها في تفاسير العلامة المجلسي وامثاله وتبين بوضوح ما تحظى به مسالة ختم النبوة بنبي الاسلام (ص) في اوساط المسلمين في كل عصر وزمان من شهرة وشيوع واسعين ((٣٨٤)) .

وجا في كتب اهل السنة كرارا لفظ (خاتم النبيين) و(خاتم الانبيا) ((٣٨٥)) .

ج ــ حديث (المنزلة) المعروف ــ الذي ورد في الكثير من كتب الشيعة واهل السنة المعروفة بخصوص علي (ع) ويعتبر من اشهر الاحاديث النبوية المتواترة ــ ليس دليلا واضحا على هذه المعنى لان النبي (ص) كان يريد التوجه مع جيشه الى (معركة تبوك) فخلف مكانه في المدينة عليا(ع) وقال له : (انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه

لا نبي بعدي) ((٣٨٦)) .
والنقطة المثيرة للاهتمام ايضا هي ان هذه الجملة لم يقلها النبي (ص) في واقعة (معركة تبوك) فقط بل وصرح بها في مواضع اخرى ايضا ، وعلى الاقل انها سمعت منه (ص) ستة مرات في غير (غزوة تبوك) :.
اولا : في يوم (المؤاخاة الاولى).
ثانيا : في يوم (المؤاخاة الثانية).
ثالثا : اثنا تعزية النبي (ص) ل(ام سليم) عندما استشهد ابيها واخيها.
رابعا : في الحديث الذي ينقله (ابن عباس) عن (عمر) بهذاالخصوص .
خامسا : في الحديث الذي جرى اثنا المنازعة على كفالة بنت (حمزة سيد الشهدا).
سادسا : في الحديث الذي ورد عن سد الابواب التي على المسجد الا باب بيت علي (ع) وبيت النبي (ص) ((٣٨٧)) .
وهذا الحديث يثبت بوضوح ان مامن نبي سياتي بعد نبي الاسلام (ص)وان هذه المسالة اعتبرت جزا من الواضحات منذ نفس عصر ظهور النبي الاسلام (ص).
د ــ ورد في احاديث متعددة بان الاحكام الاسلامية باقية وقائمة الى نهاية العالم وهذا الامر لايستقيم الا بـ(خاتمية نبي الاسلام (ص) لان مجي نبي جديد اخر سينسخ قسما من احكام النبي الذي سبقه على الاقل .
ومن جملتها نقرا في اصول الكافي : (حلال محمد حلال ابدا الى يوم القيامة وحرامه حرام ابدا الى يوم القيامة لايكون غيره ولايجي غيره) ((٣٨٨)) .
وجا نفس المعنى في مكان آخر اذ يقول الامام الصادق (ع) بعد ان ذكرالانبيا : (حتى جا محمد(ص) فجا بالقرآن وبشريعته ومنهاجه ، فحلاله حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة) ((٣٨٩)) .
ثم انه يتضح من هذا الخبر المشهور انه ليس النبي (ص) (خاتم الانبيا)حسب بل وان دينه ومجموع تعاليمه واحكامه خالدة وابدية ولا تتعرض لاي تغيير وان اولئك الذين يتصورون ــ بقبولهم مسالة الخاتمية ــ انهم يستطيعون بافكارهم ايجاد تغييرات في تعاليم الاسلام واحكامه مخطئون جدا لان الاحاديث انفة الذكر تقول ان خلود نبوته تواما لخلود تعاليمه واحكامه .
ونقل (العلامة المجلسي) رحمه اللّه هذا الحديث ايضا في الكثير من مجلدات بحار الانوار ((٣٩٠)) .
هـ ــ في آخر خطبة (حجة الوداع) الشهيرة وهي نفس الخطبة التي بينهاالنبي (ص) للناس بعنوان وصيته الجامعة في آخر حجة وآخر سنة من عمره الشريف جات مسالة (الخاتمية) صريحة .

اذ يقول : (الا فليبلغ شاهدكم غائبكم لا نبي بعدي ولا امة بعدكم) ثم رفع يداه المباركتان الى السما ــ بعد ان انتهى من تبيين كل وصاياه ــ حتى بان بياض ابطيه وقال : (اللهم اشهد اني قد بلغت) ((٣٩١)) .

و ــ وجا في حديث معروف اخر عن النبي (ص) انه قال : (ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) ((٣٩٢)) .

وهذا الحديث بالخصوص ملفت للنظر من جهة انه اغلق الطريق امام مختلقي الذرائع الذين يقولون بانه (خاتم الانبيا) وليس (خاتم الرسل).

ز ــ ننهي هذه الروايات بحديث آخر عن رسول اللّه (ص) فقد جا في كتاب (اسد الغابة) ان (العباس بن عبد المطلب) عم النبي كان يطلب منه (ص)ان ياذن له بالهجرة من مكة الى المدينة حتى يلحق به (حسب بعض الروايات ان العباس كان من المؤمنين الذين يكتمون ايمانهم وبقي في مكة باذن من النبي (ص) يكتب له اخبار المشركين ويتكل عليه المسلمون ، وعندما ارتفع شان الاسلام طلب العباس من النبي (ص) ان ياذن له بالهجرة ولكن النبي (ص)قال له : (لا تعجل بهذا الامر) ومتن الرواية بهذا الشكل :.

(ياعم اقم مكانك الذي انت به فان اللّه تعالى يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة).

ثم جا الى النبي (ص) في المدينة قبل (فتح مكة) وهاجر ورافقه في فتح مكة وبفتح مكة انتهت الهجرة ــ لان هذه المدينة اصبحت بعد فتح مكة داراسلام وليس دار كفر يهاجر منها الى المدينة) ((٣٩٣)) .

وبنا على ذلك كان (العباس) هو آخر من هاجر من مكة الى المدينة اذبعده فتحت مكة وانتهت الهجرة وكتب البعض ان (العباس) الذي كان في طريق هجرته الى المدينة مع زوجته وابناه التقى بالنبي (ص) في احد المنازل وسطالطريق عندما كان (ص) في طريقه ل(فتح مكة) فانضم اليه وقال له (ص) : (ان هجرتك آخر الهجرات كما ان نبوتي اخر النبوات) ((٣٩٤)) .

يصل مجموع الاحاديث التي ذكرت تحت هذه العناوين السبعة التي ذكرناالاف الاحاديث التي تدل بوضوح كلها على ان مسالة خاتمية نبى الاسلام (ص)كانت منذ البداية من المسائل الواضحة والبديهية .

والنقطة الملفتة للنظر ايضا ان كل واحد من الائمة المعصومين الاربعة عشرة (ع) وصلنا عنه حديث او احاديث عن (الخاتمية) ((٣٩٥)) .

والبعض من الكتاب قسموا هذه الاحاديث الى عشرون قسما ((٣٩٦)) .

عدة اسئلة حول الخاتمية . هل ان السير التكاملي للانسان يتلائم مع مسالة الخاتمية ؟. ١.

اول سؤال يمكن ان يطرح في هذا البحث هو: او يمكن للمجتمع الانساني ان يتوقف ؟ او هل لــ(السير التكاملي للبشر) حدا وحدودا ؟ اولا نرى باعيننا بان الناس هم اليوم في

مرحلة اعلى من العلم والمعرفة والثقافة نسبة الى السابق ؟.
اذن بهذه الحالة كيف تختم النبوات بالكلية ويحرم الانسان في سيره التكاملي هذا من الانبيا الجدد ؟.
الجواب :.
الاجابة على هذا السؤال تتضح بالالتفات الى نقطة واحدة وهي ان الانسان احيانا يصل الى مرحلة من الـــنـــبـــوغ الفكري والثقافي تمكنه من مواصلة سيره بالاستفادة المستمرة من الاصول والتعاليم التي وضعها باختياره النبي الخاتم بشكل جامع بدون ان يحتاج الى شريعة جديدة .
وهـــذا بـــالضبط مايشبه انسانا يحتاج في كل مرحلة من المراحل الدراسية المختلفة الى معلم ومرب جـــديـــد حتى ينهي المراحل الاخرى اما عندما يصل الى مرحلة (الدكتوراه) او (الاجتهاد) ويصبح صـــاحب راي في علم او علوم متعددة ينقطع عن ادامة تحصيلاته عند استاذ جديد ويكتفي بالاعتماد عـــلـــى مـــاتـــعلمه من اساتذته القدامى وخصوصا الاستاذ الاخير وينشغل بالبحث والتحقيق والمطالعة والتدقيق ويواصل مسيره التكاملي .
وبـــتعبير اخر صار يضع الحلول للمشاكل التي تعترض طريقه اعتمادا على تلك الاصول الكلية وما حـــصـــل عـــلـــيه من آخر اساتذته وبنا على ذلك فلا حاجة لان يظهر دائما الى الوجود دين وتعاليم جديدة بمرور الزمان (تاملوا).
او بعبارة اخرى : ان الانبيا السابقين ــ ومن اجل ان يتمكن الانسان من متابعة سيره نحو التكامل على هـــذا الـــمـــسير الملي بالمنعطفات والصعودوالانحدار ــ وضعوا ــ كل واحد منهم على حدة ــ تحت تـــصـــرفـــه جزا من خارطة هذا المسير حتى اصبح مؤهلا لان يتلقى خارطة المسير كلية وجامعة بتمامه والتي وضعها اللّه تعالى من خلال آخر الانبيا(ع).
ومن البديهي اذا تلقى الخارطة الكلية والجامعة فسوف لن يحتاج الى خارطة اخرى وهذا في الحقيقة بيان لنفس التعبير الذي ورد في احاديث (الخاتمية) واعتبرت فيه نبي الاسلام (ص) هو آخر لبنة او واضع آخر لبنة في بنا ذلك القصر الجميل والمتين للرسالة .
هـــذه كـــلـــها بالنسبة الى عدم الحاجة الى دين او تعاليم جديدة اما مسالة القيادة والامامة التي هي نفس الاشراف الكلي على تطبيق هذه الاصول والقوانين واعانة المتخلفين عن المسيرة فهي مسالة اخرى لايـــســـتغني عنهاالانسان في اي وقت من الاوقات ولهذا السبب فان اتمام سلسلة النبوة لا تعني مطلقا اتـــمـــام ســـلـــســـلة الامامة ، لان تبيين وتوضيح تلك الاصول والتحقق الخارجي لها غير ممكنة بدون الاستفادة من وجود قائد الهي معصوم .
هل ان القوانين الثابتة تتماشى مع احتياجات الانسان المتغيرة ؟. ٢.
فـــيما عدا مسالة السير التكاملي للبشر التي طرحت في السؤال الاول هناك سؤال اخر وهو اننا نعلم ان مـــقتضيات الازمنة والامكنة متفاوتة او بتعبير اخر ان الانسان دائما في حالة تغيير ،

في حين ان شريعة خاتم الانبيا لها قوانين ثابتة ،فهل باستطاعة هذه (القوانين الثابتة) تلبية احتياجات (الانسان المتغيرة) على طول الزمن ؟.

يمكن الاجابة على هذا السؤال ايضا بالالتفات الى النقطة التالية :.

اذا كـــان لكل القوانين الاسلامية صفة (الجزئية) وتعين لكل موضوع حكمامحددا وجزئيا فان هذا الـــسؤال يكون في محله ، اما اذا عرفنا بان في التعاليم الاسلامية توجد سلسلة من (الاصول الكلية) الواسعة جدا والتي بامكانهامسايرة الاحتياجات المتغيرة وتلبيتها فلا يبقى اي مجال لمثل هذاالايراد .

مثلا : بمرور الزمان تظهر سلسلة من المعاهدات والعقود والاتفاقيات الجديدة والعلاقات الحقوقية بين الناس لم تكن موجودة في عصر نزول القرآن ابدا ، كما هو الحال في مايسمى اليوم بـــ(التامين) ففي ذلك الزمان لايوجد بتاتاشي باسم (التامين) وفروعه المتعددة ((٣٩٧)) ، او انواع الشركات فـــي عـــصـــرناوزماننا هذا والتي تظهر للوجود حسب مقتضيات الحاضر ، ولكن مع هذا فان لدينا في الاســـلام اصـــلا كليا جا في بداية سورة المائدة عنوانه (وجوب الوفابالعهد والعقد) يقول : (يايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) وكل تلك المعاهدات والعقود يمكن وضعها تحت غطا ذلك الاصل .

وطبعا جات قيود وشروط بصورة كلية ايضا على هذا الاصل الكلي في الاسلام يجب مراعاتها.

وبنا على هذا فان (القانون الكلي) ثابت وان كانت مصاديقه في حالة تغيير ، وكل يوم يمكن ان يظهر مصداق جديد.

والمثال الاخر : ان لدينا في الاسلام قانونا بديهيا باسم (قانون لا ضرر)الذي يمكن بواسطته الحد مـــن كـــل حـــكـــم يـــشـــكل ضررا على المجتمع الاسلامي ،وعن طريق هذا القانون تسد الكثير من احتياجاته .

وبـــغـــض الـــنظر عن هذا فان مسالة (لزوم حفظ نظام المجتمع) و(وجوب تقديم الواجب) ومسالة (تقديم الاهم على المهم) يمكنها في مجالات واسعة جدا ان تكون حلالة للمشاكل .

عـــلاوة عـــلـــى كـــل هذه فان الصلاحيات الممنوحة للحكومة الاسلامية عن طريق (ولاية الفقيه) تعطيها امكانيات واسعة لحل المشكلات في اطار الاصول الكلية للاسلام .

وطـــبـــعا ان بيان كل واحد من هذه الامور بالخصوص عند الالتفات الى فتح باب الاجتهاد (الاجتهاد مـــعـــنـــاه استنباط الاحكام الالهية من المراجع الاسلامية)يحتاج الى تحقيق كثير يبعدنا القيام به عن هدفنا ، ولكن مع هذا فان ماوردناه هنا اشارة يمكنه ان يشكل اجابة على الاشكال آنف الذكر.

هل يجب حرمان الانسان من فيض الارتباط بعالم الغيب ؟. ٣.

الـــسؤال الاخر هو ان (نزول الوحي) والارتباط مع عالم الغيب وما ورااالطبيعة اضافة الى انه هبة ومـــبـــعـــث افـــتـــخار لعالم البشرية ، يعد نافذة امل لكل المؤمنين الصادقين ، اذا لا

يعتبر قطع طريق الارتباط هذا وغلق نافذة الامل هذه حرمانا عظيما للانسان الذي عاش بعد وفاة النبي الخاتم ؟.

والجواب على هذا السؤال يتضح ايضا بالالتفات الى مايلي :.

اولا : ان الوحي والارتباط مع عالم الغيب هو وسيلة لادراك الحقائق ،وعندما يقال كل مايراد قوله وتبين كل الاحتياجات الى يوم القيامة في الاصول الكلية والتعليمات الجامعة للنبي الخاتم ، فان قطع هذا الارتباط لا يسبب اي مشكلة .

ثانيا : ان الذي قطع للابد بعد ختم النبوة هو (الوحي لشريعة جديدة اولتكميل شريعة سابقة) ، وليس كل نوع من الارتباط بما ورا عالم الطبيعة ، لان الائمة لهم ارتباط بعالم الغيب وكذلك المؤمنين الصادقين الذين ينالون مقام (الكشف) و(الشهود) على اثر ازاحتهم للحجب عن قلوبهم بعد تهذيب نفوسهم .

يقول الفيلسوف المعروف (صدر المتالهين الشيرازي) في كتاب (مفاتيح الغيب) : (((الوحي)) يعني نزول الملك بقصد مهمة النبوة حتى وان كانت منقطعة لانه بحكم ((اكملت لكم دينكم)) كان مايجب ان يصل الى نوع البشر عن هذا الطريق قد وصل ، اما باب الالهام والاشراق فلم يغلق ولن يغلق ابداولايمكن ان يغلق هذا الطريق) ((٣٩٨)) .

واصـــولا ان هـــذا الارتـــبـــاط نتيجة لارتقا النفس وتنقية الروح وصفا الباطن ولا علاقة له بمسالة الرسالة والنبوة .

وبـــنـــا على هذا ففي اي زمان تحصل مقدماته وشرائطه سيتم هذه الرابطة المعنوية ولم يحرم نوع البشر ابدا من هذا الفيض الالهي العظيم ولن يحرم .

هل تتلائم هذه الايات مع مسالة الخاتمية ؟. ٤.

ان مجموعة من مبتدعي الاديان في عصرنا من اجل ان يعبدوا الطريق امام مدعياتهم حول النبوة ، لم يـــجدوا اي حل امامهم سوى التوجه لمسالة (الخاتمية) التي هي من بديهيات وضروريات المسلمين ووضـــعها تحت المسالة وكما هو اسلوب اصحاب القلوب المريضة اتجهوا الى بعض الايات القرآنية الـــتـــي وجدوها قابلة للتحريف والتطبيق على مقاصدهم وتشبثوا بها لنفي (الخاتمية) ، وكان البعض منها غريبا عن مسالة الخاتمية الى حد لاتستحق حتى طرحها ، ونذكر هنا قسمين فقط من تلك التي يمكن طرحها الى حد ما والتي استندوا اليها اكثر :.

١ ــ يقولون : ان الاية ٣٥ من سورة الاعراف لاتنفي امكانية ظهور انبياآخرين لانها تقول : (يابني آدم ام ا ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

انـــهـــم يقولون : بالالتفات الى ان جملتي (ياتينكم) و(يقصون عليكم) همافعلان مضارعان ، اذن فان الاية تدلل على امكانية بعث انبيا آخرين في المستقبل ، وفي هذه الحالة يكون اتباعهم واجبا.

امـــا اذا الـــتفتنا الى نقطة واحدة سيكون الجواب على هذا الكلام واضحا ،وهي : اذا عدنا الى ما قبل هـــذه الايـــات ودققنا فيها من ١١ الى ٣٤ من تلك السورة سنرى ان كل هذه المباحث هي حول (خلق آدم) مـــن تراب ثم اصدارالاوامر للملائكة بالسجود لادم ، ثم اسكانه في الجنة وطرده وزوجته منهالتركهم الاولى ، ثم هبوطهم على الارض واوامر اللّه لعموم بني آدم (ع).

وبعبارة اخرى ان المخاطب في هذه الايات ليس المسلمين فحسب بل كافة شرائح المجتمع الانساني وكـــل ابنا آدم ولا شك فقد جا لبني آدم انبياورسل كثيرون ذكرت اسما بعضهم في القرآن الكريم وسجلت كتب التواريخ اسما البعض الاخر.

ولكن هؤلا الذين ارادوا الانتفاع من هذه الاية انكروا الخاتمية من اجل مقاصدهم ومهدوا السبيل امام مـــدعـــي الـــنـــبوة الكاذبين وقطعوا تماما ارتباط الاية بماضيها وصوروها على انها خطاب للمسلمين وخرجوا بنتيجة تقول ان على المسلمين ان ينتظروا ظهور نبي جديد.

والملفت للانتباه هو ان خطاب (يابني ادم) تكرر عدة مرات قبل هذه الاية في نفس سلسلة الايات ، في الايات ٢٦ و٢٧ و٣١ فالاية ٢٦ تاتي مباشرة بعدقصة هبوط آدم على الارض والاية ٢٧ تاتي بعدها ثم جات الاية ٣١ وفي المرحلة الرابعة تاتي الاية مورد البحث .

والـــمـــثـــيـــر ايـــضا ان خطاب (يابني ادم) غير موجود في اي خطاب من القرآن الا في هذه

الايات الاربعة ، ويكون الخطاب للمسلمين عادة بـــ(يايها الذين آمنوا) الذي جا على نفس الصورة في اكثر من ثمانين موضعا من القرآن ،واحيانا جا خطاب اكثر عمومية هو : (يايها الناس).

والـــشـــاهـــد الاخر على هذا المدعى هو الاية ٣٨ من سورة البقرة اذ نقرا فيهانفس المضمون بعد مـــســـالة هبوط آدم (ع) على الارض تقول : (قلنا اهبطوا منهاجميعا فام ا ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون).

ومعنى اتيان (الهدى) هنا هو نفس معنى (اتيان الرسل).

وجا المضمون نفسه في الاية ١٢٣ من سورة طه ، وما يلفت النظربالخصوص فيها هو ان المخاطب فـــي البداية (آدم) و(حوا) جملة (اهبطا)بصورة التثنية ــ ولكن في جملة (اما ياتينكم مني هدى) فـــالـــمـــخـــاطـــب جـــمع يشمل بني آدم بلا شك ، لان الشيطان لاحظ له من الهداية الالهية مطلقا وبنا عليه لايمكن ان يكون ضمن المخاطبين في هذا الجمع .

لانـــه بـــعد الخطاب : (وان عليك لعنتي الى يوم الدين) (سورة ص ــ ٧٨) الذي صدر عقب لجاجته الشديدة لم يتبق له اي امل بالهداية ، ومعلوم ان آدم وحواشخصين ، اذن فالمخاطب هما وبنيهما.

وهنا نصل الى ختام الجز الثامن من (رسالة القرآن) ــ مجموعة بحوث النبوة الخاصة ــ والحمد للّه رب العالمين .

الهي : نور قلوبنا دائما بنور القرآن وسنة النبي (ص) وابناه المعصومين .

الهي : من علينا بتوفيق اصلاح انفسنا في ظل هذه التعليمات المنجية .

ربنا : ازح من دربنا العراقيل واهدنا الى ما يوجب رضاك .

١- الـكـامل لابن الاثير : المجلد ١ ، ص ٤٨٦ ، طبع دار احيا التراث العربي ، وتاريخ الطبري : المجلد٢ ،ص ٦١.

٢- الطبري : المجلد ٢ ، ص ٦٣.

٣- سـيـرة ابـن هـشـام : ج١ ، ص ٢٨٣، ط مـصـر ، الكامل لابن الاثير : المجلد ١، ص ٤٨٨، والطبري : المجلد٢،ص ٦٥.

٤- الـكـامـل لابـن الاثـيـر : المجلد ١ ، ص ٤٨٩ ، وسيرة ابن هشام : ج١ ، ص ٢٨٤ ــ ٢٨٥ والطبري : المجلد٢ ،ص ٦٥.

٥- سـيـرة ابن هشام : ج ١ ، ص ٢٨٥ ، والكامل : المجلد ١ ، ص ٤٨٩ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٦٦.

٦- الكامل لابن الاثير : المجلد ١ ، ص ٤٩٠ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٦٦.

٧- الكامل : المجلد ١ ، ص ٤٩١.

٨- الـطـبري : المجلد ٢ ص ٧١ ، وسيرة ابن هشام : جز ١ ص ٣٠٨ ، والكامل : المجلد ١ ، ص ٤٩٣.

٩- ابن هشام : ج١ ، ص ٣١٠.

١٠- الكامل : المجلد ١ ، ص ٤٩٣ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٧٠.

١١- سيرة ابن هشام : ج١ ، ص ٣٤٤ ، الكامل : المجلد ١ ، ص ٤٩٨.

١٢- ابـن هشام : المجلد ١ ، ص ٣٥٨ ، والكامل : المجلد ١ ، ص ٤٩٩ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٧٣.

١٣- ابن هشام : ج ١ ، ص ٣١١ ، والكامل : المجلد ١ ، ص ٥٠١ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٧٤.

١٤- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥٠٢ ، وسيرة ابن هشام : الجز ١ ، ص ٣٣٦ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٧٣.

١٥- الـكـامل : المجلد ١ ، ص ٥٠٤ ، وابن هشام : المجلد ١ ، ص ٣٧٥ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٧٤.

١٦- سيرة ابن هشام : المجلد ١ ، ص ٣٧٩.

١٧- الـكامل : المجلد ١ ، ص ٥٠٥ ، وابن هشام : الجز ٢ ، ص ١٤ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٧٨.

١٨- الكامل : ص ٥٠٧ ، وابن هشام : ج ٢ ، ص ٥٧ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٨٠.

١٩- الكامل : ص ٥٠٨ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٨١.

٢٠- الكامل : ص ٥٠٨ ، وابن هشام : ج ٢ ، ص ٦١ و٦٢ ، والطبري : المجلد٢ ، ص

.٨١

٢١- الكامل : ص ٥٠٩ ، وابن هشام : المجلد ٢ ، ص ٦٣ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٨٣ و٨٤.

٢٢- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥١٠ ، ابن هشام : ج ٢ ، ص ٦٩ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٨٥.

٢٣- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥١٠ ، وابن هشام : ج ٢ ، ص ٧٠ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٨٦ ــ ٨٨.

٢٤- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥١١ ، وابن هشام : المجلد ٢ ، ص ٧٣.

٢٥- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥١٣ ، وابن هشام : جز ٢ ، ص ٨٤ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٩١.

٢٦- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥١٣ ، وابن هشام : ج ٢ ، ص ٨٨.

٢٧- ابن هشام : جز ٢ ، ص ١١٢ ، والكامل : المجلد ١ ، ص ٥١٥ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٩٧.

٢٨- ابن هشام ج ٢ ، ص ١٢٣ ، والكامل : المجلد ١ ، ص ٥١٥.

٢٩- ابن هشام : ج ٢ ، ص ١٣٨ ، والكامل : المجلد ٢ ، ص ٥١٨ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ١٠٠.

٣٠- ابن هشام : ج ٢ ، ص ١٤٣ ، والكامل : المجلد ٢ ، ص ٥٢١ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ١٠٦ ــ ١١٦.

٣١- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥٨٢ ، سيرة ابن هشام : المجلد ٣ ، ص ٣٢١ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٢٧٠.

٣٢- سيرة ابن هشام : المجلد ٣ ، ص ٥٣.

٣٣- ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ٢٩٠.

٣٤- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥٨٨ ــ ٥٩٠.

٣٥- الطبري : المجلد ٢ ، ص ٢٨٨.

٣٦- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥٩١.

٣٧- الكامل : المجلد ١ ، ص ٥٩١ ، الطبري : المجلد ٢ ، ص ٢٩٨ ، وابن هشام المجلد ٣ ، ص ٣٤٢.

٣٨- الطبري : المجلد٢ ، ص ٣٩٠ ، وابن هشام : المجلد٤ ، ص ١٢.

٣٩- الطبري : المجلد ٢ ، ص ٣٩٠ ، وابن هشام : المجلد ٤ ، ص ١٢.

٤٠- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٠٢.

٤١- سيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ٢٧٢.

٤٢- سيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ١٥ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٣١٨.

٤٣- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦١٤.

٤٤- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٢٠.

٤٥- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦١٨ ، سيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ٧٠.

٤٦- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٢٤ ، وسيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ٨٠ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٣٤٤.

٤٧- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٢٨ ، وسيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ١٢٢.

٤٨- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٣٥ ، وسيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ١٥٩ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٣٧٣.

٤٩- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٣٨.

٥٠- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٣٨.

٥١- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٣٨.

٥٢- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٤٠.

٥٣- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٤٠.

٥٤- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٤١ ، وسيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ٢٠٥.

٥٥- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٤٢.

٥٦- سيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ٢٣٥.

٥٧- الكامل : الملجد ١ ، ص ٦٤٤.

٥٨- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٤٤ ، سيرة ابن هشام : المجلد ٤ ، ص ١٩٠.

٥٩- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٤٦.

٦٠- الـــكـــامل : المجلد ١ ، ص ٦٤٧ ــ ٦٤٩ ، وللاطلاع على غزوات وسرايا الرسول (ص)) يمكن الرجوع الى سيرة ابن هشام المجلد ٤ ، ص ٢٥٦ ، الكامل : المجلد ١ ، ص ٢٥٢ ، والطبري : المجلد ٢ ، ص ٤٠٤.

٦١- الكامل : المجلد ١ ، ص ٦٥٢.

٦٢- ســـيـــرة الحلبي : المجلد ٣ ، ص ٢٨٣ ، وتواريخ اخرى نقلا عن الغدير المجلد ١ ، ص ٩ ، وهو مصدر جامع لمن اراد ان يستزيد.

٦٣- آل عمران : الاية ١٦٤ ، وسورة الجمعة : الاية ٢.

٦٤- الكامل : المجلد ٢ ، ص ٨٠ ، تفسير ظلال القرآن : المجلد ٨ ، ص ٩٥.

٦٥- سورة المائدة : الاية ٧٦.

٦٦- سورة النجم : الاية : ١٩ ــ ٢٠ ــ ٢١.

٦٧- سورة الزخرف : الاية : ١٩.

٦٨- سورة النجم : الاية ٢٣.

٦٩- سورة الزمر : الاية ٣.

٧٠- هناك احتمال بان هذه الاية اشارة الى قتل البنات اللاتي ينظر اليهن المجتمع باحتقار ويعدهن لـــوحـــدهـــن مخلوقات وضيعة مستهلكة ولكن الاحتمال هنا يشمل الاولاد ايضا لوجود ضمير جمع الـــمـــذكر ولقوله تعالى (ان قتلهم كان خطا كبيرا) ويعود هذا الضمير الى الاولاد في صدر الاية الـــتـــي نـــزلت اما بخصوص الاولاد فحسب او الاولاد والبنات على اقل تقدير وقد استخدم ضمير الجمع للمذكر لتغليب الذكور على الاناث .

٧١- نهج البلاغة : خطبة ٢٦.

٧٢- سورة الانفال : الاية ٣٥.

٧٣- تفسير مجمع البيان : المجلد ٥ ، ص ٣ ، (في ذيل تفسير الايات الاولى لسورة البقرة).

٧٤- حـــمـــس (عـــلـــى وزن خـــمس) جمع احمس وهو من تعصب لدينه ولان قريش كانت توطد عقيدة الشرك لذلك وصفوا انفسهم بالـــ (حمس).

٧٥- الاسلام والعقائد والارا البشرية : ص ٢٨٨.

٧٦- سيرة ابن هشام : المجلد ١ ، ص ٢١٥.

٧٧- مـــنـــطقة في شمال غربي (نجد) في قمة جبال الجزيرة العربية ، وهناك كانت قصة وقوع التحكيم بصفين .

٧٨- الاسلام وعقائد وآرا البشر : ص ٢٧٨.

٧٩- سورة الانعام : الاية ١٣٨.

٨٠- سورة الانعام : الاية ١٣٩.

٨١- سورة الانعام : الاية ١٤٠.

٨٢- سورة التوبة : الاية ٣٧.

٨٣- سورة آل عمران : الاية ١٠٣.

٨٤- سورة الانفال : الاية ٦٣.

٨٥- والتفصيل في ذلك جا في التفسير الامثل ذيل الاية ٩٠ من سورة المائدة .

٨٦- مجمع البيان : المجلد ١٠ ، ص ٤٤٤.

٨٧- سورة النحل : الاية ٥٨ ــ ٥٩.

٨٨- تفسير القرطبي : المجلد ٦ ، ص ٣٧٣٤.

٨٩- سورة الاعراف : الاية ١٥٧ ــ ١٥٨.

٩٠- سورة الجمعة : الاية ٢.

٩١- اورد بـــعـــض الـــمفسرين ومن بينهم القرطبي قولا ضعيفا على ان اول آية نزلت على الرسول (ص)) هـــي الايـــات : ســـورة الـــحمد ، او المدثر ولكن وفقا لتفسير روح البيان :

اذا كان الخلاف سـورة الـعلق كلها فليس هناك خلاف على الايات الخمس الاوائل منها بانها اول آيات نزلت ، المجلد ١٠ ، ص ٤٧٠.

٩٢- فـي الايـات ١٦٤ مـن سورة آل عمران والاية الثانية من سورة الجمعة ايضا تشير الى اصل البعثة ولم تذكرالايات الاولى التي نزلت .

٩٣- سورة المدثر : الاية ١ ــ ٢ ــ ٣.

٩٤- فـسر المفسرون كلمة (المدثر) على خمسة تفاسير ، وردت في التفسير الامثل المجلد ٢٥ : ، ذيـل هـذه الايـات واكثر الجميع ملامة هو ان الرسول (ص)) كان مضطربا فنام في فراشه ونزلت تلكم الايات .

٩٥- سورة الشعرا : الاية ٢١٤.

٩٦- سورة الحجر : الاية ٩٤.

٩٧- وجـا مـثل هذه المعنى في الاية (٤١) من سورة الفرقان (واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث اللّه رسولا).

٩٨- سورة الحجر : الاية ١١.

٩٩- سورة الحجر : الاية ٦.

١٠٠- سورة الصافات : الاية ٣٦.

١٠١- سورة الزخرف : الاية ٣٠.

١٠٢- الذاريات : الاية ٥٢.

١٠٣- سورة النحل : الاية ١٠٣ ، جا في التفاسير ان رجلا يدعى (بلعام) كان في مكة واصله عبد رومـي لـبني حضرم وكان المشركون يقولون : ان محمدا (ص) تعلم القران منه ، وقال بعضهم : ان كـلامـه انما نقله من عبدين نصرانيين احدهما يسار والاخر جبر او ذكروا اسم سلمان الفارسي ، ولم تكن لغة اي منهم العربية بينما يعد القرآن معجزة في الفصاحة والبلاغة .

١٠٤- سورة الفرقان : الاية ٥.

١٠٥- سورة المنافقون : الاية ٧.

١٠٦- سورة الانفال : الاية ٣٠.

١٠٧- سورة التوبة : الاية ٤٠.

١٠٨- نور الثقلين : ج ٢ ، ص ١٩٧.

١٠٩- سورة النصر : الاية ١ ــ ٢.

١١٠- ويمكن مراجعة تفصيل ذلك في بداية المجلد الخامس من التفسير الامثل .

١١١- سورة الانبيا : الاية ٣٤.

١١٢- سورة الزمر : الاية ٣٠.

١١٣- سورة الانبيا : الاية ٣٥.

١١٤- سورة التوبة : الاية ٣٢.

١١٥- سورة الاسرا : الاية ٨٨.

١١٦- سورة هود : الاية ١٣.

١١٧- سورة البقرة : الاية ٢٣ ــ ٢٤.

١١٨- سورة يونس : الاية ٣٨.

١١٩- سورة الطور : الاية ٣٣ ــ ٣٤.

١٢٠- سورة القصص : الاية ٤٩ ــ ٥٠.

١٢١- سورة العنكبوت : الاية ٥٠ ــ ٥١.

١٢٢- تفسير الفخر الرازي : المجلد ٢ ، ص ١١٩.

١٢٣- وبنا على ذلك فان (من) اما زائدة او بيانية .

١٢٤- تفسير البرهان : ج ١ ، ص ٦٧ ح ١.

١٢٥- مجمع البيان : المجلد ٩ ، ص ١٦٨.

١٢٦- مجمع البيان : ج ٧ ، ٨ ، ص ٢٨٩.

١٢٧- تفسير في ظلال القرآن : ج ٦ ، ص ٤٢٢ ، وتفسير القرطبي : ج ٧ ، ص ٥٧١.

١٢٨- ونــقــل الــحديث مفسرون عديدون ــ بتفاوت ــ كالفخر الرازي ، والمراغي ، والقرطبي ، والطباطبائي في الميزان ، وسيد قطب في الظلال .

١٢٩- سيرة ابن هشام : الجز ١ ، ص ٣٣٧.

١٣٠- سورة يوسف : الاية ٨٠.

١٣١- سورة الحج : الاية ٧٣.

١٣٢- سورة الانبيا : الاية ٢٢.

١٣٣- سورة الاسرا : الاية ٨٨.

١٣٤- سورة النحل : الاية ٩٠.

١٣٥- مجمع البيان : ج ٥ و ٦ ، ص ٣٨١ ، ذيل الاية ٩٠ من سورة النحل .

١٣٦- بحار الانوار : الجز ١٩ ، ص ٨ ــ ١٠.

١٣٧- اســمــه عبد الملك بن قريب ، عاش في ايام هارون الرشيد ، اشتهر بكثرة حفظه ومعلوماته الواسعة عن تاريخ العرب وآدابهم توفي في البصرة سنة ٢١٦ ، الكنى والالقاب : ٣٧/٢.

١٣٨- الكشاف للزمخشري : ج ٤ ، ص ٤٠٠.

١٣٩- تــفسير روح البيان : ج ١٠ ، ص ٤٩٥ ، ونور الثقلين : ج ٥ ، ص ٦٥٠ ، وسفينة البحار : مادة قر ج ٢ ، ص ٤١٤ ، وتفسير الامثل : ج ٢٧ ، ص ٢٣١ ، ذيل آيات سورة

الزلزال .

١٤٠- في ظلال القرآن لسيد قطب : ج ٤ ، ص ٤٢٢.

١٤١- سيرة ابن هشام : ج ١ ، ص ٣٥٦ ، مع التلخيص .

١٤٢- كتاب (التطور السريع للاسلام) ترجمة المرحوم سعيدي ص ٤٩ (مع التلخيص).

١٤٣- اعتذار الى حضرة محمد والقرآن ترجمة فارسية ص ١١١.

١٤٤- المعجزة الخالدة .

١٤٥- المصدر السابق .

١٤٦- مجموعة مقالات على كتاب .

١٤٧- سفينة البحار : مادة سلم ، ــ تاريخ ابن الاثير : ج ٢ ، ص ٣٦١ ، ــ اعجاز القرآن للرافعي : ص ١٢٧.

١٤٨- المصدر السابق ص ١٢٨.

١٤٩- دائرة مــعارف القرن العشرين : فريد وجدي وفق نقل تنزيه التنزيل للمرحوم الشهرستاني ص ١٧٦.

١٥٠- دايرة معارف البستاني وفق نقل تنزيه التنزيل للسيد هبة الدين الشهرستاني ص ١٨٦.

١٥١- اعجاز القرآن للرافعي : ص ١٣٧.

١٥٢- عن (اعجاز القرآن) للرافعي ، هامش ص ١٣٧.

١٥٣- المصدر السابق ص ١٣٣ ــ ١٣٧.

١٥٤- عــيون اخبار الرضا : (وفق نقل تفسير نور الثقلين : ج ١ ص ٤٣) ونقله ايضا الكليني في الكافي والعلامة المجلسي في بحار الانوار.

١٥٥- ورد في تفصيل قصة الوليد بن المغيرة وحديثه بصدد جاذبية القرآن في البحوث السابقة .

١٥٦- سورة الشعرا : الاية ٢٢٥.

١٥٧- يــنــقل القرآن هذه التهمة عن المشركين في ثلاث آيات من سورة الانبيا :٥ ، والصافات : ٣٦ ، والطور :٣٠ ، وينفيها اللّه سبحانه وتعالى عن نبيه بصراحة في آيتين من سورة يس : ٦٩ ، والحاقة : ٤١.

١٥٨- اثبات الهداة : ج ١ ، هامش ص ٢٢٣.

١٥٩- المصدر السابق : ص ٢٢٢.

١٦٠- سورة هود : الاية ٤٤.

١٦١- اساليب اعجاز القرآن : ص ٥٢.

١٦٢- سورة الحج : الاية ٧٣.

١٦٣- سورة البقرة : الاية ١٧٠.

١٦٤- سورة الانبيا : الاية ٥٤.

١٦٥- سورة النسا : الاية ٦٥.

١٦٦- سورة يوسف : الاية ٢٣.

١٦٧- يراجع التفسير الامثل المجلد ٩ و١٠، لمزيد من الاطلاع . ١٦٨ امثال القرآن : ص ١٢٠.

١٦٩- سورة الرعد : الاية ١٧.

١٧٠- سورة الانبيا : الاية ٦٦ ــ ٦٧.

١٧١- سورة طـــــه : الاية ٨٩.

١٧٢- سورة النسا : الاية ٤٨.

١٧٣- سورة العنكبوت : الاية ٦٥.

١٧٤- سورة ابراهيم : الاية ١٠.

١٧٥- سورة الذاريات : الاية ٢٠ ــ ٢١.

١٧٦- شرحنا هذه الايات تحت عشرين عنوانا في المجلد الثاني من هذا الكتاب (رسالة القرآن).

١٧٧- سورة الشورى : الاية ١١.

١٧٨- سورة الحشر : الاية ٢٢ ــ ٢٤.

١٧٩- سورة لقمان : الاية ٢٧.

١٨٠- يراجع المجلد الثالث من (رسالة القرآن) ، للحصول على اطلاع واسع منظم بهذا الصدد.

١٨١- سورة الاعراف : الاية ٢٩.

١٨٢- سورة يس : الاية ٨١ ــ ٨٢.

١٨٣- سورة الحج : الاية ٥ ــ ٦. ١٨٤و ٢ ــ سورة النحل : الاية ٨٩.

١٨٦- يـــســـتـــفاد من ظاهر الاية ان ((ترونها)) وصف ل((عمد)) ، وقول البعض بان مفهوم الاية ((تـــرونها بغير عمد)) هوانكم ترون السما بغير عمد (وعلى هذا ، فعبارة ((بغير عمد)) جار ومـــجرور ومضاف اليه متعلقة ب((ترونها))) ،خلاف الظاهر اولا ، وثانيا ، فان هذا التعبير يشير الى انكم ترون السما بدون عمد في حين ان لها اعمدة في حقيقة الامر.

١٨٧- سورة الذاريات : الاية ٧.

١٨٨- تفسير البرهان : ج ٢ ، ص ٢٧٨ ورد هذا الحديث في التفسير المزبور عن طريقين ، عن تفسير علي بن ابراهيم ، وكذلك عن تفسير العياشي .

١٨٩- مجمع البيان : ج٥ ، ص ٢٧٤ ، روح المعاني : ج١٣ ، ص ٧٨.

١٩٠- سورة فصلت : الاية ١١.

١٩١- سورة الانبيا : الاية ٣٠.

١٩٢- راجع نور الثقلين : ج٣ ، ص ٤٢٤، الاحاديث ٥٢، و٥٣، و٥٤، و٥٥، والدر المنثور : ج٤ ، ص ٣١٧.

١٩٣- نفس المصدر.

١٩٤- تطلق الصورة الفلكية ((الجاثي على ركبتيه)) على النجوم التي تكون بمجموعها على هيئة شخص جاث على ركبتيه يريد القيام ، ونجم ((ويكا)) يعد من هذه المجموعة التي تدور حوله المنظومة الشمسية بما فيهاالشمس .

١٩٥- قاموس ((دهخدا)) ، ج٢٢ مادة الشمس ((باللغة الفارسية)).

١٩٦- ((بداية ونهاية العالم)) ، ص ٧٤ ــ ٧٧ (باختصار).

١٩٧- نفس المصدر.

١٩٨- ((حدود النجوم)) ، ترجمة رضا اقصى ، ص ٣٣٨ ، عن النسخة الفارسية .

١٩٩- تفسير الفخر الرازي : ج٢٧ ، ص ١٧١.

٢٠٠- سفينة البحار : مادة النجم ، ج٢ ، ص ٥٧٤.

٢٠١- لمزيد من الاطلاع راجع كتاب ((الهيئة والاسلام)).

٢٠٢- سورة النحل : الاية ١٥.

٢٠٣- سورة النبا : الاية ٦ ــ ٧.

٢٠٤- سورة المرسلات : الاية ٢٧.

٢٠٥- سورة لقمان : الاية ١٠.

٢٠٦- ما تقدم اعلاه موجز من مقال محقق تحت عنوان ((اثر الجبال في استقرار الارض)) (مسالة الدوار الثابت)في المجلة الدينية والعلمية ((دين الاسلام)) العدد ٨ ، السنة ١٣ (ص ٦٨ ــ ٧٣ باللغة الفارسية) ، ولمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع والوقوف على جزئياته راجع المقال المزبور.

٢٠٧- سورة النحل : الاية ١٥.

٢٠٨- سورة النحل : الاية ٦١.

٢٠٩- جا في تفسير (مجمع البيان) عن احد المفسرين القدما ويدعى ((ابن زيد)) انه قال في تفسير الاية (ومن كل شي خلقنا زوجين) الزوجين الذكر والانثى (مجمع البيان ، ج٩ ص ١٦٠) كما ورد هذا المعنى نفسه عن قتادة في تفسير الاية ((سبحان الذي خلق الازواج كلها)) (تفسير القرطبي ، ج٨ ص ٥٤٧٠).

٢١٠- تمت الاشارة الى المعنى الاول في معجم مقاييس اللغة والمفردات ، والى المعنى الثاني في لسان العرب .

٢١١- مقتبس من كتاب (مقارنة بين التوراة والانجيل والقرآن والعلم) تاليف الدكتور

((بوكاري)) ترجمة المهندس ((ذبيح اللّه دبير)) باللغة الفارسية ــ ص ٢٧١ الملفت للنظر ان هذا الدكتور الفرنسي يتعلق كثيرابالقرآن حينما يصمم على مقارنة هذه الكتب فيما بينها ، وحيث ان ترجمات القرآن المتداولة لا تشفي غليله ، نراه يسعى ورا الادب العربي ويحيط به احاطة تامة ليتمكن من استيفا مايحتاجه من القرآن مباشرة دون حاجة للرجوع الى ترجماته .

٢١٢- تفسير المراغي جلد ١٨ ص ١١.

٢١٣- اشار سيد قطب في كتابه (في ظلال القرآن) ج٦ ص ١٦ الى ذلك وقد شاهدنا ذلك اخيرا في فيلم وثائقي عجيب عن المراحل التكاملية للنمو الجنيني .

٢١٤- مجمع البيان ج ٧ ص ٤٦ والتفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٢ ص ١٦٥ وتفاسير اخرى .

٢١٥- الاوزون : غاز ازرق اللون ذو رائحة نفاذة ويعد اخطر من غاز الاوكسجين ويتكون عند التفريغ الكهربائي للاوكسجين ، ويستعمل لاغراض الصباغة وتصفية الما والهوا.

٢١٦- وورد نظير هذا المعنى في كل من الاية (١٦٤) من سورة البقرة ، و(٩٩) من سورة الانعام ، و(٩٦) من سورة الاعراف ، و(٢٤) من سورة يونس ، و (٤٤) من سورة هود ، و(١٧) من سورة الرعد وآيات اخرى متعددة .

٢١٧- مجمع البيان ، روح البيان ، تفسير القرطبي و ذيل الاية المذكورة .

٢١٨- روح البيان ج٣ ص ١.

٢١٩- تصاب الانسان احيانا بضيق في التنفس عند تسلق الجبال هذا صحيح ومعروف منذ الايام السالفة ،ويحصل نتيجة للجهد البدني الشديد ويشاهد في حالة الركض على الارض المستوية ايضا غير ان القرآن يقول : ان ضيق التنفس يسببه الصعود الى السما لا الجهد البدني الشديد.

٢٢٠- تفسير المراغي : ج ٨ ، ص ٢٥.

٢٢١- سورة الاسرا ، الاية ٦٦.

٢٢٢- جا في كتاب (التحقيق) : ((البرودة في الما ان يبرد الى ان يصل حد الانجماد فيقال له البرد)).

٢٢٣- ذهب المفسرون في تفسير :(وينزل من السما من جبال فيها من برد) الى قولين ينبثقان من سياق تركيب الاية ، الاول : ان الجار والمجرور في ((من برد)) متعلق بينزل وهي في حكم المفعول فيصبح معنى الاية : ان اللّه ينزل حبات البرد من جبال في السما (وهنا ذكرت الجبال بصورة مطلقة) والثاني : ان الجار والمجرورمتعلق بفعل محذوف يقع صفة لـ ((جبال)) فيصبح معنى الاية بنا على ذلك : ان اللّه ينزل بردا من جبال الثلج التي في السما (وهنا يكون مفعول ينزل محذوفا ويفهم من سياق الكلام). وكلا

التفسيرين يوضح الاعجاز العلمي للقرآن وفقا لما ذكرناه سالفا لان قولا تضمن ذكر جبال من الثلج ،وقولا اخر تضمن جبال السحاب ، وكلاهما لم يكن معروفا في زمانه .

٢٢٤- سورة الفيل : الاية ١.

٢٢٥- العواصف والامطار ص ١٣٨.

٢٢٦- التفسير الكبير : ج ٣ ، ص ٢١٧ ، والقرطبي : ج ١٠ ، ص ٦٨٨٥.

٢٢٧- المفردات للراغب ، ومجمع البحرين ومعجم مقاييس اللغة مادة بن .

٢٢٨- تفسير مجمع البيان ، الصافي ، الفخر الرازي ، الكشاف ، روح المعاني وروح البيان .

٢٢٩- مجلة الفضا العدد ٥٦ ــ سنة ١٩٧١.

٢٣٠- سورة يوسف : الاية ١١١.

٢٣١- سورة الاعراف : الاية ١٧٦.

٢٣٢- سورة هود : الاية ١٢٠.

٢٣٣- سورة القمر : الاية ١٥.

٢٣٤- سورة الحج : الاية ٤٦.

٢٣٥- سورة البقرة : الاية ٣٠ ــ ٣٧.

٢٣٦- سورة هود : الاية ٦٩ ــ ٧٦.

٢٣٧- سفر التكوين : الفصل الثامن عشر.

٢٣٨- سفر التكوين : الفصل ١١ ، من الجملة ١ الى ٩.

٢٣٩- اعلام القرآن : ص ٢٣٨.

٢٤٠- كوشيان : هو اسم والد نمرود.

٢٤١- القاموس المقدس : مادة (اللغة).

٢٤٢- القاموس المقدس : مادة (بابل).

٢٤٣- نــقلا عن التوراة المترجم والذي طبع في بريطانيا سنة ١٨٧٨ ص ١٠٤ و ١٠٥ ، (سفر الخروج الباب ٢٣).

٢٤٤- مؤلف كتاب ((القاموس المقدس)) هاكس الاميركي يقدم توجيها مضحكا لهذه القصة اذ يقول :. ((لــقــد قــام هــارون بهذا العمل لاسكات القوم)) ، فمع ان هذا الكلام يصدق عليه القول المعروف ((العذر اقبح من السبب)) ، فهو لا يتلائم ابدا مع اقامة المذبحة والامر بالقربان وتعيين العيد.

٢٤٥- بــث شبع : اسم تلك المراة التي راها داود ــ طبقا لما تقوله التوراة ــ عارية من سطح البيت وعشقها ، وهي ابنة اليعام احد اصحاب المناصب العبرية .

٢٤٦- نفس المصدر.

٢٤٧- اوريــا : بــتــشــديد اليا اسم احد القادة البارزين في جيش داود ، و((حت ي))

بتشديد التا وكسر الحا نسبة الى ((حت بن كنعان)) الذي يعرف قومه ب((بن حت)).

٢٤٨- نقل عن الكتاب الثاني شموئيل الفصل ١١ ، من الجمل ٢ ، وحتى ٢٧.

٢٤٩- ناثان او ناتان احد انبيا بني اسرائيل وكان مستشارا لداود.

٢٥٠- شاوول : احد سلاطين بني اسرائيل .

٢٥١- بـــنـــي عـــمـــون : كـــانـــت من الشعوب المحاربة التي تعيش في الطرف الشرقي من ((البحر الميت)) وقد حاربهم داود.

٢٥٢- الكتاب الثاني : شموئيل الفصل ١٢ ، من الجملة ١ ، وحتى ٢٤.

٢٥٣- يراجع كتاب مجمع البيان : ج ٨ ، ص ٤٧٢.

٢٥٤- سفر الملوك الاول : الفصل ١١ : ٣٣ : ٣٤.

٢٥٥- سفر التكوين ٢٧ : ١ ــ ٤٠.

٢٥٦- سفر التكوين : فصل ٢٨ الجمل من ١ الى ٤.

٢٥٧- انجيل يوحنا عرس قانا الجليل ص ٢٥٦.

٢٥٨- العهد العتيق ، كتاب امثال سليمان ، فصل ٢٣.

٢٥٩- عهد عتيق ، كتاب امثال سليمان ، فصل ٢٠ ، جملة ١.

٢٦٠- كتاب اشعيا : فصل ٥ ، جملة ٢٢.

٢٦١- كتاب هوشيع فصل ٤ ، جملة ١١.

٢٦٢- انجيل يوحنا : باب اليهود يرفضون المسيح ، ص ٢٨٩.

٢٦٣- شـــمـــعـــون فـــي الاصل بمعنى السامع ، وقد اشير الى اسما ١٠ اشخاص في الكتاب المقدس للمسيح طبقالما قاله مؤلف كتاب (قاموس الكتاب المقدس) ، وكان احدهم شمعون الفريسي .

٢٦٤- انجيل لوقا باب يسوع يغفر لامراة خاطئة ص ١٨٣.

٢٦٥- هـــذه الـــمـــراة هـــي مريم مجد ليته كانت عاهرة ومتمولة ، فاعلنت عن توبتها على يد السيد المسيح (ع) طبقالما جا في انجيل لوقا في الباب الثامن .

٢٦٦- وردت خمس مرات .

٢٦٧- وردت ٢٠ مرة .

٢٦٨- وردت ٨٠ مرة .

٢٦٩- وردت خمس مرات .

٢٧٠- وردت مرتين .

٢٧١- سورة الزلزلة : ٤، ويس : ٦٥، والنور : ٢٤.

٢٧٢- سورة المائدة : الاية ١.

٢٧٣- اسمه فر خان ، قائد ايراني حارب الروم في زمان خسرو برويز واستولى على مصر

سنة ٦١٦ ميلادي (معجم دهخدا ــ مادة براز).

٢٧٤- اشير اليه في تفسير مجمع البيان : التفسير الكبير للفخر الرازي ، وروح المعاني والميزان .

٢٧٥- ان غنائم حنين كانت عظيمة حتى ان البعض قدرها ب٢٤ الف ناقة و ٤٠ الف شاة ومقادير كثيرة كثيرة من الفضة (تفسير روح البيان المجلد ٩ ، ص ٤٢ ، منتهى الامال المجلد ١ ، ص ٦٥).

٢٧٦- نقل هذا الحديث عن صحيح البخاري عن ابن عباس في تفسير ((في ظلال)) ج٧ ص ٦٥٧ ((مع التلخيص)).

٢٧٧- سورة الانفال ، ١١.

٢٧٨- مجمع البيان : ج ٧ و٨ ، ص ٢٦٩ في ذيل الاية .

٢٧٩- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٥ ، ص ٢١ في ذيل الاية .

٢٨٠- نقل الكثير من المفسرين والمؤرخين شان النزول هذا مع اختلاف طفيف (تفسير مجمع البيان ،القرطبي ، المراغي ، الفخر الرازي ، الدر المنثور ، في ظلال نهج البلاغة ، كذلك الكامل لابن الاثير المجلد٢ ، ص ٦٠).

٢٨١- روح البيان : ج ١٠ ، ص ٥٢٥.

٢٨٢- مجمع البيان : ج٣٠ ، ص ٥٤٩.

٢٨٣- تفسير الفخر الرازي : ج ٣٢ ، ص ١٣٢.

٢٨٤- يقول الالوسي في روح المعاني : الكوثر صيغة مبالغة ، بمعنى الكثرة التي تجاوزت حدا معينا (المجلد٣٠ ، ص ٢٤٥)، وفي لسان العرب ، الكوثر هو الكثير من كل شي .

٢٨٥- مجمع البيان : المجلد ٣٠ ، ص ٥٤٩.

٢٨٦- تفسير الفخر الرازي ، ج ٣٢ ، ص ١٢٤.

٢٨٧- روح المعاني ، ج ٣٠ ، ص ٢٤٥ (طبع دار احيا التراث العربي لبنان).

٢٨٨- روح المعاني ، ج ٣٠ ، ص ٢٤٧.

٢٨٩- جا في اثبات الهداة ، المجلد ١ ، ص ٢٤٧ ، عن الامام الصادق (ع) ان النبي (ص) اخبر عن رؤية قافلة ابي سفيان ومرورها ببئر قبيلة فلان بحثا عن ناقة لهم ذات وبر احمر ، كما وصف سوق الشام الذي لم يره قط (مجمع البيان المجلد ١ ، ص ٣٩٥ ، وسيرة ابن هشام الملجد ٢ ، ص ٤٣ ــ ٤٤.

٢٩٠- نقل الطبرسي في مجمع البيان الملد ٥ ــ ٦ ، ص ٣٤٦ ، وكذلك العلامة المجلسي في بحار الانوارالمجلد ١٨ ، ص ٤٨ ، وابن هشام في السيرة المجلد ٢ ، ص ٥٠ ، وبقية المفسرين والمؤرخين شرحاوافيا لهذه الواقعة .

٢٩١- مجمع البيان ، ج ٣ ، ص ١٦٥.

٢٩٢- تفسير البرهان ، ج٢ ، ص ٤٢٣ ، الحديث ٢.

٢٩٣- الفخر الرازي : ج ٢٩ ، ص ٢٨.

٢٩٤- ج ٩ و ١٠ ، ص ١٨٦.

٢٩٥- تفسير الفخر الرازي ، ج ٢٩ ، ص ٢٩ ــ مجمع البيان ذيل آية ١٨ سورة محمد (ص).

٢٩٦- مجمع البيان وكتب التفسير الاخرى في ذيل الاية المبحوثة .

٢٩٧- نقل الحديث السيوطي في الدر المنثور والقرطبي في ذيل الاية .

٢٩٨- فـــي تفسير آخر للاية المذكورة اعتبر النبي (ص) كشاهد على الانبيا قبله او شاهد على اعمال امته يوم القيامة في حين لايوجد اي تنافض او تعارض بين هذه التفاسير الثلاثة ويمكن جمعها في معنى الاية .

٢٩٩- من الذين قبلوا هذا المعنى او نقلوه باعتباره تفسيرا : المرحوم الطبرسي في مجمع البيان ، والـــعـــلامـــة الـــطـــبـــاطـــبائي في تفسير الميزان ، والمراغي ، والقرطبي في تفسيرهم (ذيل الاية المذكورة).

٣٠٠- في تفسير البرهان الجز/ ٤ ص ٤٦٦ توجد خمسة احاديث حول هذا الموضوع ، وليس في هذا التفسيرتعارض مع التفاسير الاخرى للشمس ، ويمكن جمعها كلها في معنى الاية .

٣٠١- تاريخ حضارة العرب والاسلام تاليف كوستاف لوبون .

٣٠٢- نهج البلاغة : خطبة ــ ٨٩.

٣٠٣- نهج البلاغة : خطبة ــ ٢٦.

٣٠٤- (باخع) : من مادة : بخع (على وزن تخت) تعنى الهلكة من شدة الغم والحزن ، وبتعبير اخر : الموت غصة .

٣٠٥- فـــي حـــديث للامام الصادق ((ع)) ان هذه الاية اكثر الايات الاخلاقية شمولا في القرآن المجيد (مجمع البيان ــ ذيل الاية المذكورة).

٣٠٦- الاعراف : ٢٩ ،يونس :٢٢ ،العنكبوت :٦٥ ، لقمان :٣٢ ، غافر :١٤ و ٦٥ ، البينة : ٥.

٣٠٧- وسائل الشيعة الجز/ ١١ ص ٦٩ ابواب جهاد العدو : الباب / ٣٢ ، الحديث الثالث .

٣٠٨- عن النبي (ص) : ان اللّه تعالى غافر كل ذنب الا من جحد مهرا ، او اغتصب اجيرا اجره ، او باع رجلاحرا ، (سفينة البحار ــ مادة اجر).

٣٠٩- البقرة : ١٩٧.

٣١٠- الحجرات : ١٣.

٣١١- الاعراف : ٩٦.

٣١٢- مريم ٦٣.

٣١٣- الانفال : ٢٩.

٣١٤- المجادلة : ٢٢.

٣١٥- اصول الكافي : الجز الثاني ، ص ١٢٥.

٣١٦- سفينة البحار : الجز الاول ، ص ٢٠١.

٣١٧- نــقــلت هذه القضية بعبارات مختلفة في بحار الانوار : ج٢١ ، ص ١٠٥ و ١٣٠ وفي حبيب السير : ج١ ،ص ٢٨٨ والطبري في ج٢ ، ص ٣٣٤ وكامل ابن الاثير ج٢ ، ص ٢٤٦.

٣١٨- سورة يوسف : ٩٢.

٣١٩- حبيب السير ، ج١ ، ص ٣٨٩.

٣٢٠- بحار الانوار : ج٢٢ ، ص ١٥٥ ، الحديث : ١٣ (باب عدد اولاد النبي).

٣٢١- جــا هذا الحديث في مصادر متعددة وبعبارات مختلفة ، من جملتها كتاب الوسائل / ج١١ ، ص ٤٣باب آداب امرا السرايا واصحابهم ، الحديث ٢ و ٣.

٣٢٢- سيرة ابن هشام ، ج٣ ص ٣٤٤.

٣٢٣- الطبري : ج ٢ ص ٦٧.

٣٢٤- الطبري : ج٢ ص ٧٠.

٣٢٥- حضارة الاسلام والعرب ، ص .

٣٢٦- بــحــار الانــوار ، ج١٦ ص ٢٣٢ ــ وبــنــفس المضمون مع بعض التفاوت في نهج البلاغة الكلمات القصار ،الكلمة / ٩.

٣٢٧- مــنــتــهى الامال ــ وقائع السنة الهجرية الرابعة ــ وجا نفس المعنى مع بعض الاختلاف في تاريخ الكامل لابن الاثير ، ج٢ ، ص ١٧١.

٣٢٨- نــقــل هــذه الــقصة الكثير من المفسرين والمؤرخين بعبارات مختلفة ، تفسير مجمع البيان والقرطبي في ذيل الاية ٢٨ من سورة الكهف .

٣٢٩- (حضارة الغرب ومرتكزاتها في الشرق) ــ فصل ظهور الاسلام وانتشاره .

٣٣٠- (قــاموس دارسي الشؤون الاسلامية الاجانب) ، ج١ ، ص تاليف حسين عبد اللهي خوروش (فارسي).

٣٣١- نفس المصدر : ج ١ ص .

٣٣٢- نفس المصدر ، ج ٢ ص .

٣٣٣- (عذر التقصير الى ساحة محمد والقرآن) ص (فارسي).

٣٣٤- (محمد رسول اللّه (ص) ــ ص ١٤٢.

٣٣٥- نفس المصدر : ص ١٤٣.

٣٣٦- دائرة المعارف البريطانية ، مادة (قرآن).
٣٣٧- نـــقلا عن كتاب (تاريخ تركيا) حسب كتاب (قاموس دارسي الشؤون الاسلامية الاجانب) ص (فارسي).
٣٣٨- (قاموس دارسي الشؤون الاسلامية الاجانب) ص ٥٣٤ (فارسي).
٣٣٩- (مـــحمد من وجهة نظر الاخرين) نقلا عن (قاموس دارسي الشؤون الاسلامية الاجانب) ج١ ، ص ١٦٤(فارسي).
٣٤٠- التفسير الكبير للفخر الرازي ، والمنار في ذيل الاية المذكورة .
٣٤١- روح المعاني ، ج٧ ص ١٠٣ ومجمع البيان ، ج ٣ ص ٢٨٢ وروح البيان ، ج٣ ص ١٨.
٣٤٢- تفسير الفخر الرازي ، ج ١٥ ، ص ٢٣.
٣٤٣- تفسير القرطبي ، ج٤ ص ٢٧٣٥ (الملخ ص).
٣٤٤- اقـــتباس عن سبب النزول الذي جا في الدر المنثور من تفاسير اهل السنة وتفسير العياشي عـــن الامـــام الـــصـــادق ((ع)) (وذكـــره الـــكثير من مفسري الشيعة واهل السنة ايضا في ذيل الاية الـــمـــذكـــورة) ــ ومـــع ان الـــبعض من المفسرين مثل الفخر الرازي اعطوا احتمالات متعددة لعبارة (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) ولكن اغلبها ترجع الى نفس المعنى الذي ذكر اعلاه .
٣٤٥- انجيل يوحنا : الباب ١٤ ، الجملة ١٦.
٣٤٦- نفس المصدر : الباب ١٥ ، الجملة ٢٦.
٣٤٧- نفس المصدر : الباب ١٦ ، الجملة ٧.
٣٤٨- (چراغ) ــ فارسي .
٣٤٩- كتاب جراغ ، صفحة ١.
٣٥٠- نفس المصدر ، ص ٦.
٣٥١- نثر طوبى ، ج ١ ص ١٩٧.
٣٥٢- فرهنك لغات قرآن (فارسي).
٣٥٣- فرهنك لغات قرآن (فارسي) ، ج١ ، ص ٣٥١.
٣٥٤- انجيل يوحنا : الباب ١٤ ، الباب ١٦.
٣٥٥- نفس المصدر ، جملة ٢٦.
٣٥٦- اقتباس مع قليل من الاختصار عن (الهداية الثانية) مقدمة كتاب انيس الاعلام .
٣٥٧- ديوان ابي طالب ، ص ٢٥ و ٢٦.
٣٥٨- تاريخ ابن عساكر : ج ١ ، ص ٢٧٥.
٣٥٩- الغدير : ج ٧ ، ص ٣٥٨.

٣٦٠- نفس المصدر السابق .

٣٦١- سفر التكوين : الفصل السابع .

٣٦٢- انيس الاعلام : ج٥ ، ص ٦٩.

٣٦٣- سفر ظهور التوراة ــ باب ٤٩ ــ رقم ١٠.

٣٦٤- انيس الاعلام : ج ٥ ، ص ٧٣.

٣٦٥- تفسير القرطبي والميزان ــ ذيل الاية المذكورة .

٣٦٦- تفسير القرطبي ــ ذيل الاية المذكورة .

٣٦٧- التحقيق ، مادة (ختم).

٣٦٨- تفسير الطبري : ج٢٢ ، ص ١٢.

٣٦٩- تفسير البيان : ج ٨ ، ص ٣١٤.

٣٧٠- مجمع البيان : ج ٧ و٨ ، ص ٣٦٢.

٣٧١- تفسير الفخر الرازي : ج٩ ، ص ١٦٢.

٣٧٢- تفسير الفخر الرازي : ج٢٥ ، ص ٢١٤.

٣٧٣- سنن البيهقي : ج١٠ ، ص ١٢٨ وفروع الكافي : ج٦ ، ص ٤٧٣ ــ باب نقش الخواتيم ، الحديث الاول (كان نقش خاتم النبي ((محمد رسول اللّه))(ص)).

٣٧٤- سفينة البحار : ج ١ ، ص ٣٧٦.

٣٧٥- الطبقات الكبرى : ج١ ، ص ٢٥٨.

٣٧٦- مثل المرحوم الشيخ الطوسي في (البيان) والطبرسي في (مجمع البيان) والعلامة الطباطبائي في (الميزان)والالوسي في (روح المعاني) وكذلك بعض المفسرين الاخرين (ذيل الاية مورد البحث).

٣٧٧- تفسير الفخر الرازي : ج ٢٤ ، ص ٤٥ ، وتفسير القرطبي : ج ٧ ، ص ٤٧١٨ ، وروح البيان : ج ٦ ، ص ١٨٨.

٣٧٨- مجمع البيان : ج ٣ و٤ ، ص ٢٨٢.

٣٧٩- صحيح مسلم : ج٤ ، ص ١٧٩١. ــ صحيح مسلم : ج٤ ، ص ١٧٩١.

٣٨٠- صحيح مسلم : ج٤ ، ص ١٧٩١ ــ صحيح مسلم : ج٤ ، ص ١٧٩١.

٣٨١- نفس المصدر السابق .

٣٨٢- مجمع البيان : ج٧ و٨ ، ص ٣٦٢.

٣٨٣- الميزان : ج١٦ ، ص ٣٢٧ ذيل الاية مورد البحث .

٣٨٤- نتقدم بالشكر الى المركز الكومبيرتري للحوزة العلمية في قم الذي قدم هذه الموارد التي جات في ٢٣صفحة من الحجم الكبير الى مركز تفسير رسالة القرآن .

٣٨٥- يراجع (المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي) مادة ــ (ختم).

٣٨٦- الملفت ان هذا الحديث نقل عن ١٧٠ طريق ــ مائة منها عن طرق اهل السنة وسبعون طريقا من طرق اهل البيت (ع) ــ ومن جملة الكتب التي نقل فيها هذا الحديث : صحيح مسلم صحيح البخاري ســنــن ابن ماجه مستدرك الحاكم مسند احمد بن حنبل ذخائر العقبى الصواعق المحرقة كنز العمال ينابيع المودة وغيرها (للاسيتضاح اكثر ارجعوا الى ((المراجعات)) المراجعة ٢٨).

٣٨٧- لــلاســتيضاح اكثر ارجعوا الى (تفسير نمونة ((فارسي))) ج٦ ، ص ٣٤٧ (ذيل الاية ٤٢ من سورة الاعراف)والمراجعات (المراجعة ٣٢).

٣٨٨- اصول الكافي : ج١ ، ص ٥٨ ، الحديث ١٩.

٣٨٩- اصول الكافي : ج٢ ، ص ١٧ ، الحديث ٢.

٣٩٠- بحار الانوار : ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، حديث ١٧.

٣٩١- بحار الانوار : ج ٢١، ص ٣٨١ (نقلا عن الخصال ج ٢ ، ص ٨٤).

٣٩٢- سنن الترمذي : ج٣ ، ص ٣٦٤.

٣٩٣- اسد الغابة : ج٣ ، ص ١١٠.

٣٩٤- البحار : ج٢١ .

٣٩٥- للاطلاع اكثر راجعوا كتاب الخاتمية من وجهة نظر القرآن والحديث والعقل .

٣٩٦- للاطلاع اكثر راجعوا كتاب خاتمية آخر الانبيا(ص) من صفحة ٣٩ الى صفحة ٤١.

٣٩٧- طــبــعــا توجد في الاسلام موضوعات شبيهة بالتامين وفي حدود خاصة مثل مسالة (ضمان الجريرة) ولكن كما قلنا انها شبيهة بهذه القضية فقط.

٣٩٨- مفاتيح الغيب ، ص ١٣.